بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد:

فإنَّ حال انكسار الأمَّة، والإحباط الذي اعترى كثيراً من أبنائها، خصوصاً إثر ضياع الخلافة أوائل القرن الفائت، والتي أنيطت بها مهمة الذود عن حياض الأمَّة، فقد نتَجَ عن فقدانها الهزيمة الفكرية والنفسية ممَّا تسبَّب في ضياع الهوية، وذهاب المرجعية؛ في هذه الظروف الصعبة ظهرت في الساحة حركات ترفع شعاراتٍ إسلاميةً، ونحن نحسن الظنَّ في الكثير منها إلا أنَّه قد صاحَبَ وجودها اجتهادات فردية وجماعية، ومنها ما كان مجانباً للصواب، ركبت مركب العنف لكن في وقتٍ متأخرٍ عن تاريخ تأسيسها بسبب دواعٍ سآتي على بيانها في ثنايا هذا البحث بمشيئة الله.

والواقع أنَّ أول ظهور لمصطلح التطرُّف الدينيِّ في العصر الحديث كان في فلسطين، وكان قد ظهر في أدبيات الكيان الصهيوني بين يدي بحث الشباب المسلم عن جذوره وانتمائه!. في الوقت ذاته الذي تعامى فيه ومعه العالم الغربيُّ بجناحيه الأميركي والأوربي عن الأحزاب اليمينية المتطرِّفة، وفي مقدمتها [حزب شاس] مثَلاً. والتيَّار الأصولي في الغرب، ليس خافياً على كلِّ ذي نظر.

إنَّ حركات العنف في إقليم الباسك في أسبانيا والعمليات الإرهابية التي كان يقوم بها الجيش الجمهوري الإيرلندي لم تصنَّف إرهاباً عند المجتمع الدولي الذي يكيل بمكاييل عديدة! بينما جهاد الفلسطنيين في سبيل الذود عن دينهم وأرضهم هو الإرهاب بعينه.

والذي يُؤسَفُ له أنَّ هذا المصطلح بات يُطلق في دول العالم الثالث على المعارضة التي اتخذت من التديُّن صبغةً لها! ونحن لا ننكر أنه وعبر فترة من التاريخ قد ظهر التطرُّف عند فرقاءَ محسوبين على المسلمين من أمثال الخوارج والباطنيين، وغلاة الصوفية؛ وتلاشى بعضها وما بقي منها فقد تعرَّض للنقد والتمحيص من خلال دراساتٍ مطوَّلة، وما يخضع للتلميع لها من جديد فهو على يد مؤسسَّات معادية للإسلام، ومنها على سبيل المثال: [مؤسسَّة راند] الأميركية؛ أما وجود تيَّار التكفير المعاصر فله أسبابه، وسنأتي على الحديث عنها بالمشيئة.

والهدف من تكريس أمثال هذه المصطلحات، إبقاء أثرها موجوداً في العقل الباطن للشعوب المسلمة، وتحت مصطلح تجفيف الإرهاب يتدَّخل الغرب في المنظومة الإعلامية وكذا التعليمية.

كما يهدف أيضاً إلى صرف الأنظار عن ممارسات الأنظمة الشمولية الفاسدة وعن إرهاب إسرائيل في المنطقة، ولحرف البوصلة عن اتجاهها، وتأليب

حكومات الاستبداد ضدَّ التيارات الإسلامية المعتدلة؛ ليتبع ذلك التركيز من الغرب على خطورة التطرف الإسلامي.

وما من قضية ساخنة سُلِّط عليها الضوء، وتعرضت لمساجلاتٍ فكريةٍ مثل هذا الفكر الذي لبس ثوباً أيدولوجياً فضفاضاً، وأجد من اللزام علينا أن نتناوله من خلال المنظور الإسلامي الصافي من كلِّ شائبةٍ، والبعيد عن التسطيح الإعلامي، وعن القالب الأكاديمي الجافِّ، والذي يصعب فهمُهُ على أهمِّ فئة هي بحاجةٍ إليه، وهي فئة الشباب.

والمعضلة أنَّ التنظيمات التي انتهجت مسلك العنف، باتت تتكلَّم بلسان أكثر من مليار مسلم، وتسعى بدأب لنيل الشرعية، وفرض أطروحاتها والترويج له على أنها هي الأصل، والأمر في منطق المتطرفين منتهٍ، وله أجوبته الحاسمة والجاهزة مسبقاً.

ومن المفارقة غياب المفهوم السويِّ للغلو، بين الأطراف الغالية التي ترى في غلوها اعتدالاً، وبين المفرِّطين الذين يرون لزوم دين الله غلواً.

مع الإشارة إلى أنَّ الجهة الشرعية التي تعطي التوصيف لحالة ما، على أنها من التطرُّف ليست قانوناً وضعياً أو صاحبَ هوىً أو مفكِّراً علمانياً أو مؤسَّسةً استشراقيةً أو دائرةً استخباريةً أو طاغيةً مستبدّاً! بل هي نصوص الوحي فحسب، وفهمها الصحيح وتحقيق المناط فيها على يدِ علماء ثقاتٍ تلقتهم الأمَّة بالقبول، وثمَّة صحفيَّة فرنسية رأت أنَّ خروج المسلمين للمسجد خمس

مرَّاتٍ في اليوم والليلة أمر مبالغ به ولا مسوِّغ له! أي أنه خرج عن الاعتدال المطلوب والمنسجم مع الفطرة البشرية، وهذا لا يستقيم في أيِّ حالٍ من الأحوال!. والقانون الوضعي يبيح الربا وتعاطي الكحول! فهل الممتنع عنهما إنسان متطرِّف؟!.

ناهيك أنَّ أمام المسلمين اليوم تحديات العصر ومعركة البقاء، وهم مذاهب شتَّى، ومنهجهم واحد! والمولى تعالت صفاته ينادي علينا:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥٣.

والغلو لن يزيدنا إلا تشرذماً وتفتيتاً وشقَّاً للصفّ! فإلى متى تعصف بنا عواصف التشدُّد، وهل على مرِّ الأزمان سنظلُّ ندفع ضرائب، الواحدة تلو الأخرى؟!.

وفي العصر الحديث فإن ثقافة العنف وافدة علينا وليست من صفوفنا الداخلية المحصَّنة عبر قرون من الزمن خلت، بل هي من مصادر غريبة علينا، ومن يقرأ التاريخ والتاريخ المعاصر، يعلم أن من أوراق القوة التي يمتلكها المسلمون هي طبيعة منهجهم الذي لا يدعو إلى العنف بل ينأى بأبنائه عنه، والإسلام في بعده الحضاري يتنافى مع هذه الثقافة النكراء. وسفر أبنائنا عبر البعثات وإقامتهم ردحاً من الزمن في بلاد الغرب، تسبَّبت في حمل بعضهم أفكار تمهد

لتجذُّر هذا المسلك الدخيل! ومن الأيدلوجيات الوافدة علينا في فترة سابقة، الفكر الماركسي النكد الذي أنتج الفكر الديني المتمرِّد.

والواقع الراهن يظهر أنَّ مسألة الغلو أضحت كلأً مباحاً يرتع فيه كل أحد، فتكلَّم فيها الإسلاميون والعلمانيون، والمتشدِّدون والمتساهلون، والجهلة والمثقَّفون ثقافة غير شرعية، فاختلطت المفاهيم وتنوعت الآراء، وذهبت في تقييمها مذاهب شتَّى!.

حركة الغلو أمست حالة عاطفية أكثر منها حالة فكرية، وكانت ردَّة فعل، فإلى متى نتعامل مع الوقائع هكذا! ولماذا لا تكن مواقفنا أفعالاً؟. والرغبة في التغيير دون وجود وعيٍ واقعيٍّ أو خبرةٍ سياسيةٍ، لا شكَّ أنها تقود إلى مزيدٍ من الانتكاسات! والمراهقة السياسية كانت هي السمت الثابت لجماعات العنف؛ وخذ مثلاً واضحاً لذلك، تنظيم الجماعة الإسلامية في مصر، الذي ظهرت له مراجعاتٌ بعد زمنٍ ليس باليسير. فلا بدَّ من التوصيف الصحيح لصيغة التعامل مع الأحزاب والبرلمان والانتخابات ومؤسَّسات المجتمع المدني، ليس على أساس أنها تابعة لنظام لا يحكم بالإسلام، ولكن وفق معايير أخرى لا تتنافى مع ثوابتنا وهويتنا.

وعندما تكون الأهواء هي الحاضرة في حياة المسلمين، يحدث ما نصطلح عليه بخلط الأوراق وتميُّع المفاهيم؛ قال المولى تبارك في علاه:

﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ ﴾

المؤمنون: ٧١.

ولعلَّ أكبر ضريبة يدفعها المسلمون نتيجة تبني العنف في التغيير، هي محاربة الدين وأهله تحت ذريعة محاربة الإرهاب!. ويتعيَّن علينا أن نعلم أنَّ الليبراليين لا يمكنهم الحديث عن حلول لمشكلة الغلو، كونهم لا يملكون أدوات البحث فيه، وليس لديهم بقية أو أثارة من علم، فليدَعو هذا الأمر لأهله.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ علم التخطيط الإستراتيجي المعاصر يعدُّ من أهمِّ الأسلحة في التخطيط، والتي يستخدمها خصومنا التقليديين، بغية الحفاظ على امتلاكهم لمقدَّرات المسلمين، والحيلولة دون نهوضهم من جديد، وبرزت أيضاً فنون إدارة الأزمات وإدارة الصراع، وألوانٌ من التحليل السياسيِّ من مثل اتجاهات الموازين الدولية والانكسار في النظام الدولي ومستقبل الصراع على الثروات الاقتصادية، وغير ذلك من الجوانب والدراسات المعاصرة الأخرى.

والحكمة ضالَّة المؤمن، وهي تقتضي الاستفادة من هذه العلوم، ونحن في الوسط الثقافيِّ ينبغي أن نتلمَّس الفائدة في الأبعاد الإستراتيجية المتوخَّاة، حتى نحصل على نتائجَ إيجابيةٍ ومناسبةٍ، وإذا كان أعداؤنا يتعاملون معنا برؤىً موحدَّةً، فلنذهب بالرؤى المجزَّأة بعيداً عن تفكير المسلمين واهتماماتهم.

كما تجدر الإشارة إلى أننا الآن نعيش زمن وضوح المفاهيم التي تمسُّ قضايانا المعاصرة، وما يتَّصل بمنظومة القيَم التي نعتزُّ بالالتزام بها، وندرك تماماً حجم

التحدِّيات التي نتعرَّض لها كمسلمين بشكل عام، وليس كتجمُّع حركيٍّ كما يظنُّ البعض؛ فإسلامنا هو المستهدف، ناهيك عن أننا كشفنا اللثام عن الشبهات والأباطيل، التي تُصنَّع في مكاتبَ مشبوهةٍ في الغرب، وأخرى داعمة لها في بلادنا على يد شريحةٍ من أبناء جلدتنا! رضوا على أنفسهم أن يكونوا سدنةً لقوى كبرى، وعبيداً للعمالة الثقافية!.

وفي المقابل فمن المؤسف له، أننا نعيش اليوم أيضاً زمناً أضحت فيه التجمُّعات التي سلكت مسلك تبنِّي العنف، والتي تصطبغ بصبغة التديُّن جاهزةً تحت الطلب لدى الأنظمة الشمولية، والدوائر الاستخبارتية!!.

وإنَّ اتهامنا لبعض جماعات العنف، بأنها غريبةٌ على بيئتنا، ولا تتوافق مع أدبياتنا، لا يعفينا من ضرورة مساءلة واقعنا الفكري والثقافي، لأنه حتى الخوارج من خلال الواقع التاريخيِّ، هم نتاج خياراتٍ ثقافيةٍ وسياسيةٍ واجتماعيةٍ مؤطَّرةٍ، إذ لم تظهَر في فضاء مجرَّد.

والموقف الصائب في مواجهة من يعلن الحرب على قيمنا الإسلامية، وعلى أهل الدعوة المعتدلين؛ هو أن نقف بالدعوة الموقف الصحيح، ونعطيها وجودها الطبيعي الذي تستحقُّ به دفاع الله عنها وعن أصحابها، والذي جاءت الإشارة إليه في بيان سورة الحجِّ[1]. هذا هو الأصل، وفي حال استجدَّ

---

[1] في قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾

مع المسلمين شيءٌ فنُلبِس كلَّ حالة لبوسها، كما سأوضِّح في ثنايا هذا البحث الهام؛ وكلُّ أملي أن أوفَّق إلى تأصيلٍ شرعيٍّ يفِي الغرض، ويكون فيه شفاءً لكلِّ عليل، وإرواءً لكلِّ غليل.

وآملاً أيضاً أن يكون هذا البحث منارة فكرٍ مستنيرٍ، ولبِنَةً من لبِنَات قلعةٍ مميَّزةٍ من قلاع المعرفة؛ وأن تصل آرائي في هذا الكتاب إلى كلِّ نقطة على سطح هذه المعمورة ينطق أهلها بالضادِّ، وإلى كلِّ صقعٍ من بلدان العالم الإسلامي، يدين أهله بالدين الذي ارتضاه المولى ﷻ لنا. سائلاً إيَّاه تبارك في علاه، أن لا يضيع صوتي ويُهدَر في وسطٍ من الزحام؛ وأسأله أيضاً أن لا يتَّخذ من يخالفني في آرائي في هذا الكتاب موقفاً نفسياً عدائياً، والله ينادي علينا جميعاً:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ ﴾ **الأنفال: ١.**

وبعد أن فرَغَ عليٌّ[٢] ﷺ من أصحاب الجمَل دخل عليه عمران بن طلحة بن عبيد الله[٣] فرحَّب به وأدناه، وقال: إني لأرجو الله أن يجعلني وإيَّاك من الذين قال الله ﷻ:

سورة الحج: ٣٩.

[٢] هو عليُّ بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، أبو الحسن. أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشَّرين، وابن عمِّ النبيِّ ﷺ وصهره، وأحد الشجعان الأبطال، ومن أكابر الخطباء، والعلماء بالقضاء، وأول الناس إسلاماً بعد خديجة. ولد بمكة، وربِّي في حجر النبيِّ ﷺ ولم يفارقه. قتله عبد الرحمن بن ملجم المرادي غيلةً في

﴿وَنَزَعۡنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنۡ غِلٍّ إِخۡوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾

الحجر: ٤٧.

ثمَّ أكرمه وأحسن إليه؛ وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

مؤامرة السابع عشر من رمضان المشهورة سنة ٤٠هـ. انظر الأعلام، خير الدين الزركلي، الدمشقيُّ، (٤ / ٢٩٥)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢ م.

[٣] قال عنه الحافظ الذهبيُّ رحمه الله:" قديم الوفاة، حدَّث عن: أبيه وأمه؛ حمنة، وعلي. وعنه: ابنا أخيه؛ إبراهيم بن محمد ومعاوية بن إسحاق، وسعد بن طريف. قال أحمد العجلي: تابعيٌّ، ثقةٌ. وقيل: انقرض عقبه. ويقال: ولد في حياة النبيِّ ﷺ. سيَر أعلام النبلاء، الحافظ الذهبيُّ، (٤/ ٣٧٠)، ط٣، مؤسَّسة الرسالة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

الفصل الأول

الأسباب والبواعث

لا يمكن للمفكِّر أن يختزل قضية الفقه، الذي هو بمعنى الفهم العميق النافذ الذي يتعرَّف غايات الأقوال والأفعال – على أنَّها قناعةٌ ذاتيةٌ – بل لا بدَّ من الحوار وتلاقح الأفكار. وإذا كان الله تبارك في علاه، قد أشار إلى توفُّر مساحةٍ مشتركةٍ وكبيرةٍ بيننا، وبين أهل الكتاب من خلال البيان القرآنيِّ:

﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ آل عمران: ٦.

يمكن الالتقاء ضمن أطرها، فكيف بالمساحات الواسعة القائمة اليوم بين فرَقَاء المسلمين أنفسهم؟! وحريٌّ بأهل الفكر والحركة والدعوة أن تكون صدورهم واسعة، فعندما قالت الملائكة:

﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ سورة البقرة: ٣٠.

لم يغضب المولى تباركت أسماؤه، بل قال لهم:

﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ البقرة: ٣٠.

وعندما استكبر إبليس عن السجود لم يخسف الله به، بل سمح له أن يذهب به غروره إلى أن يقول:

﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٨٢﴾ ص: ٨٢ .

وفي قصتي إبراهيم والعزير في أواخر سورة البقرة، وحوار الهدهد مع سليمان في سورة النمل، منارات هدى، لأساطين الفكر الذين تضيق صدور بعضهم بالحوار والنقد الموضوعيِّ! لأنَّه من الطبيعيِّ؛ وفي نهاية المطاف الفكرة الصحيحة هي التي ستسود؛ ويُكتَب لها الانتشار وفق القانون القرآني:

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ الرعد: ١٧.

ولو أنَّ الفِرَق التي ظهرت في القرن الأول والثاني عوملت بالقمع لكُتِب لها الانتشار، ولكن عندما عوملت بالحوار اندثرت. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٤]:" كان العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم، إذا تنازعوا في الأمر اتبعوا أمر الله تعالى في قوله:

---

[٤] هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر النميري الحراني الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، تقي الدين ابن تيمية: الإمام، شيخ الإسلام. ولد في حران وتحوَّل به أبوه إلى دمشق فنبغ واشتهر. وطُلِب إلى مصر من أجل فتوى أفتى بها فقصدها، فتعصَّب عليه جماعة من أهلها فسجن مدَّةً، ونُقِل إلى الإسكندرية. ثم أطلق

﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ النساء: ٥٩ .

وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورةٍ ومناصحةٍ، وربما اختلف قولهم في المسألة العلمية والعملية، مع بقاء الإلفة والعصمة وأخوة الدين.

إذن في الحوار بحثٌ عن أرضيةٍ مشتركةٍ تدعم التواصل الفكريَّ وتنشِّط العقل في عملية تدوير أركان المعرفة وزواياه، ممَّا يفسح المجال للولوج إلى ساحة الرفق، وحجب التناكف والتصادم والإقصاء والخروج من زاوية الانكفاء على الذات إلى الرغبة في إدارة الاختلاف وتوسيع دائرة الوعي، ثم إنَّ الحوار من خصائص البيئة السليمة غير المشوبة بدخان التعصُّب وغبار التشدُّد، هو جزء من حياة

فسافر إلى دمشق سنة ٧١٢ هـ، واعتقِل بها سنة ٧٢٠ هـ وأطلق، ثم أعيد ومات معتقلاً بقلعة دمشق، فخرجت دمشق كلها في جنازته. كان كثير البحث في فنون الحكمة، داعية إصلاح في الدين، آية في التفسير والأصول، فصيح اللسان، قلمه ولسانه متقاربان. وفي الدرر الكامنة أنه ناظر العلماء، واستدَّل، وبرع في العلم والتفسير، وأفتى ودرَس وهو دون العشرين. أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلَّد، منها: السياسة الشرعية، والفتاوى، والإيمان، ومنهاج السنة، والفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان، والصارم المسلول على شاتم الرسول، وسواها كثير. وافته المنيَّة سنة ٧٢٨ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (١ / ١٤٤)، مرجع سابق.

أهل الوعي والفكر، وركن أساسٌ أصيلٌ في منظومتهم الثقافية.

وملمحٌ ومعلمٌ مهمٌّ من معالم القرآن المنير، يشير إلى احترام رأي الآخر، وإن كان مخالفاً لرأي خصمه، يقول الباري تبارك في علاه:

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ سبأ: ٢٤

نعم من خالف الكتاب المستبين والسنَّة المستفيضة أو ما أجمع عليه سلف الأمَّة خلافاً لا يُعذَر فيه[٥] فهذا يُعَامَل بما يعامل به أهل البدع، فعائشة[٦] أمُّ المؤمنين رضي الله عنها قد خالفت ابن عباس[٧] وغيره من الصحابة في أنَّ

---

[٥] قال الشيخ عبد الفتَّاح أبو غدَّة رحمه الله في تعليقه على قوله:" لا يُعذَر فيه ": ما ألزم هذا القيد وما أدَّقه؟! والخلاف الذي لا يعُذَر فيه هو الخلاف بعد العلم ووضوح الحقّ.

[٦] هي بنت الإمام الصدِّيق الأكبر، خليفة رسول الله، أبي بكر عبد الله بن أبي قحافة؛ القرشية التيمية ،المكِّية، النبوية أمُّ المؤمنين، زوجة النبي ﷺ، أفقه نساء الأمَّة على الإطلاق. هاجر بعائشة أبواها، وتزوجها نبيُّ الله قبل مهاجره بعد وفاة الصدِّيقة خديجة بنت خويلد، ودخل بها في شوال سنة اثنتين، منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر، وهي ابنة تسع، فرَوَت عنه علماً كثيراً. انظر سيَر أعلام النبلاء للذهبي، (٢/ ١٣٥)، مرجع سابق.

[٧] هو ابن عمِّ رسول الله ﷺ انتقل مع أبويه إلى دار الهجرة سنة الفتح، وقد أسلم قبل ذلك، قال سفيان بن عيينة: لم يُدرَك مثل ابن عباس في زمانه، وفي البخاريِّ عن ابن عباس، قال:" مسح النبيُّ ﷺ رأسي، ودعا لي بالحكمة ". صاحب مدرسة في الفقه،

محمَّداً ﷺ رأى ربه، وقالت: من زعم أنَّ محمَّداً رأى ربَّه، فقد أعظم على الله تعالى الفِريَة. وجمهور الأمَّة على قول ابن عباس، مع أنهم لا يبدِّعون المانعين الذين وافقوا أمَّ المؤمنين رضي الله عنها "[٨].

وتتأكد الضرورة في هذا الوقت أكثر من أيِّ وقتٍ مضى، على توصُّل قيادات الحركات الإسلامية، ومعهم علماء المسلمين، إلى رؤيةٍ واحدةٍ مشتركةٍ للتعامل مع المستجدَّات التي تنذر بنوع من التحدِّي، ومنها ظاهرة تبنِّي العنف في التغيير عند بعض شبابنا المسلم.

ودون أدنى شكٍّ في حال افتقد الإسلاميون منهجية الحوار فإنهم سيلجئون إلى البديل، ألا وهو سبيل العنف[٩]. ويتعيَّن علينا ابتداءً أن نبيِّن أنَّ معرفة أسباب التطرف، ودراستها دراسة جادَّة هي أهمُّ بكثيرٍ من محاكمة أهله، لأنَّ تقوية جهاز المناعة في جسم الأمَّة، يوفِّر علينا ضرائب لا يعلم حدودها إلا الله جلَّ

والتفسير هي من الشهرة بمكان، توفي في الطائف سنة ثمان أو سبع وستين. انظر سيَر أعلام النبلاء للذهبي، (٣ / ٣٣١)، مرجع سابق.

٨ مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٤ / ١٧٢)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

[٩] بالرجوع إلى المعجمات اللغوية في مادة العنف، وجِدَ أنها مثلثة العين: بالرفع والفتح والكسر، وهو ضدُّ الرفق، ويعني الشديد في القول والفعل. وحقيقة العنف: أنه الشدَّة في قول أو رأي أو فعل أو حال! وهو ما يُولِّد ما يسمى بالعنف العقديِّ، والعنف العلميِّ، والعنف الفكريِّ في الرأي والفهم والتصور.

في علاه. ومن أجل التشخيص للمرض، وانطلاقاً من كوننا من الأمَّة التي من أهمِّ سماتها الوسطية، " والوسط اسم للمكان الواقع بين أمكنة تحيط به، أو للشيء الواقع بين أشياء محيطة به، ليس هو إلى بعضها أقرب منه إلى بعض عرفاً، ولما كان الوصول إليه لا يقع إلاّ بعد اختراق ما يحيط به، أخذ فيه معنى الصيانة والعزة طبعاً، كوسط الوادي لا تصل إليه الرعاة والدوابُّ إلاّ بعد أكل ما في الجوانب، فيبقى كثير العشب والكلأ، ووضعاً كوسط المملكة يُجعَل محلَّ قاعدتها، ووسط المدينة يُجعَل موضع قصبتها، لأنَّ المكان الوسط لا يصل إليه العدو بسهولة، وكواسطة العقد لأنفس لؤلؤةٍ فيه، فمن أجل ذلك صار معنى النفاسة والعزَّة والخيار من لوازم معنى الوسط "[١٠].

ثمَّ إنَّ الوسطية ليست شعاراً نظرياً، أو لافتةً جماليةً، لرفعها على رؤوس الأشهاد، إنما هي ممارسة عملية في واقع حياة المسلمين؛ قال المولى تبارك في علاه:

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ ﴾ النساء: ١٢٣.

[١٠] التحرير والتنوير، محمَّد الطاهر بن عاشور، (٢ / ١٧)، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.

قال الحافظ بن كثير[١١] في معرض تنويره لهذه الآية:" إنَّ الدين ليس بالتحلِّي ولا بالتمنِّي، وليس كلُّ من ادَّعى شيئاً حصل له بمجرَّد دعواه، ولا كلُّ من قال: إنَّه هو الحقُّ سُمِع قولُهُ بمجرَّد ذلك، حتى يكون له من الله برهان "[١٢].

من أجل ذلك كله، كان هذا البحث.

يبدأ الغلو بزاوية منفرجة تتسّع مع الزمن، تبدأ برؤيةٍ حدَّيةٍ جامدةٍ كمادة البلاستيك لا مرونة فيها، هي للذات عند صاحبها قبل الآخر، وتشكِّل هذة الرؤية البذرة الأولى لنبتة السلوك الغالي، إذن هو في أصل نشأته شتات وضلال في الفكر، يليه انحراف المشاعر، وتصدر عنه ممارساتٌ خاطئةٌ يعمل صاحبها على تكييفها وتفصيلها على المقاس الذي يخدمه ويرغب فيه.

يمتلك الغالي بعض الأفكار التي يظنُّ فيها العصمة، فيتعصَّب لها تعصُّباً مذموماً لا ضوابط تضبطه ولا حدوداً تحيط به، ثم ينظر إلى الآخر على أنه في

---

[١١] هو إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقيُّ، أبو الفداء، عماد الدين حافظٌ مؤرِّخٌ فقيهٌ. تناقل الناس تصانيفه في حياته. من كتبه البداية والنهاية، وشرح صحيح البخاري لم يكمله، وطبقات الفقهاء الشافعيين، وتفسير القرآن العظيم، والاجتهاد في طلب الجهاد، وجامع المسانيد، و اختصار علوم الحديث، وغيرها. توفي بدمشق سنة٧٧٤ للهجرة. انظر الأعلام للزركلي، (١ / ٣٢٠)، مرجع سابق.

[١٢] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، (٢/ ٤١٧)، تحقيق سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩ م.

فسطاطٍ آخرَ مخالفٍ له، ويعطيه توصيفاً جديداً على أنه مسلم لكن رقم اثنين أو ثلاثة، في الوقت الذي يمنح فيه أقرانه في الفكر شهادة الجودة ويضعهم في الصدارة والذؤابة في صفوف المسلمين.

ثم وبعد هذا التصنيف تبرز الطامَّة الكبرى، ويمتلأ فؤاده بحقد يُلبسِه لبوس الدين، يستدعي شهوة استعمال العنف معه، لاستشعار خطرٍ وهميٍّ عنده، ليس بذي شأن وليس له أساسٌ متينٌ أو ركنٌ ركينٌ، بل سرابٌ يحسبه الظمآن وفق التوصيف القرآنيِّ ماءً، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً!.

وإلى جانب التخبُّط الفكري تأتي الانفعالات النفسية التي تفقد توازن الغلاة من خلال شعورهم بأنهم ملاحقون من جهة الأجهزة الأمنية، ومحاصرين فكرياً من جهة الإسلاميين المخالفين لهم ومن جهة أصحاب التيَّارات والمذاهب الهدَّامة في المجتمع.

وثمَّة تساؤلٌ مشروعٌ: إذا كان الغلو في الدين يشكِّل ظاهرةً في حياتنا المعاصرة، فلماذا لا تموت في مهدها؟ بل يعتريها الانتشار والامتداد إلى بقاعٍ شتَّى في أنحاء المعمورة، ومن هنا فإنَّ التعرف على الأسباب هو من الأهمية بمكان؛ والأسباب هي ذاتية في مكنونات الفرد، أو في أدبيات الشخصية الاعتبارية المتمثلة في جماعةٍ ما، رفعت لافتاتٍ أيديولوجيةً، أو هي من قبيل الأسباب المكتسبة نتيجة ظروفٍ مختلفةٍ أفرزت هذه الصور من التطرُّف في المفاهيم.

وأصل ذلك إستراتيجية تمزيق الأمَّة المسلمة، والهيمنة على ثرواتها، جعلت خصوم الأمَّة تتكئ على هذا المسار النكد كوسيلة للوصول إلى غاياتهم التي تدعو للقلق، وعلى الأقل في استنزاف الطاقات الشبابية واستهلاكها في معارك خاسرة.

وممَّا ينبغي التنبُّه إليه، ضرورة البعد عن الأسلوب التبريريِّ، ولا بدَّ لنا أن نشير بخطٍّ واضحٍ، وبصوتٍ عالٍ إلى الخطأ أنَّه خطأٌ، ونضع الأمور في نصابها، وفق مرجعية إلى النصوص، وامتثالاً للأمر الرباني في بيان سورة النساء:

﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩ ﴾ النساء: ٥٩.

ثمَّ إن الخطأ لا يعالج بمثله، وفي آية سورة الأنعام استنارةٌ لنا على هذا الطريق، سدَّاً للذريعة وإغلاقاً لبابٍ لا يمكننا إشراعه نظراً للمآلات؛ قال الله ﷻ:

﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرۡجِعُهُمۡ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٠٨ ﴾ الأنعام: ١٠٨.

والأسباب التي سأتناولها بمشيئة المولى تباركت أسماؤه وتعالت صفاته، هي على سبيل التمثيل لا الحصر، لأنَّ بعض الظواهر الاجتماعية، هي من التعقيد

بمكان، فلا يمكن أن نعزوَها لسببٍ واحدٍ، أو لمجموعة أسباب محدَّدة؛ لعدم الإحاطة بها بسبب ضعفنا البشري.

وانطلاقاً أيضاً من ضرورة وجود مراجعة جذرية لظاهرة الغلوّ[١٣] في الدين – وأجدني هنا أؤثر المصطلح القرآني في سورة المائدة – كان البحث هنا مرحلةً

---

[١٣] الغلو لغةً: الزيادة على الحدَّ. وعرَّفه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فقال:" والغلو: مجاوزة الحدّ، بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمّه على ما يستحق، ونحو ذلك " – اقتضاء الصراط المستقيم، (٣٢٨/١) – ومنه التطرف، ويطلق على تجاوز حدِّ الاعتدال، إذا لم يتوسط. وقيل الغلو هو المبالغة في الشيء. ومنه الغلو في الدين، ومن معانيه: الميل والانحراف عن الطريق المستقيم، أو أن يزيد في الدين ما ليس منه؛ بحيث يتجاوز الحدَّ المشروع، أو يتشدَّد في العبادة، أو يتعسَّف في أدائها، حتى يخرج بها عن الصفة المشروعة. فكل من تعبَّد الله بغير ما شرع نوعاً أو عدداً أو صفةً فهو من الغلاة، ومن هنا أصبحت البدع في الدين نوعاً من الغلوّ والتطرُّف. وثمَّة تقاربٌ كبيرٌ من حيث المعنى بين مصطلحي الغلو والتطرف، إلا أن استعمال الإعلام الغربي مصطلح التطرف مقترناً بالإسلام، هو بحدِّ ذاته نوع من الإرهاب الفكري؛ إذ لا يمكن أن يجتمع الشيء مع ضدِّه في قالبٍ واحدٍ، فالإسلام دين التوسُّط والاعتدال، بدليل الكتاب والسنة والإجماع، شاء مَن شاء وأبى مَن أبى. والتطرُّف غريب عن تربة المنهج الإسلاميِّ كما سنرى في ثنايا هذا البحث.

من مراحل هذه المراجعة، إذ يمكننا التعرُّف على الأسباب والبواعث من خلال ما يلي، وقد آثرت أن أفردها كلَّ واحدةٍ على حدة فيسهل فهمها، وتثبت في ذاكرة القارئ الكريم:

– جهل المغالين ببعض القوانين القرآنية، ومنها ما هو على صلةٍ بموضوعنا؛ فاختلاف الناس واقعٌ وفق المشيئة الربانية:

﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ **هود: ١١٨.**

ثمَّ إنَّ المحاسبة عليه، وتقييمه بميزان الهدى والضلالة قد شاءت إرادة الله ﷻ تأجيلها إلى الدار الآخرة:

﴿ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الحج: ٦٩. وأيضاً في قوله ﷻ:

﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ **الشورى: ١٥.**

– جهلهم بسنن علم الاجتماع، ودروس التاريخ، التي تثمر معرفةً تعدُّ قاعدة للتخطيط والتنظيم، فثمَّة تكليفٌ شرعيٌّ مآله النظر في أسباب نهوض وسقوط الأمم، ومعرفة أمراضها، ولعلَّ الإسهاب في الحديث عن بني إسرائيل في القرآن كان لهذا الغرض، ودليل هذا التكليف بيان الله ﷻ القائل فيه:

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ ﴾

آل عمران: ١٣٧ – ١٣٨.

ومن المؤسف أنَّ أعداء الإسلام لم يألو جهداً في الوصول إلى هذه السنن، وتلك الدروس. لننظر على سبيل المثال، مقولة القسِّيس [نلسن] عن الجامعة الإسلامية في السلطنة العثمانية:

" إنَّ حركة هذه الجامعة قد ضعفت جدَّاً بعد خلع السلطان عبد الحميد، ولكن لا تزال في الأهالي روح تضامنٍ ملازمةٍ للإسلام؛ وهي سائدةٌ بين مسلمي سورية، إلى درجة تدعو للتبصُّر في علاقتها بزعماء الفكرة الإسلامية. إنَّ الألوف من مسلمي الأرض يتَّجهون في كل سنة إلى مكَّة، ويشربون ماء زمزم! إلا أنه بالرغم من وجود كلِّ أسباب الارتباط الخارجي، وبالرغم من وجود الاتحاد الذي يجعل لفكرة الجامعة الإسلامية قوةً حقيقيةً إلى حدٍّ يستدعي اهتمام المبشِّرين النصارى، والحكومات النصرانية. بالرغم من ذاك وهذا، فإنه يستحيل أن يكون من المسلمين عنصرٌ حيٌّ حقيقيٌّ في استطاعته أن يجمع شمل السنيِّين والشيعة معاً، ويضمُّ الأتراك والفرس والهنود إلى العرب، ليكافحوا ويدافعوا يداً واحدةً على اتفاق وثقة متبادلة .... اسمحوا لي أن أقول لكم: إنَّه يظهر لي أنَّ اجتماع المسلمين بجامعة إسلامية بكل المعنى الذي يدلُّ عليه هذا اللفظ، هو أمر وهميٌّ لا ثمرةَ له غير توليد أحلام تقلق رجال السياسة

الذين يغلب عليهم الخوف، ويعتريهم المزاج العصبي "[١٤]. فهذا الوعي عندهم يحتاج إلى تخطيطٍ ومعرفة ووعي مقابلٍ عند المسلمين.

إلى متى نعتمد نهج النأي بالذات عن فهم سنن الفرد والمجتمع والاستفادة من دروس التاريخ؟!. في ظلِّ هذا النهج لن نقطف ثمار الإصلاح إن وجد، ولن نسهم في بناء الحضارة الإنسانية، ولن نوصل صوتنا الإسلاميَّ للعالمين.

– تزييف الوعي وتضليل الإنسان وتوجيه خياراته والتأثير على قدرته في الحكم على الأشياء والأفكار؛ يدفع نحو استساغة الأفكار الأيديولوجيَّة ذات الطبيعة المحدَّدة والمغلقة التي تقفز فوق الواقع وحقائقه الموضوعيَّة.

– الفراغ الموجود في الساحة الثقافية، ومن مفرزات هذا الواقع توسُّع الغلاة في نظرية المؤامرة، التي لا يمكن نفيها بالمطلق خاصَّة في ظلِّ تصريحات أعداء الإسلام التي تواترت وتوزعت على بقاع جغرافية شتَّى! حتى وصلت إلى العالم الشرقيِّ في الصين والهند وبورما، ولم تكن مؤامرة الهندوكية والبوذية أقل تأثيراً وممارسةً على المسلمين، من الماسونية العالمية ومن الصليبية الحاقدة، ولكن التوسُّع فيها له ما بعده؛ عند الذين يمتلكون استعداداتٍ نفسيةً للغلو، ومن نتائج الفراغ الثقافيِّ أيضاً، الفهم المشوَّه للدين، ولعلَّ من أهمِّ أسبابه اعتمادهم على مصادر ضعيفة لثقافتهم، وحيث أنهم لا يمتلكون رصيداً من الثقافة

[١٤] انظر كتاب الغارة على العالم الإسلامي،[ا.ل شاتليه]، ط٢، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٣٨٧هـ.

الدينية، ففكر الواحد منهم بمثابة وعاء يقبل كلَّ ما أفرِغ فيه، ممَّا أدى ذلك إلى إطلاقٍ للأحكام هكذا جزافاً، وبدون تأصيلٍ علميٍّ، ومثاله ما رواه المفكِّر المصريُّ المعروف محمَّد الغزالي[١٥] رحمه الله أنَّ أحد المتشدِّدين الإسلاميين في مصر، أقسم بالله أمامه أنَّ الإمام أبا حنيفة[١٦] كافرٌ!. ومرَّ ذات يومٍ بمركزٍ

---

[١٥] ولد الشيخ محمَّد الغزالي في قرية "نكلا العنب"، التابعة لمحافظة البحيرة بمصر سنة ١٣٣٥هـ، نشأ في أسرة كريمة، فحفظ القرآن، وقرأ الحديث في منزل والده، انتقل إلى القاهرة والتحق بكلية أصول الدين، ثم تخصَّص في الدعوة، وحصل على درجة "العالمية" سنة ١٣٦٢هـ، وبدأ رحلته في الدعوة في مساجد القاهرة. ولم ينقطع قلمه عن كتابة المقالات وتأليف الكتب، وإلقاء الخطب والمحاضرات، وكان من ثمرة هذا الجهد الدؤوب أن صدرت له جملة من الكتب كان لها شأنها في عالم الفكر؛ وافته المنيَّة سنة ١٩٩٦م، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة. المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، ص ٢٨٤، المكتبة الشاملة الألكترونية.

[١٦] هو أبو حنيفة النعمان رحمه الله فقيه الملَّة، عالم العراق، النعمان بن ثابت، التيميُّ، الكوفيُّ، ولد سنة ثمانين في حياة صغار الصحابة، ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة. ولم يثبت له حرف عن أحد منهم، روى عن عطاء بن أبي رباح – وهو أكبر شيخ له، وأفضلهم على ما قال – وعن الشعبيِّ، وعن جبلة بن سحيم، وآخرين، وعني بطلب الآثار، وارتحل في ذلك. وأما الفقه، والتدقيق في الرأي، و غوامضه، فإليه المنتهى، والناس عليه عيالٌ في ذلك. حدَّث عنه خلقٌ كثيرٌ. وافته المنيَّة سنة ١٥٠ للهجرة. انظر سَير أعلام النبلاء للذهبي، (٦ / ٣٩٠)، مرجع سابق.

للتنظيم الذي ينتمي إليه هذا المتشدِّد، وإذ على الباب يافطة قماشية فيها دعوة لحضور محاضرة بعنوان: أبو حامد الغزالي[١٧] الكافر[١٨]!.

وبضاعتهم في الفقه المقارن مزجاةٌ، وغياب المعرفة بفقه الواقع[١٩]، وفقه المقاصد الشرعية، وفقه الموازنات.[٢٠] عند كثير منهم، أودى بهم — أعني هذا الغياب —

---

[١٧] هو محمَّد بن محمَّد، الغزاليُّ الطوسيُّ، أبو حامد، حجَّة الإسلام، فيلسوفٌ، متصوِّفٌ، له نحو مائتي مصنَّف. مولده ووفاته في الطابران – قصبة طوس– بخراسان – رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر، وعاد إلى بلدته. نسبته إلى صناعة الغزل – عند من يقوله بتشديد الزاي – أو إلى غزالة – من قرى طوس– لمن قال بالتخفيف. من كتبه: "إحياء علوم الدين" ، و"تهافت الفلاسفة"، و"الاقتصاد في الاعتقاد"، و "محكُّ النظر"، و"معارج القدس في أحوال النفس"، و"الفرق بين الصالح وغير الصالح"، و"مقاصد الفلاسفة"، و"الوقف والابتداء" في التفسير، و"التبر المسبوك في نصيحة الملوك" كتبه بالفارسية، وتُرجِم إلى العربية، وكثيرٌ غيرها. وافته المنيَّة رحمه الله سنة ٥٠٥ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٢٢:٧)، مرجع سابق.

[١٨] وكأنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية يعيش بين ظهرانيهم الآن، ورأى ضلالَهم. قال رحمه الله:" فهؤلاء أصل ضلالهم اعتقادهم في أئمة الهدى وجماعة المسلمين، أنهم خارجون عن العدل وأنهم ضالُّون! وهذا مأخذ الخارجين عن السنَّة من الرافضة ونحوهم، ثم يُعدِّون ما يرون أنه ظلم عندهم كفراً، ثم يرتبون على الكفر أحكاماً ابتدعوها!". مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٢٨ / ٤٩٧)، مرجع سابق.

[١٩] يمكن الرجوع لفهم هذا النوع من الفقه إلى كتاب: فقه الواقع. أصول وضوابط، د. أحمد بوعود، كتاب الأمَّة، قطر.

إلى فتيا خاصَّة أفتى بها أمراؤهم في المنيا في مصر منذ حوالي عقدين من الزمن، تفيد: جواز تعرُّض الفرد المسلم، مطلق الفرد بالضرب للسكارى في الشوارع، وللسيارات المحمَّلة بالخمر، ولأصحابها، ولمن يتداول أشرطة [الفيديو] المشينة، فواضحٌ أنَّ مسلك هؤلاء، يفتقر إلى عمل موازنة بين المصالح والمفاسد المترتبة على هذا الفعل[٢١]. وقد ذهب ابن قيِّم الجوزية[٢٢] رحمه الله إلى أنَّ الإنكار إلى

---

[٢٠] ومثاله: سئل الإمام أحمد عن الرجلين يكونان أميرين في الغزو، وأحدهما قويٌّ فاجرٌ، والآخر صالحٌ ضعيفٌ مع أيهما يُغزى؟ فقال: أما الفاجر القويُّ فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، فيغزى مع القويِّ الفاجر.

[٢١] كما قد حدث في عهد الرعيل الأول من الصحابة ﷺ أن شرب قدامة بن عبد الله الخمر بعد تحريمها؛ هو وطائفة معه، وتأولوا قول الله ﷻ:

﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾ **المائدة: ٩٣.**

فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب ﷺ اتفَّق هو وعليُّ بن أبي طالب ﷺ، وسائر الصحابة على أنهم إنِ اعترفوا بالتحريم جُلدوا، وإن أصرُّوا على استحلالها قُتلوا؛ وقال عمر لقدامة: أخطأت استك الحفرة. أما إنك لو اتقيَّت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر، وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب: أنَّ الله سبحانه لما حرَّم الخمر . وكان تحريمها بعد وقعة أحد . قال بعض الصحابة: فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون

ما هو أسوأ، أو إلى هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، فإنه لا يسوَّغ إنكاره، وإن كان الله يبغضه، ويمقُتُ أهلَه[٢٣].

ولا يمكننا أن نغضَّ الطرف عن تأصيلِ هامَةٍ كبيرةٍ من هامات المعرفة بالشريعة ومقاصدها، وهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، لهذه المسألة الدقيقة والتي

الخمر؟ فأنزل الله هذه الآية يبيِّن فيها أن من طعِم الشيء في الحال التي لم تحرَّم فيها، فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين. كما كان من أمر استقبال بيت المقدس. ثم إنَّ أولئك الذين فعلوا ذلك ندموا، وعلموا أنهم أخطؤوا وأيسوا من التوبة. فكتب عمر إلى قدامة يقول له:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾ **غافر: ١ - ٣**

ما أدري أيُّ ذنبيك أعظم؟! استحلالك المحرَّم أولًا ؟ أم يأسك من رحمة الله ثانيًا؟.

[٢٢] هو محمَّد بن أبي بكر الدمشقي، شمس الدين، والمعروف بابن قيِّم الجوزية. من أركان الإصلاح، وأحد كبار العلماء. تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وانتصر له في جميع ما يصدر عنه. وهو الذي هذَّب كتبه ونشر علمه، وسجِن معه في قلعة دمشق، وأهين وعذب بسببه، وطيف به على جمل مضروباً بالعصيِّ. ألَّف تصانيف كثيرة منها:" إعلام الموقعين "، و" الطرق الحكمية في السياسة الشرعية "، و" شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل "، و" زاد المعاد "، و" مدارج السالكين "، و غيرها كثيرٌ، توفي سنة ٧٥١ للهجرة. انظر الأعلام للزركلي، (٦ / ٥٦)، مرجع سابق.

[٢٣] انظر إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، (٣ / ٣)، تحقيق: محمَّد عبد السلام إبراهيم، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م. دار الكتب العلمية، بيروت.

بلغت شأواً بعيداً من الأهمية البالغة فلنمعن النظر في تحريره لها:" وإذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من أعظم الواجبات أو المستحبَّات، فالواجبات والمستحبَّات لابدَّ أن تكون المصلحة فيها راجحةً على المفسدة، إذ بهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب، والله لا يحب الفساد، بل كل ما أمر الله به فهو صلاحٌ، وقد أثنى الله على الصلاح والمصلحين، والذين آمنوا وعملوا الصالحات، وذمَّ الفساد والمفسدين في غير موضعٍ. فحيث كانت مفسدة الأمر والنهي أعظم من مصلحته، لم يكن ممَّا أمر الله به، وإن كان قد تُرك واجب وفُعِلَ مُحرَّم، إذ المؤمن عليه أن يتقِّي الله في عباد الله، وليس عليه هداهم "[٢٤].

ولمزيدٍ من البيان فمن المعلوم، ومن المؤصَّل له علمياً أنَّه لا يجوز أن يؤدِّي الأمر بالمعروف إلى انتفاء معروف أكبر منه، ولا النهي عن المنكر إلى حصول منكر أنكر منه. وعند تزاحم المصالح، نحصّل أعلاها ولو بتفويت أدناها، وعند تزاحم المفاسد ندفع أعلاها، ولو بارتكاب أدناها، فنختار خير الخيرين، وندفع شرَّ الشريَّن[٢٥]. ورسول الله ﷺ تحمَّل أذى المشركين، ولم يقاتلهم حتى قويت

[٢٤] الاستقامة، ابن تيمية، (٢ / ٢١١)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ.

[٢٥] قال أسلافنا العلماء رحمهم الله: ليس الفقيه من يعرف بأنَّ هذا مصلحة وهذا مفسدة، ولكن هو الذي يعرف خير الخيرين وشرَّ الشَّرين.

شوكتُهُ، ووجد منعة وقوة بعد أن أذن الله له في القتال، وفق بيان سورة الحج؛ قال الحافظ ابن كثير رحمه الله:" وإنما شرع تعالى الجهاد في الوقت الأليق به، لأنهم لما كانوا بمكَّة كان المشركون أكثر عدداً فلو أمر المسلمون، وهم أقلُّ من العشر بقتال الباقين لشقَّ عليهم، ولهذا لما بايع أهلُ يثرب ليلة العقبة رسولَ الله ﷺ، وكانوا نيِّفاً وثمانين قالوا: يا رسول الله ألا نميل على أهل الوادي يعنون أهل منى، فنقتلهم؟ فقال رسول الله ﷺ:" إني لم أؤمر بهذا "[٢٦]. فلما بغى المشركون وأخرجوا النبيَّ ﷺ بين أظهرهم، وهمُّوا بقتله وشرَّدوا أصحابه شذر مذر، فذهب منهم طائفة إلى الحبشة وآخرون إلى المدينة، فلما استقرَوا بالمدينة، وافاهم رسول الله ﷺ واجتمعوا عليه وقاموا بنصره، وصارت لهم دار إسلام ومعقلاً يلجئون إليه؛ شرع الله جهاد الأعداء.

والذي يمكننا قوله: إنَّ رسول الله ﷺ قد قاد، ومن معه من الفئة المؤمنة مشروعاً إصلاحياً في مكَّة، وتعرَّض أصحاب هذا المشروع لأذىً من قيادة النظام الحاكم الذي يتحكَّم في مقدَّرات الناس وأفكارهم في مكَّة، ورسول الله ﷺ لم يأذن بالمعاملة بالمثل، من قبيل الموقف الواضح والثابت لرأس السلطة الشرعية التي لم تتجسَّد بعدُ في دولةٍ تمسك بمفاصل الحكم، إذ الموازنة بين المصالح والمفاسد في مسائل مفصلية أو مصيرية، في أوقات السلم أو الحرب، تحتاج لقراءةٍ صحيحةٍ للواقع، وفهم الآثار المترتبة على الفتوى، وهل ثمَّة أبعاد

[٢٦] تفسير ابن كثير، (٥/ ٤٣٤)، مرجع سابق.

محليةٌ أو إقليميةٌ أو دوليةٌ لها، فنهى رسول الله ﷺ الصحابة عن مناجزة القوم، موضِّحاً لهم أن الفترة هي فترة عفو لا قتال[٢٧] خشية استصال المستضعفين من أهل الإيمان، وبغية منح فرصة أطول لإبلاغ الدعوة لقريش في مكَّة، قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله:" ... أنَّه تعالى نهى المؤمنين في مكَّة عن الانتصار باليد، وأمرهم بالعفو والصفح؛ لئلا يكون انتصارهم ذريعةً إلى وقوع ما هو أعظم مفسدةً من مفسدة الإغضاء واحتمال الضيم، ومصلحةٌ حفظ نفوسهم ودينهم وذريتهم راجحةٌ على مصلحة الانتصار والمقابلة "[٢٨].

وبعد قيام دولة الفكرة في المدينة اختلف الحكم في المدينة لاختلاف الحال، وكان السبب الموضوعيُّ والحكمة البالغة التي كانت من وراء موانع الردِّ بالمثل قد زالت جميع مسوغاتها؛ فواجه المسلمون الجاهلية الضاربة الأطناب بقضِّها وقضيضها، مواجهة عسكرية كانت واضحة المعالم، مستعرة الأحداث في غزوة بدر، مع قدرة بعض آحاد المسلمين على مواجهة صناديد قريش قبل تلك الغزوة. ولا يستقيم فهمنا لهذه المسألة إلا إذا علمنا أنَّ اجتهاده ﷺ في ذلك كان من قبيل الموقف الثابت خشية مفرزات صراعٍ سياسيٍّ داخليٍّ له آثاره ونتائجه! وما كان ذلك كذلك إلا ليعطينا رسول الله ﷺ إشارة إلى أنّ

---

[٢٧] قال تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجۡزِيَ قَوۡمَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤ ﴾ **الجاثية: ١٤**.

[٢٨] إعلام الموقعين عن رب العالمين، ابن قيِّم الجوزية، (٣/ ١١١)، مرجع سابق.

الاعتصام بالسلمية والصبر والعمل السياسيِّ في مرحلةٍ ما هي محرِّك للجماهير إلى رفع المظالم عن أهلها.

وفي البيان النبوي:" لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أنَّ الجنة تحت ظلال السيوف "[٢٩]. وعن شقيق عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء، ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول: ربِّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "[٣٠].

كما نلحظ تصالحه ﷺ مع قريش ليتفرَّغ لقبائل العرب، وتأجيله المواجهة مع فارس والروم لحين فراغه من مشركي جزيرة العرب، وكل ذلك من أبواب السياسة الشرعية التي تعدُّ من أهمِّ أبواب الفقه قديماً وحديثاً.

وصحيح أن الرسول ﷺ بدأ بالهجوم في جميع غزواته، لكن كان هناك سبب معيَّن ومستقل لكل غزوة كنقض عهد، أو إعداد أهل الكفر العدَّة لمحاربة المسلمين، حتى إنَّ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، لا يقول بقتال من هادن المسلمين من أهل الشرك، والرسول ﷺ لم يبدأ أحداً بالقتال، فجهاد الطلب له سببه.

---

[٢٩] صحيح البخاري: ج٣/ص١٠٨٢ ح٢٨٠٤.

[٣٠] أخرجه البخاريُّ: ج٣/ص١٢٨٢ ح٣٢٩٠، ومسلم: ج٣/ص١٤١٧ ح١٧٩٢.

ومن المعلوم عند أهل التحقيق من العلماء، أن ليس بوسع الفرد تغيير المنكر باليد فهو من مهمَّة الحاكم المسلم إذ إنَّ الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن، قال الإمام القرطبيُّ[٣١] رحمه الله:" قال العلماء: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء، يعني عوام الناس "[٣٢].

وما ذكره القرطبيُّ عن العلماء في هذه العبارة يقرِّر أصلاً عاماً، ومعناه أنَّ الولاية بما أنها صاحبة سلطةٍ وقوةٍ، يجب عليها إقامة المعروف وإزالة المنكر بالقوة.

وإن كان بالإمكان فعل ذلك على مستوى الأفراد فتحت مظلَّة الضوابط التي تعرَّض لها أسلافنا العلماء رحمهم الله. قال إمام الحرمين[٣٣]:" ويسوَّغ لآحاد

---

[٣١] هو محمَّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح، الأنصاريُّ الخزرجيُّ الأندلسيُّ، أبو عبد الله، القرطبيُّ: من كبار المفسِّرين، من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقرَّ بمنية بمصر وتوفي فيها. من كتبه:" الجامع لأحكام القرآن، و" قمع الحرص بالزهد والقناعة "، و" الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى "، و" التذكار في أفضل الأذكار"، و"التذكرة بأحوال الموتى وأحوال الآخرة "، و" التقريب لكتاب التمهيد ". كان ورعاً متعبِّداً، طارحاً للتكلُّف، وافته المنيَّة سنة ٦٧١ للهجرة. انظر الأعلام للزركلي، (٥ / ٣٢٢)، مرجع سابق.

[٣٢] تفسير القرطبيِّ، (٤/ ٤٩)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

[٣٣] هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمَّد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقَّب بإمام الحرمين. أعلم المتأخرين، من أصحاب الشافعيِّ. ولد في جوين – من نواحي

الرعيَّة أن يصدّ مرتكب الكبيرة إن لم يندفع عنها بقوله، ما لم ينته الأمر إلى نصب قتالٍ وشهر سلاحٍ، فإن انتهى الأمر إلى ذلك، رُبِط الأمر بالسلطان "[٣٤]. وقال ابن العربيِّ[٣٥]:" فإن لم يقدر إلا بمقاتلة وسلاح فليتركه، وذلك إنما

نيسابور- ورحل إلى بغداد، فمكَّة حيث جاور أربع سنين. وذهب إلى المدينة فأفتى ودرَّس، جامعاً طرق المذاهب. ثم عاد إلى نيسابور، فبنى له الوزير نظام الملك " المدرسة النظامية " فيها. كان يحضر دروسَه أكابرُ العلماء. له مصنَّفات كثيرةٌ منها: " غياث الأمم والتياث الظلم "، و " العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية "، و " البرهان " في أصول الفقه "، و " نهاية المطلب في دراية المذهب " في فقه الشافعية، و " الشامل " في أصول الدين، على مذهب الأشاعرة، و " الإرشاد " في أصول الدين، و " الورقات " في أصول الفقه، و " مغيث الخلق " أصول. توفي بنيسابور. قال الباخرزيُّ في الدمية يصفه: الفقه فقه الشافعيِّ، والأدب أدب الأصمعيِّ، وفي الوعظ الحسن البصريُّ. وافته المنيَّة سنة ٤٧٨ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٤ / ١٦٠)، مرجع سابق.

[٣٤] انظر شرح النووي على صحيح مسلم ٢٥/٢، ط٢، ١٣٩٢هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

[٣٥] هو محمَّد بن عبد الله بن محمَّد، المعافريُّ الاشبيليُّ المالكيُّ، أبو بكر ابن العربي: قاضٍ، من حفَّاظ الحديث. ولد في اشبيلية ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. صنَّف كتباً في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ. وولي قضاء إشبيلية، ومات بقرب فاس، ودفن بها سنة ٤٥٣ هـ. قال ابن بشكوال: ختام علماء الأندلس وآخر أئمتها وحفَّاظها. من كتبه:" العواصم من القواصم "، و" عارضة الأحوذي في شرح سنن الترمذيِّ "، و " أحكام القرآن "، و"

هو إلى السلطان، لأنَّ شهر السلاح بين الناس قد يكون مخرجاً إلى الفتنة، وآيلاً إلى فساد أكثر من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"[٣٦]. وهذا هو الحقُّ، والله وحده أعلم وأحكم.

ولا بأس أن أذكر هنا بأنَّ صيغة التعامل مع الفئة الباغية تستند إلى رؤية السلطان المسلم في حال وجوده، أو من يمثلها من قادة الرأي من علماء الأمَّة ودعاتها الثقات، ضمن رؤية جماعية مبنية على الشورى وعلى ضبط التحليل والاستنتاج والفهم المقاصديِّ، وكذا الظروف التي أحاطت بالحدث، وأعني به الفهم العميق للطبائع والسنن.

إنَّ تبني العنف في التغيير على مستوى الأفراد هو إحداث شلل لإرادة هذه الأمَّة! وتمزيق للنسيج الاجتماعي الذي طالما احتاج إليه المسلمون لضمان وحدة الصفِّ، ومن يخالفنا ويقول: إنَّ امتطاء الوسائل السياسية من قبَل جمهور الأمَّة ليس كفيلاً بإصلاح الخلل السياسيِّ في معظم الحالات وجلِّ الأحايين! فلنلجأ بدايةً إلى تعزيز دور الأمَّة في الدعوة إلى منظومة القيَم كي تحول دون انتشار الفساد والاستبداد، وهنا لا بدَّ أيضاً من دفع عجلة

القبس في شرح موطأ ابن أنس "، وأخرى سواها. انظر الأعلام للزركلي، (٦ / ٢٣٠)، مرجع سابق.

[٣٦] أحكام القرآن، ابن العربيِّ، (١/ ٣٨٣)، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية،١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م، بيروت.

الإصلاح إلى الأمام، وإذا كان جمهور الأمَّة قد نبذ العنف، وصلُح حاله، فلا يمكن لفئةٍ ظالمةٍ أن تقضي على توجهات الجمهور، لأنَّ الغلبة لها في الشارع.

ومن الضرورة بمكان، التنبيه على أنَّ التحام الخطاب الإسلاميِّ مع كافَّة شرائح المجتمع من أوجب الواجبات، وفي ذلك تحقيق لمصلحة الجمهور، والنظام الحاكم هو بالأصل من نتاج هذا الجمهور العريض، وهو الجهة التي تعبِّر عن جوهر فكر هذه الأمَّة وأدبياتها إيجاباً أو سلباً، فلنرتق بمستوى هذا الجمهور نحو منهج ربنا، وبذا نوفر على أنفسنا ضرائب شتَّى لا يعلم مداها إلا الباري سبحانه.

ويتعيَّن على المسلم أنَّه كلما وجد الأمَّة قد اجتمعت على أمر من أمور الدين أو الدنيا فعليه التمسكَ به، ويتمثَّل إجماع الأمة بصفوة علمائها، أو الصالحين من رؤسائها وأمرائها.

ومن فقه الأولويات تقديم خطاب الحوار، والعظة البالغة على خطاب المواجهة، كون الأول ذو جدوى وفائدة ومردود جيِّد على الدعوة، والخطاب الآخر – أعني المواجهة – له ضوابطه وظروفه ومدى واقعيته.

و" لما كانت الهداية هي الهدف النهائي للدعوة، كانت كذلك هي القيمة العليا للممارسة السياسية، وكانت سياسة القوة هي تحقيق الهداية بالقتال[٣٧].

ومقتضى ذلك يمثل أهم عناصر سياسة القوة:

- التبليغ قبل القتال.
- دعوة الأسرى.
- قبول استجارة المشرك.
- الجنوح للسلم إذا جنحوا له.
- قبول توبة من لم تصله يد القدرة:

﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ ﴾ **المائدة: ٣٤.**

وفي إطار حماية الدعوة من الاصطباغ بالصبغة العسكرية البحتة تتحدَّد العلاقة بين أساليب الحركة المتعددة والهادفة إلى تحقيق الغاية النهائية للدعوة بأساسٍ نفسيٍّ ثابتٍ.

- الحرص على إسلام الكفار، بدلاً من قتلهم وهم على الكفر.
- ترجيح الهداية على الغنائم.
- الحزن على كفر الناس والأسى على ضلالهم.
- التجرُّد من الشعور بالانتقام والقصاص.

---

[٣٧] المصحوب بالضوابط الشرعية، وفي حال وقوف أعداء الإسلام حائلاً أمام مسيرة الدعوة – الباحث –.

إنَّ الظهور العسكري البحت أو الغالب للدعوة، هو الذي سيحرمها من التعاطف الذي يمثِّل الجذور الحقيقية لحجم كيانها في الواقع.

إنَّ المعيار النهائي لبعد القوة هو حماية الدعوة من محاولة الجاهلية الهادفة إلى اقتلاع الدعوة من الواقع، أو الاستهانة بها في التعامل.

أما وصول الدعوة إلى تعامل الجاهلية كطرف له اعتباره العظيم، فإنَّ هذا يقتضي فكراً سياسيَّاً تحافظ به الدعوة على هذه المرحلة "[٣٨].

ولا يخفى على من تمكَّن من فهم هذا الدين، فهماً صحيحاً أنَّ التمسُّك بالنصِّ القطعيِّ أولى من الحرص على وحدة الأمة، ومثالُهُ: إنفاذ أبو بكر[٣٩]

---

[٣٨] التصور السياسيُّ للحركة الإسلامية، رفاعي سرور، ص ٦٣، موقع مكتبة صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية.

[٣٩] هو عبد الله بن أبي قُحَافَة، عثمان بن عامر ابن كعب التيميُّ القرشيُّ، أبو بكر: أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة، ونشأ سيِّداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش. حرَّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها. ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال. وبويع بالخلافة يوم وفاة النبيِّ ﷺ سنة ١١هـ؛ فحارب المرتدين والممتنعين عن دفع الزكاة.

افتتحت في أيامه بلاد الشام، وقسم كبير من العراق. واتفَّق له قوَّادٌ أمناء كخالدَ بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرميِّ، ويزيد ابن أبي

ﷺ جيش أسامة[٤٠] رغم وجود وجهات نظر أخرى لبعض الصحابة، وكانت حجَّتُه ﷺ تتمثَّل في قوله:" ما كنت لأحلَّ عقداً عقَدَه رسول الله ﷺ ". والتمسُّك بوحدة الأمَّة وسلامتها من الفتن، أولى من التمسك بالرأي الاجتهاديِّ، مهما بدا هذا الأخير قوياً، ومثالُهُ: تنازل عليٍّ ﷺ عن رأيه في خلافة رجلٍ من آل البيت بين يدي خلافة أبي بكر ﷺ. وثمَّة مثال آخر: عندما صلَّى عثمان[٤١] ﷺ بمِنى بالناس أربعاً، استرجع عبد الله بن مسعود[٤٢]

سفيان، والمثنَّى بن حارثة. كان موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامَّة، خطيباً لسِنَاً، وشجاعاً بطلاً. مدَّة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، توفي في المدينة سنة ١٣ هـ ". انظر الأعلام، للزركلي (٤/ ١٠٢)، مرجع سابق.

[٤٠] هو أسامة بن زيد بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمَّد: ولد بمكَّة، ونشأ على الإسلام، لأنَّ أباه كان من أول الناس إسلاماً، وكان رسول الله ﷺ يحبه حبَّاً جمَّاً، وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين. هاجر مع النبيِّ ﷺ إلى المدينة، وأمَّره رسول الله، قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفَّراً موفَّقاً. ولما توفي رسول الله رحل أسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثم انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن المزَّة، وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلى أن مات بالجرف، في آخر خلافة معاوية، وكان ذلك سنة ٥٤ هـ. له في كتب الحديث مائة وثمانية وعشرون حديثاً. وفي تاريخ ابن عساكر أنَّ رسول الله استعمل أسامة على جيش فيه أبو بكر وعمر. انظر الأعلام للزركلي، (١/ ٢٩١)، مرجع سابق.

[٤١] هو عثمان بن عفَّان بن أبي العاص بن أميَّة، ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشَّرين. من كبار الرجال الذين اعتزَّ بهم الإسلام في عهد ظهوره. ولد بمكَّة سنة ٤٧

ﷺ، ثمَّ قال: صليَّت مع رسول الله بمنى ركعتين، وصليت مع أبي بكر بمنى ركعتين، وصليت مع عمر بمنى ركعتين، فليت حظِّي ركعتان متقبَّلتان. رواه البخاريُّ، وزاد أبو داود – كما في الفتح – فقيل لعبد الله: عبْتَ عثمان ثم صليَّت أربعاً ؟! فقال: الخلاف شرٌّ.

ويؤيِّد هذا موقف هارون من سؤال أخيه موسى عليهما السلام:

ق. هـ، وأسلم بعد البعثة بقليل، من أعظم أعماله في الإسلام، تجهيزه نصف جيش العسرة بماله. صارت إليه الخلافة بعد وفاة عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٢٣هـ، فافتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبس، وأتمَّ جمع القرآن، وهو أول من زاد في المسجد الحرام والمسجد النبويِّ، واتَّخَذَ داراً للقضاء بين الناس، وكان أبو بكر وعمر يجلسان للقضاء في المسجد، ولقِّب بذي النورين، لأنَّه تزوَّج بنتي النبي ﷺ رقيَّة ثمَّ أمَّ كلثوم. نقَمَ عليه السذَّج من الناس فقتلوه صبيحة عيد الأضحى، وهو يقرأ القرآن في بيته بالمدينة سنة ٣٥ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٤/ ٢١٠)، مرجع سابق.

[٤٢] هو عبد الله بن مسعود الإمامُ الحَبرُ، فقيهُ الأمَّة، أبو عبد الرحمن الهذلي المكِّيُّ المهاجريُّ البدريُّ، كان من السابقين الأولين، ومن النجباء العالمين، شهد بدراً، وهاجر الهجرتين، ومناقبه غزيرة، روى علماً كثيراً. مات ﷺ بالمدينة، ودفن بالبقيع سنة اثنتين وثلاثين للهجرة. انظر سيَر أعلام النبلاء للذهبي، (١ / ٤٦١)، مرجع سابق.

﴿ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾ ﴾

سورة طه: ٩٢ - ٩٤.

وكذا حديث:" لولا حدَثَان قومك بالشرك لهدمت البيت، ولبنيته على قواعد إبراهيم، فألصقته بالأرض، وجعلت له بابين: شرقياً، وغربياً "[٤٣].

ومن أسباب الفهم المشوَّه أيضاً افتقار غالبية المسلمين إلى التبصُّر، والفهم الصحيح للنصوص، وخاصَّة القرآنية منها. قال الإمام أحمد بن حنبل[٤٤]: ذكر

---

[٤٣] أخرجه مالك "٣٦٣/١"، كتاب الحج: باب ما جاء في بناء الكعبة، حديث "١٠٤"، والبخاري "٢١٧٠/٨"، كتاب التفسير، حديث "٤٤٨٤"، ومسلم "٩٦٩/٢"، كتاب الحج: باب نقض الكعبة وبناؤها، حديث "١٣٣٣/٣٩٩"، والنسائيُّ "٢١٤/٥، ٢١٥"، كتاب الحج: باب الكعبة، والطحاويُّ في "شرح معاني الآثار" "١٨٥/٢"، كتاب مناسك الحج: باب ما يستلم من الأركان في الطواف، وأحمد "١٧٦/٦، ١٧٧"، كلهم من طريق مالك، عن سالم بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق ﷺ رضي الله عنه أخبر عبد الله بن عمر عن عائشة.

[٤٤] هو أحمد بن حنبل، ولد ببغداد. ونشأ منكبّاً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرة إلى الكوفة، والبصرة، ومكَّة، والمدينة، واليمن، والشام، والثغور، والمغرب، والجزائر، والعراق، وفارس، وخراسان، والجبال، والأطراف. صنَّف "المسند". وله كتب في "التاريخ"، و"الناسخ والمنسوخ"، و"الردُّ على الزنادقة فيما ادَّعت به من متشابه

النبيُّ ﷺ شيئاً فقال:"... وذاك عند ذهاب العلم. قلنا: يا رسول الله، كيف يذهب العلم، ونحن قرأنا القرآن، ونقرئُهُ أبناءنا، وأبناؤنا يقرئونه أبناءهم؟ فقال:" ثكلتك أمُّك يا ابن لبيد[٤٥]، إن كنتُ لأراك من أفقه رجل في المدينة، أو ليست هذه اليهود والنصارى بأيديهم التوراة والإنجيل، ولا ينتفعون ممَّا فيها بشيء؟!". والقرآن ذاته نبَّهنا إلى مرضٍ من أمراض بني إسرائيل كيما نكون على حذرٍ منه، وذلك في قوله:

القرآن"، و"التفسير"، و "فضائل الصحابة"، و"المناسك"، و"الزهد "، و "الأشربة"، و "المسائل "، و" العلل والرجال". وفي أيَّامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ومات قبل أن يناظرَ ابن حنبل، وتولَّى المعتصمُ، فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلِقَ سنة ٢٢٠ هـ. ولم يصبه شرٌ في زمن الواثق بالله. وافته المنيَّة سنة ٢٤١ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (١ / ٢٠٣)، مرجع سابق.

[٤٥] هو أبو نعيم الأنصاريُّ، الأوسيُّ، الأشهليُّ، المدنيُّ. ولد بالمدينة، في حياة رسول الله ﷺ وروى عنه أحاديث يرسلها. وروى عن: عمر، وعثمان، وقتادة بن النعمان، ورافع بن خديج. حدَّث عنه: بكير بن الأشج، ومحمَّد بن إبراهيم التيمي، والزهري، وعاصم بن عمر بن قتادة، وآخرون. وفي أبيه نزلت آية الرخصة ، فيمن لا يستطيع الصوم. قال البخاريُّ: له صحبة. وقال ابن عبد البر: هو أسنُّ من محمود بن الربيع. قلت: توفي ابن لبيد في سنة سبع وتسعين؛ ويقال: في سنة ستٍّ. سير أعلام النبلاء ، (٣/ ٤٨٥)، مرجع سابق.

﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾

البقرة: ٧٨.

وفي السنَّة يقول رسول الله ﷺ:" ربَّ حامل فقهٍ ليس بفقيهٍ "[٤٦]. والمجدِّد الأول لعقيدة هذه الأمَّة، ولتصوراتها عَلِمَ وبفعل استنارة الوحي، أن ثمَّةَ مفاهيم معوجَّة لهذا الدين ستعتري فكر هذه الأمَّة، فأخبر عن حركة دينامية إيجابية تأتي ليس على يدِ رجلٍ واحدٍ فقط، إذ ليس في الحديث دلالة للعدد فقال:" إنَّ الله يبعث لهذه الأمَّة على رأس كل مائة سنة من يجدِّد لها دينها "[٤٧].

هذا وفي فهم بعض شبابنا الملتزم، والذي له قراءات متواضعة، وهم يعتبرونها قوية الحجَّة ناصعة الدليل! بأنَّ قتال الكفَّار هو لأجل كفرهم، فهم يرون قتل كلِّ كافر سواء كان قادراً على القتال أو عاجزاً عنه، وسواء كان مسالماً أو محارباً، وسواء كان من الرهبان أو لم يكن، وسواء كان شيخاً كبيراً أو شاباً فتيَّاً.

ولا يستثني هؤلاء الغلاة من القتل إلا الصبيان لعدم بلوغهم، وكذا النساء؛ لأنهن يصبحن سبياً بنفس الاستيلاء عليهنَّ؛ فهنَّ كالمال. وهذا الفهم في

---

[٤٦] أخرجه ابن حبان: (١/ ٢٧٠ ، رقم ٦٧).

[٤٧] أخرجه أبو داود في سننه عن أبي هريرة ﷺ (٤٢٩١)، وهو حديث صحيح، ورواته كلهم ثقات.

ميزان الفقه، فيه من الضعف ما هو جليٌّ وواضحٌ. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[٤٨]:" فصل في قتال الكفار:" هل هو سبب المقاتلة أو مجرَّد الكفر؟ وفي ذلك قولان مشهوران للعلماء: الأول: قول الجمهور، كمالك، وأحمد بن حنبل، وأبي حنيفة وغيرهم. الثاني: قول الشافعي وربما علَّل به بعض أصحاب أحمد. فمن قال بالثاني قال: مقتضى الدليل قتل كل كافر، سواء كان رجلاً أو امرأة، وسواء كان قادراً على القتال أو عاجزاً عنه، وسواء سالمنا أو حاربنا. لكن شرط العقوبة بالقتل أن يكون بالغاً، فالصبيان لا يقتلون لذلك. وأما النساء فمقتضى الدليل قتلهن، لكن لم يقتلن لأنهن يصرن سبياً بنفس الاستيلاء عليهن، فلم يُقتلَن لكونهنَّ مالاً للمسلمين كما لا تهدم المساكن إذا ملكت. وعلى هذا القول: يقتل الرهبان وغير الرهبان لوجود الكفر. وذلك أن الله علَّق القتل لكونه مشركاً بقوله:

﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ التوبة:٥.

فيجب قتل كل مشرك، كما تحرُمُ ذبيحتُهُ ومناكحتُهُ لمجرَّد الشرك. وكما يجب قتل كل من بَدَّلَ دينه لكونه بدَّله، وإن لم يكن من أهل القتال، كالرهبان، وهذا لا نزاع فيه. وإنما النزاع في المرأة المرتدَّة خاصَّة. وقول الجمهور: هو الذي يدل عليه الكتاب والسنة والاعتبار". فشيخ الإسلام لا ينفي جهاد الطلب

[٤٨] في رسالة له بعنوان: قاعدة في قتال الكفار، هل هو لأجل كفرهم أو دفاعاً عن الإسلام؟، ص ١١٦، طبعة حامد الفقي.

لقتال من منع نشر الإسلام كما توهم البعض؛ إنما يُنكر على من يرى قتال جميع الكفَّار لمجرَّد كفرهم، فلا يستثني سوى النساء والصبيان، وهذا ما قرَّره في هذه الرسالة وفي مواضع أخرى في فتاواه، وكذا في كتابه: السياسة الشرعية. وأتمنَّى على أبنائي من الشباب الذي يتحسَّس لقضايا الأمَّة، وأنا أبارك مشاعرهم هذه وأغبطهم عليها، لكن أتمنَّى عليهم أن يدركوا أنَّ جهاد الطلب لا يكون إلا بإذن الإمام. يقول الشيخ ابن عثيمين[٤٩] رحمه الله:" لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر، فلا يجوز لأحدٍ أن يغزو دون إذن الإمام إلا على سبيل الدفاع، وإنما لم يجُزْ ذلك؛ لأنَّ الأمر منوطٌ بالإمام،

[٤٩] هو أبو عبد الله محمَّد بن صالح العثيمين الوهيبيُّ التميميُّ.كان مولده في مدينة عنيزة بالمملكة العربية السعودية. حفظ القرآن عن ظهر قلب في سنٍّ مبكرةٍ، ومختصرات المتون في الحديث والفقه. تخرجَّ من المعهد العلمي ثم تابع دراسته الجامعية انتساباً حتى نال الشهادة الجامعية من جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية في الرياض. واستمر مدرساً بالمعهد العلميِّ في عنيزة حتى عام ١٣٩٨هـ. وشارك في آخر هذه الفترة في عضوية لجنة الخطط ومنهاج المعاهد العلمية في جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلامية، وألَّف بعض المناهج الدراسية. درَّس في المسجد الحرام والمسجد النبوي في مواسم الحجِّ وشهر رمضان والعطل الصيفية، كان عضواً في هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية بالسعودية منذ عام ١٤٠٧هـ حتى وفاته في شهر شوال سنة ١٤٢١هـ. المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، ص: ٢٩٨، مرجع سابق.

فالغزو بلا إذنه افتئاتٍ وتعدٍّ على حدوده، ولأنَّه لو جاز للناس أن يغزوا بدون إذن الإمام لأصبحت المسألة فوضى".

قلت: فإن لم يكن للمسلمين إمامٌ معتبرٌ يتوافق حالُهُ مع صفات الحاكم المسلم الواردة في النصوص الشرعية، فالملاذ الآمن هو مرجعية علماء الأمَّة الثقات من خلال اجتهادٍ جماعيٍّ معتبرٍ ومعتدٍّ به.

ثمَّ إنَّه يجوز عقد المعاهدات مع الكفَّار في حال ضعف المسلمين. وفي حال ضعفهم أيضاً يُشرع الأخذ بالآيات المكيَّة التي فيها الكفُّ عن القتال، والتركيز على الدعوة. يقول الشيخ ابن باز[٥٠] رحمه الله متحدِّثاً عن واجب الإمام:" إن ضعُفَ المسلمون، استعمل الآيات المكيّة؛ لما في الآيات المكيّة من الدعوة والبيان والإرشاد، والكفِّ عن القتال عند الضعف ".

---

[٥٠] هو عبد العزيز بن عبد الله آل باز. ولد في مدينة الرياض، ضعف بصره، ثم فقده عام ١٣٥٥ هـ، حفظ القرآن الكريم قبل سنِّ البلوغ ، ثم جدَّ في طلب العلم، ولما برز في العلوم الشرعية واللغة، عُيِّن في القضاء عام ١٣٥٧هـ، لازم البحث والتدريس ليل نهار. من مشايخه: سعد بن حمد بن عتيق، وحمد بن فارس، و محمَّد بن إبراهيم. ومن أشهر طلابه: عبد الرحمن البراك، وعبد اللطيف بن شديد، وعبد الله بن حسن بن قعود، وعبد الرحمن بن جلال، وصالح بن هليل. وغيرهم. صدر الأمر الملكي بتعيينه رئيساً لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ، ثم مفتياً عاماً للمملكة، ورئيسا لهيئة كبار العلماء. وافته المنيَّة سنة ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م. انظر المعجم الجامع في تراجم العلماء، (١ / ١٦٧).

وبناءً على الواقع الذي نعيشه، فإني أهيب بالشباب المسلم أن يرجع إلى ما كتبه ابن القيِّم في إعلامه، والشاطبيُّ[٥١] في موافقاته، وابن تيمية في فتاواه؛ فلا بدَّ من أرضية علمية لفهم النصوص؛ فمعرفة قسمي النفاق مثلاً، يوفِّر علينا عنَتاً نحن في غنىً عنه فعلى الدعاة، وأصحاب المنابر، تجنب ذكر النصوص دون التعليق عليها، فيوجد من بين الذين يسمعون الحديث الشهير:" آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان"[٥٢]. من يسقطه على والده، أو أخيه، أو أيَّ شخصٍ أخلف موعداً معه، وإذا به يواجهه بقوله ﷻ:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾

النساء: ١٤٥.

جهلاً منه بعدم تمييزه بين نفاق العقيدة، ونفاق العمل، وقد جهلوا أيضاً أنَّ رسول الله ﷺ قد حكَمَ للمنافقين بحكم المسلمين بما أظهروا، ووَكلَ سرائرَهم

---

[٥١] هو إبراهيم بن موسى بن محمَّد، اللخميُّ الغرناطيُّ الشهير بالشاطبيِّ: أصوليٌّ حافظٌ، من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكية. من كتبه:" الموافقات في أصول الفقه "، و " المجالس شرح كتاب البيوع من صحيح البخاري "، و " الإفادات و الإنشادات " رسالة في الأدب، و " الاتفاق في علم الاشتقاق "، و " أصول النحو "، و " الاعتصام " في أصول الفقه، و " شرح الألفية ". وافته المنيَّة سنة ٧٩٠ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (١ / ٧٥)، مرجع سابق.

[٥٢] قال العراقيُّ: متفَّق عليه من حديث أبي هريرة.

إلى الله فحقن دمائهم، وأقرَّهم على المناكحة والموارثة، شأنهم شأن المسلمين جميعهم؛ ومن ناحيةٍ أخرى فإنَّ الحكم الشرعيَّ في بعض الأحايين لا يؤخذ من دليلٍ واحدٍ، ومثاله: عدم ردِّ الصحابيِّ لنداء الرسول ﷺ لنصٍّ عامٍّ رواه عبد الله ابن مسعود ﷺ قال: كنا نسلِّم على رسول الله ﷺ وهو في الصلاة، فيردُّ علينا، فلما رجعنا من عند النجاشيِّ سلمَّنا عليه فلم يردَّ عَلينا، فقلنا: يا رسول الله كنَّا نسلِّم عليك في الصلاة فتردَّ علينا؟، فقال: إن في الصلاة لَشُغْلاً "[٥٣]. ثمَّ جاء تخصيص آية الآنفال له، وهي قوله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ

﴿٢٤﴾ الأنفال: ٢٤.

ومثاله أيضاً: اجتهاد عليٍّ ﷺ في التي وضعت حملَهَا بعد ستَّة أشهر، وأراد عثمان رجمها، وبيانه ما حدَّث به الإمام مالك بن أنس في الموطأ أنه بلغه أنَّ عثمان بن عفان ﷺ أتي بامرأة قد ولدت في ستة أشهر، فأمر بها أن ترجم، فقال عليُّ بن أبي طالب ﷺ ليس ذلك عليها، قال الله تبارك وتعالى:

---

[٥٣] أخرجه البخاريُّ، "٧٢/٣": كتاب العمل في الصلاة: باب ما ينهى من الكلام في الصلاة، الحديث "١١٩٩"، ومسلم "٣٨٢/١"، كتاب المساجد: باب تحريم الكلام في الصلاة، الحديث "٥٣٨/٣٤".

﴿ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ﴾ الأحقاف: ١٥

وقال: ﴿ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ ﴾ لقمان: ١٤

وقال: ﴿ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ ﴾ البقرة: ٢٣٣

فالرضاعة أربعة وعشرين شهراً، والحمل ستَّة أشهرٍ، فأمر بها عثمان أن تردَّ، فوجدت قد رجمت والله أعلم[٥٤].

وهذا ابن قيِّم الجوزية يعرِّج على ضرورة حسن الفهم. يقول رحمه الله:" وينبغي أن يُفهَم عن الرسول ﷺ مرادَهُ من غير غلوٍّ ولا تقصيرٍ، فلا يُحمَل كلامُهُ على ما لا يحتمله، ولا يُقصَر به مراده، وما قصدَه من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك، والعدول عنه من الضلال على الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كلِّ بدعة وضلالة نشأت في الإسلام؛ بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، فيا محنةَ الدين وأهله! حتى صار الدين بأيدي كثير من الناس هو موجب هذه الأفهام، والذي فهمه الصحابة ومَن تَبِعهم عن الله ورسوله فمهجورٌ، لا يُلتفت إليه، ولا يَرفع هؤلاء به رأساً "[٥٥].

---

[٥٤] أخرجه في الموطأ برقم: ١٥٣١٥، والبيهقيُّ في سننه الكبرى ج ٧/ص ٤٤٣ حديث رقم: ١٥٣٢٨.

[٥٥] الروح، ابن قيِّم الجوزية، ص ٦٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

وفي التأكيد على ذات المعنى يقول في موضعٍ آخر:" ما أكثر ما ينقل الناس المذاهب الباطلة عن العلماء بالأفهام القاصرة "[٥٦].

وتحت عنوان: الفهم الصحيح نعمة، كتب رحمه الله، فأفاد وأجاد:" صحَّة الفهم، وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده، بل ما أُعطي عبد عطاء بعد الإسلام أفضل ولا أجلَّ منهما، بل هما ساقا الإسلام، وقيامه عليهما، وبهما يأمن العبد طريق المغضوب عليهم الذين فسد قصدُهم، وطريق الضالِّين الذين فسدت فهومهم، ويصير من المنعَم عليهم، الذين حسنت أفهامهم وقصودهم، وهم أهل الصراط المستقيم الذين أُمِرْنا أن نسأل الله أن يهدينا صراطهم في كل صلاة، وصحَّة الفهم نور يقذفه الله في قلب العبد، يميِّز به بين الصحيح والفاسد، والحقِّ والباطل، والهدى والضلال، والغيِّ والرشاد، ويمده حسن القصد وتحرِّي الحق وتقوى الربِّ في السرِّ والعلانية، ويقطع مادَّتَه اتباعُ الهوى، وإيثار الدنيا، وطلب محمدة الخلق، وترك التقوى "[٥٧].

ثم إنَّ بعض النصوص حمَّالة أوجه ومعظم النصوص ظنيِّة الدلالة، ولو شاء المولى لجعل جميعها محكمة، ولكن له سبحانه حكمته، ولعلَّ من وجوهها

---

[٥٦] انظر مدارج السالكين، ابن قيِّم الجوزية، (٢/ ٤٠٣)، تحقيق: محمَّد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

[٥٧] إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، (١/ ٦٩)، مرجع سابق.

التيسير على المكلفين، ومنها تحفيز الفقهاء على بذل الوسع في تعيين المراد منها، وأوضح مثال أثبته في هذا السياق ما ورد عن المربي والمعلم الأول محمَّد ﷺ فيما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبيُّ ﷺ يوم الأحزاب:" لا يصلِّين أحد العصر إلا في بني قريظة "؛ فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكِر ذلك للنبيِّ ﷺ فلم يعنِّف واحداً منهم[٥٨].

ومن حسن الفهم لفريضة الجهاد، الاستنارة بإضاءات العلامة المودودي [٥٩] رحمه الله متحدِّثاً عن هذه الفريضة التي اعتنى بها الشارع الحكيم، فبوأها مكانةً خاصَّة، يقول فيما ينقله عنه صاحب الظلال رحمه الله:" وقد انخدع كثيرٌ من

---

[٥٨] أخرجه البخاريُّ في صحيحه ج ٤/ ص ١٥١٠، حديث رقم: ٣٨٩٣.

[٥٩] هو أبو الأعلى المودودي، الإمام، الداعية، العلاَّمة. ولد في مدينة أورنج آباد جنوبي الهند. في عام ١٩٢١م، أصبح رئيس تحرير جريدة "مسلم" الأسبوعية التي كانت تصدر في العاصمة، وفي عام ١٩٣٢م بدأ إصدار مجلة "ترجمان القرآن" الشهرية، التي أصبحت الوسيلة الرئيسية لتوجيه مسلمي شبه القارة الهندية. وانتخب عام ١٩٤١م أول رئيس للجماعة الإسلامية. وقد حوكم وسجن. أسهم في إنشاء جمعية الجامعات الإسلامية كمنظمة دائمة. وفي عام ١٣٩٩هـ، مُنِح جائزة الملك فيصل تقديراً لجهوده وتضحياته في خدمة الإسلام. وافته المنيَّة سنة ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م. المرجع: تكملة معجم المؤلفين، (ص: ٨٣)، محمَّد خير يوسف، ط١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

الناس بمدلوله اللغوّي الظاهر، وحسبوا أنَّ إخضاع الناس لعقيدة الإسلام وإكراههم على قبولها، هو الجهاد في سبيل الله، وذلك أنَّ ضيق صدورهم وعدم اتِّساع مجال تفكيرهم يعوِّقهم أن يسمُوا بأنفسهم فوق ذلك، ويحلِّقوا في سماء أوسع من سمائهم، لكن الحقَّ أنَّ سبيل الله في المصطلح الإسلامي أرحب وأوسع بكثير ممَّا يتصورون، وأسمى غاية وأبعد مراماً ممَّا يظنُّون ويزعمون"[٦٠].

وكثيراً ما نجد أهل البدع والزيغ، يستدلُّون بالكتاب والسنة يحمِّلون الأحكام ما لا تحمل، ولو من وجهٍ واحدٍ، ويغبِّرون بمشتبهاتها على العامَّة، ويظنُّون أنهم على شيء وهم ليسوا كذلك، وسبحان الله! كيف أنَّ التخبُّط في المسار ليس بدعاً في عالمنا المعاصر، بل هو قديم حديث، وانتبه إليه بعضٌ من العلماء الكبار، من الذين سارت أسماؤهم مسيرة الشمس، من أمثال العالم الجهبذ، أعني الشاطبيَّ الغرناطيَّ رحمه الله، فلننظره يقول:" فلهذا كله يجب على كلِّ ناظرٍ في الدليل الشرعي، مراعاةَ ما فهم منه الأولون، وما كانوا عليه في العمل به؛ فهو أحرى بالصواب، وأقوم في العلم والعمل "[٦١].

---

[٦٠] في ظلال القرآن (٣/ ١٤٤٧)، ط٣، دار الشروق.

[٦١] الموافقات في أصول الشريعة، (٣ / ٢٨٩)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفَّان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

وفيما يتَّصل بالتأصيل الشرعي للمسائل يقول رحمه الله:" المفتي البالغ ذروة الدرجة، هو الذي يحمل الناس على العهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدَّة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال "[٦٢].

هذا في مجال الفتوى؛ وفي مجال التعامل مع الآخرين يقول الإمام عليٌّ ﷺ:" أَلا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قَالوا بلى: قال من لم يقنِّط النَّاس من رحمَة الله، ومن لم يؤيِّسهم من روح الله، ومن لم يؤمنهم من مكر الله، ولا يدع القرآن رغبَة عنه إِلى ما سواهُ؛ أَلا لا خير في عبَادة ليس فيها تفقُّه، ولا علم ليس فيه تفهُّم ولا قراءة ليس فيها تدبُّر "[٦٣].

ومن اللزام علينا أن ننتبه للمعايير التي وضعها علماؤنا الأفاضل رحمهم الله، وإلا نكون قد آثرنا الدوران في حلقة مفرغة! ولنأخذ بعضاً منها على لسان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فلننظره يقول:" جماع الفرقان بين الحق والباطل والهدى والضلال والرشاد والغيِّ وطريق السعادة والنجاة وطريق الشقاوة والهلاك، أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، هو الحقُّ الذي يجب اتبَّاعه، وبه يحصل الفرقان والهدى والعلم والإيمان، فيصدُقُ بأنه حقٌّ وصدق؛ وما سواه من كلام الناس يُعرَض عليه، فإن وافقه فهو على حقٍّ وإن

---

[٦٢] الموافقات، ٥/ ٢٧٦، مرجع سابق.

[٦٣] إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيِّد المهاجرين والأنصار، صالح العَمْري المعروف بالفُلَّاني المالكي، ص٣٢، دار المعرفة، بيروت.

خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه؟ لكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه، أو قد عرف مراده، لكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه، فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه دليل، والنافع منه ما جاء به الرسول ﷺ "[٦٤].

أي يحملهم على الوسط، فلا يخوفُّهم حتى يقنطوا من رحمة الله، ولا يرجِّيهم حتى يأمنوا من مكر الله. والإسلام كان قد نهى عن الغلو في الدين، باعتباره مؤدِّياً إلى الانفلات من جوهر أحكامه، كما حدث مع أهل الكتاب، والغلو في أحد وجوهه هو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله سبحانه:

﴿ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴾

﴿٨١﴾ طه: ٨١.

ومن فضل الله علينا أن هناك الكثير من أبناء الدعوة الإسلامية في مختلف أطيافها، يدركون أبعاد العمل الإسلاميِّ وغاياته، متفهمين لقضايا الخلاف في الفروع الفقهية، متعرِّفين على آراء الفقهاء، مدركين طبيعة العمل ضمن صفوف الصحوة المتعدِّدة، متخلِّقين بأخلاق الإسلام من احترام لآراء الغير، واستعداد لقبول الرأي الآخر، متى كان حمَّالاً لوجه من وجوه الحقِّ والصواب.

---

[٦٤] مجموع الفتاوى، (١٣ / ١٣٦)، مرجع سابق.

وفي حال غابت هذه المعاني، وهذا النوع من الفهم الصحيح، فإنَّ البديل سيكون لا محالة، هو التعصُّب. ومن المعلوم أنَّ التعصُّب يفتقد للموضوعية، ويتَّصف بالتسطيح المنكود. ثمَّ إنه يقوم على مجموعة من القوالب النمطية، والأحكام الجاهزة، والانطلاق من خلفية معيَّنة في معظم الأحيان، صادرة من شخصٍ يعاني من وضعٍ نفسيٍ معيَّنٍ، أودى به إلى اليأس والإحباط؛ وإذا رجعنا إلى أصل نشأته نلاحظ كيف أنه يترعرع في ظلِّ سياقٍ ثقافيٍّ واجتماعيٍّ تغيب فيه قيم الشورى والحرية. قال الشوكانيُّ[٦٥] في توصيفه للمتعصِّب:"

[٦٥] هو محمَّد بن عليٍّ بن محمَّد بن عبد الله الشوكانيُّ: فقيهٌ مجتهدٌ من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء. ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، باليمن، ونشأ بصنعاء. وولي قضاءها سنة ١٢٢٩هـ، ومات حاكماً بها. وكان يرى تحريم التقليد. له مائة وأربعة عشر مؤلفاً، منها: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، والبدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، و الأبحاث العرضية، وفي الكلام على حديث حبِّ الدنيا،كان في المكتبة العربية، ولعله آل إلى الظاهرية في دمشق. و إتحاف الأكابر، وهو ثبت مروياته عن شيوخه، مرتب على حروف الهجاء، والفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، والتعقبات على الموضوعات، والدرر البهية في المسائل الفقهية، وفتح القدير في التفسير، خمسة مجلدات، وإرشاد الفحول في أصول الفقه، و السيل الجرار جزآن، في نقد كتاب الأزهار، وإرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات رداً على موسى بن ميمون الأندلسيِّ اليهوديِّ في ظاهر المستند، والزنديق في باطن المعتقد، كما يقول صديق حسن خان، و تحفة الذاكرين شرح عدة الحصن الحصين، و التحف في مذهب

والمتعصِّب، وإن كان بصره صحيحاً، فبصيرته عمياء! وأذنه عن سماع الحق صمَّاء! يدفع الحقَّ، وهو يظن أنه ما دفع غير الباطل، ويحسب أنَّ ما نشأ عليه هو الحقُّ غفلةً منه وجهلاً، بما أوجبه الله عليه من النظر الصحيح، وتلقِّي ما جاء به الكتاب والسنة بالإذعان والتسليم، وما أقل المنصفين بعد ظهور هذه المذاهب في الأصول والفروع؛ فإنه صار بها باب الحق مرتجّاً، وطريق الإنصاف مستوعرةً، والأمر لله سبحانه، والهداية منه "[٦٦].

ومن مظاهر التعصُّب عدول الواقع فيه من الأدلة القطعية إلى الأدلة الظنية، ويتجرأ على الاجتهاد ويمنعه على من يخالفه، ويؤثر أقوال من يسوسه على أقوال من هو أعلى مرتبةً وأسمى منزلةً، هم إنه يستنكر مشروعية الاختلاف، ولا يقبل رأي الآخر بل يعمل جاهداً على إقصائه وتهميشه!.

هذا وقد نتج عن غياب المعرفة بأنواع الفقه التي أشرت إليها ما يلي :

* اعتبار الاجتهاد البشري القابل للخطأ في مرتبة النصِّ الدينيِّ المقدَّس صاحب العصمة، ممَّا أدى إلى تشرذم الأمَّة شيَعاً وأحزاباً، قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله:" التعصُّب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورءوس أموالهم التي بها

السلف، رسالة، والدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، رسالة، وغير ذلك. وافته المنيَّة سنة ١٢٥٠ هـ. الأعلام، للزركلي، (٦/ ٢٩٨)، مرجع سابق.

[٦٦] فتح القدير، للشوكاني، (٢/ ٢٧٧)، ط١، ١٤١٤ هـ، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.

يتَّجرون، ثم خلَفَ من بعدهم خلوف فرَّقوا دينهم، وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون، وتقطَّعوا أمرهم بينهم زبراً، وكلٌ إلى ربهم راجعون، "[٦٧].

* عدم ملازمة القرآن، وفهومه فترة افتراقه عن السلطان، كما أوصى بذلك رسول الله ﷺ [٦٨] ممَّا أدَّى إلى النأي عن إعادة صياغة المسلم من جديد، من خلال تغييرٍ جذريٍّ في فكره وسلوكه، هذا المسلم الفرد الذي يُعتبَر لبِنَةً مهمِّةً في بناء المجتمع المسلم، ممَّا يساعد في عملية التغيير وفق سنة الله التي لا تحابي أحداً.

* اعتبار حرفية النصِّ الدينيِّ وحياً وتراثاً، دون الالتفات إلى الواقع الذي يؤدِّي الجهل به إلى سيطرة التحجُّر والجمود بإبقاء باب الاجتهاد مغلقاً، وتضييق دائرة التجديد، وتغييب سماحة الإسلام وسعته، و اندثار مقاصده، والأخطر

---

[٦٧] إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، (١/ ٦)، مرجع سابق.

[٦٨] عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: خذوا العطاء ما دام عطاءً فإذا صار رشوة على الدين فلا تأخذوه، ولستم بتاركيه يمنعكم الفقر والحاجة. ألا إنَّ رحى الإسلام دائرة فدوروا مع الكتاب حيث دار. ألا إنَّ الكتاب والسلطان سيفترقان فلا تفارقوا الكتاب، ألا إنه سيكون عليكم أمراء يقضون لأنفسهم ما لا يقضون لكم فإذا عصيتموهم قتلوكم، وإن أطعتموهم أضلوكم. قالوا: يا رسول الله كيف نصنع؟ قال:" كما صنع أصحاب عيسى بن مريم نشِّروا بالمناشير، وحُمِلوا على الخشُب. موت في طاعة الله خير من حياة في معصية الله ". رواه الطبراني. ويزيد بن مرثد لم يسمع من معاذ، والوضين بن عطاء. وثَّقه ابن حبَّان وغيره، وبقية رجاله ثقات.

من هذا وذاك إلغاء الشريعة، وفاعليتها في جميع مناحي الحياة، وخاصَّة في ظلِّ الحكم الجَبْر.

ويتعيَّن علينا هنا حتى لا نسيء الفهم، أو يُزايد علينا أحدٌ، إلى أنَّ فقه الواقع، هو وبكل وضوحٍ عبارة عن اجتهاداتٍ شرعيةٍ أُعمِل العقل فيها، محكومة بمناهجَ وضوابطَ مؤصَّلة علمياً.

ولا بدَّ لشباننا من فهمٍ صحيحٍ للنصوص من خلال معرفة السياق وما يشير إليه، وعودة الضمائر في آيات القتال مثلاً، ومعرفة أسباب النزول للبعض منها، وكيف أنَّه في بعض الأحايين يكون مقيِّداً للعموم فيها؛ ومن معرفة أنَّ بعضاً ممَّا ورد في السنَّة الغرَّاء عليه كلامٌ من أهل الحديث من مثل قوله ﷺ:" بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يُعبد الله، وجعل رزقي تحت ظلِّ رمحي، وجعل الذلَّة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم ". قال ابن حجر[٦٩]: أبو منيب لا يُعرَف اسمه، وقد وثَّقه العجلي وغيره، وعبد

[٦٩] هو الإمام، محيي السنَّة الغرَّاء، قامع أهل البدع والأهواء، الشهاب الثاقب، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلانيُّ الشهير بابن حجر، ولَع بالأدب والشعر، ثم أقبل على الحديث، قال السخّاوي:" انتشرت مصنفاته في حياته، وتهادتها الملوك وكتبها الأكابر". وافته المنيَّة سنة ٨٥٢ للهجرة. انظر الأعلام للزركلي، (١/ ١٧٨)، مرجع سابق.

الرحمن بن ثابت مختلَفٌ في الاحتجاج به ". وقال المحدِّث الألباني[٧٠] في " الإرواء ": وهذا إسناد حسن؛ رجاله كلهم ثقات، غير ابن ثوبان هذا ففيه خلاف ". وقال الزيلعي[٧١] في نصب الراية: وابن ثوبان ضعيف. ومن الضرورة

---

[٧٠] هو محمَّد ناصر الدين الألباني ولد عام ١٣٣٣ للهجرة في ألبانيا، وكان والده مرجعاً للناس يعلمهم، ويرشدهم. هاجر إلى دمشق بعد أن انحرف ملك ألبانيا ببلاده نحو العلمانية. أتمَّ دراسته الابتدائية في دمشق بتفوقٍّ. وحفظ القرآن الكريم، ثمَّ درس على الشيخ سعيد البرهاني الفقهَ الحنفيَّ، وبعض كتب اللغة، و البلاغة. هذا في الوقت الذي حرص فيه على حضور دروس العلاَّمة بهجت البيطار. ثمَّ توجَّه نحو الحديث، وعلومه، حيث أصبح الاهتمام بالحديث، وعلومه شغله الشاغل حتى إن إدارة المكتبة الظاهرية بدمشق خصَّصت غرفة خاصَّة له ليقوم فيها بأبحاثه العلمية المفيدة. وما تركه من رصيدٍ علمي ينبئك عن فضله، وسعة علمه. عدَّه الشيخ بن باز مجدِّد هذا العصر، وكان العلاَّمة الشنقيطي يجلُّه إجلالاً غريباً، حتى إذا رآه مازَّاً، وهو في درسه في الحرم المدني يقطع درسه قائماً، ومسلِّماً عليه. توفِّي رحمه الله في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٠للهجرة. انظر المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين، (١ / ٣٢١)، مرجع سابق.

[٧١] هو عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي، أبو محمَّد، جمال الدين: فقيه، عالم بالحديث. أصله من الزيلع، في الصومال، ووفاته في القاهرة سنة ٧٦٢هـ. من كتبه:" نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية " في مذهب الحنفية، و" تخريج أحاديث الكشاف ". وهو غير الزيلعي " عثمان " شارح الكنز. انظر الأعلام، للزركلي (٤/ ١٤٧)، مرجع سابق.

بمكان أيضاً أن نعرف تعليق ابن حجر، وابن رجب[٧٢] على الحديث الشهير: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله "[٧٣].

على أنَّ المقصود بهم مشركي العرب وقتها، معتمدين على نصٍّ آخرَ من السنَّة إذ إنَّ بعضاً من الأحكام لا تؤخذ من دليل واحد فقط، كما أسلفت في موضعٍ سابقٍ. ومن هنا ألزم العلماء من يجتهد في أحكام الشريعة أن تتحقَّق فيه الكثير من الشروط العلمية والفكرية ليستجمع أدوات النظر الصحيح والمعرفة الشاملة.

---

[٧٢] هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب، السلاميُّ البغداديُّ ثم الدمشقيُّ، أبو الفرج، زين الدين: حافظ للحديث، من العلماء. ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق سنة ٧٩٥هـ. من كتبه: (شرح جامع الترمذي)، و (جامع العلوم والحكم) في الحديث، وهو المعروف بشرح الأربعين، و (فضائل الشام)، و (الاستخراج لأحكام الخراج)، و (القواعد الفقهية)، و (لطائف المعارف)، و (فتح الباري، شرح صحيح البخاري)، لم يتمه، و (ذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى) جزآن، و (الاقتباس من مشكاة وصية النبيِّ ﷺ لابن عباس)، و (أهوال القبور)، و (كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة)، و (التوحيد)، و (رسالة في معنى العلم). الأعلام للزركلي (٣/ ٢٩٥)، مرجع سابق.

[٧٣] أخرجه مسلم (٥٢/١، رقم ٢١)، والنسائي (٤/٦، رقم ٣٠٩٠).

ثم إنَّ نقطة الضعف عند تيَّار شكري مصطفى[٧٤] في مطلع الثلث الأخير من القرن الماضي أخذُهُ بظاهر النصِّ فقط، وهو السبب ذاته عند الحروريين[٧٥]

[٧٤] من قيادات الجماعة الإسلامية التي اتخذت طابع السرية في العمل، كان مستبدَّاً في قراراته، ودراسته بالأصل هندسة زراعية، هيأ لأتباعه بيئة متكاملة من النشاط، وشغلهم بالدعوة والعمل والصلوات والدراسة، وبذلك عزلهم عن المجتمع، والجماعة جوبهت بقوة من قبل السلطات المصرية، وخاصَّة بعد مقتل الشيخ حسين الذهبي وزير الأوقاف المصري الأسبق، وبعد مواجهات شديدة بين أعضاء الجماعة والسلطات المصرية تمَّ القبض على المئات من أفراد الجماعة، وتقديمهم للمحاكمة في القضية رقم ٦ لسنة ١٩٧٧م، التي حكمت بإعدام خمسة من قيادات الجماعة، على رأسهم شكري مصطفى، وماهر عبد العزيز بكري، وأحكام بالسجن متفاوتة على باقي أفراد الجماعة؛ وفي ٣٠ مارس ١٩٧٨م صبيحة زيارة السادات للقدس تم تنفيذ حكم الإعدام في شكري مصطفى وأقرانه. المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

[٧٥] الحرورية: طائفة من الخوارج نسبوا إلى حروراء، وهو موضع قريب من الكوفة اجتمعوا فيه حين خرجوا على عليٍّ ﷺ فعندهم أنَّه لا يُسمَّى مؤمناً إلا من أدَّى الواجبات واجتنب الكبائر. ويقولون: إنّ الدين والإيمان قول، وعمل، واعتقاد. ولكنه لا يزيد ولا ينقص، فمن أتى كبيرة كفر في الدنيا وهو في الآخرة خالدٌ مخلَّد في النار إن لم يتب قبل الموت. شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة، (ص: ٣٦)، د. سعيد القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.

الذين رآهم عبد الله بن عمر[٧٦] رضي الله عنهما من شرار خلق الله، معلِّلا ذلك بانطلاقهم " إلى آياتٍ أنزلت في الكافرين فجعلوها على المؤمنين، وعندما علم سعيد بن جبير[٧٧] رحمه الله بهذا الرأي فيهم، من نافع مولى ابن عمر سُرَّ بذلك، وقال معقباً: ممَّا يتبع الحروريةُ من المتشابه قول الله تعالى:

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

سورة المائدة: ٤٤.

---

[٧٦] هو عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي، أبو عبد الرحمن: صحابيٌّ، من أعزِّ بيوتات قريش في الجاهلية. كان جريئاً جهيراً. نشأ في الإسلام، وهاجر إلى المدينة مع أبيه، وشهد فتح مكَّة. ومولده ووفاته فيها. أفتى الناس في الإسلام ستِّين سنة. ولما قتل عثمان ﷺ عرض عليه نفرٌ أن يبايعوه بالخلافة فأبى. وغزا إفريقية مرتين: الأولى مع ابن أَبي سَرْح، والثانية مع معاوية بن حديج سنة ٣٤هـ، وكُفَّ بصره في آخر حياته. وهو آخر من توفي بمكَّة من الصحابة. وفي الإصابة: قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: مات ابن عمر، وهو مثل عمر في الفضل، وكان عمر في زمان له فيه نظراء، وعاش ابن عمر في زمان ليس له فيه نظير، وافته المنيَّة سنة ٧٣ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٤/ ١٠٨)، مرجع سابق.

[٧٧] هو الإمام الحافظ المقرئ المفسِّر الشهيد، أبو محمَّد، كان من كبار علماء التابعين، قرأ القرآن على ابن عباس رضي الله عنهما، قال أشعث بن إسحاق: كان يقال:" سعيد بن جبير جهبذ العلماء ". قتله الحجَّاج في شعبان سنة خمس وتسعين للهجرة. انظر سيَر أعلام النبلاء للذهبي، (٤ / ٣٢١)، مرجع سابق.

ويقرنون معها:

﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ١ ﴾ سورة الأنعام: ١.

فإذا رأوا الإمام يحكم بغير الحقِّ قالوا: قد كفر، ومن كفر عدَل بربه فقد أشرك، فهذه الأمَّة مشركون، فيخرجون فيقتلون ما رأيت لأنهم يتأولون هذه الآية، وهو الناشئ عن الجهل بالمعنى الذي نزل فيه القرآن. وقال نافع[٧٨]: إنَّ ابن

[٧٨] هو نافع مولى ابن عمر أبو عبد الله، أحد الأئمة الكبار بالمدينة، بربري الأصل، وقيل: نيسابوري، وقيل: كابلي، وقيل: ديلمي، وقيل: طالقاني. روى عن: مولاه، وعائشة، وأبي هريرة، وأم سلمة، ورافع بن خديج، وطائفة. وعنه: أيوب، والزهري، وبكير بن الأشج، وابن عون، وعبيد الله بن عمر، وابن جريج، وعقيل، والأوزاعي، ويزيد بن الهاد، وخلق كثير. قال البخاري: أصحُّ الأسانيد: مالك، عن نافع، عن ابن عمر. وقال عبيد الله بن عمر: بعث عمر بن عبد العزيز نافعاً إلى أهل مصر يعلمهم السنن. وقال الأصمعي: حدثنا العمري، عن نافع قال: دخلت مع مولاي على عبد الله بن جعفر فأعطاه في اثني عشر ألفاً، فأبى وأعتقني أعتقه الله. وروى مطرف بن عبد الله، عن مالك قال: كان في نافع حدَّةٌ، ثم حكى أنه كان يلاطفه ويداريه، وقيل: كان في نافع لكنةٌ. وقال إسماعيل بن أميَّة: كنَّا نردُّ على نافع اللحن فيأبى. وقال عبد العزيز بن أبي رواد: احتضر نافع فبكى، فقيل: ما يبكيك؟ قال: ذكرت سعد بن معاذ، وضغطة القبر. قال حماد بن زيد، وابن سعد، وعدَّة، توفي نافع سنة سبع عشرة ومائة. وقال ابن عيينة وأحمد: مات سنة تسع عشرة. انظر تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير

عمر كان إذا سئل عن الحرورية قال: يكفِّرون المسلمين، ويستحلّون دمائهم، وأموالهم، وينكحون النساء في عُدَدِهِنَّ، وتأتيهم المرأة فينكحها الرجل منهم، ولها زوجٌ فلا أعلم أحداً أحقُّ بالقتال منهم "[٧٩]. وحسب الناس أن يجتمعوا على ما يصير به المسلم مسلماً، كما قال زيد[٨٠] رحمه الله. واستطردت هنا في

وَالأعلام، شمس الدين الذهبي، (٣/ ٣٢٨)، تحقيق د. بشَّار عوّاد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.

[٧٩] الاعتصام، الإمام الشاطبي، ج٢ ص٦٩٣، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط١، دار ابن عفَّان، السعودية، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.

[٨٠] هو زيد بن عليٍّ بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب: الإمام، أبو الحسين، العلويُّ الهاشميُّ القرشيُّ. ويقال له: (زيد الشهيد)، عدَّه الجاحظ من خطباء بني هاشم. وقال أبو حنيفة:" ما رأيت في زمانه أفقه منه، ولا أسرع جواباً، ولا أبين قولاً ". كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء، واقتبس منه علم الاعتزال. وأشخص إلى الشام، فضيَّق عليه هشام بن عبد الملك، وحبسه خمسة أشهر. وعاد إلى العراق ثم إلى المدينة، فلحق به بعض أهل الكوفة يحرضونه على قتال الأمويين، ورجعوا به إلى الكوفة سنة ١٢٠ هـ فبايعه أربعون ألفاً على الدعوة إلى الكتاب والسنة، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، ونصر أهل البيت. وكان العامل على العراق يومئذ يوسف بن عمر الثقفي، فكتب إلى الحكم بن الصلت، وهو في الكوفة أن يقاتل زيداً، ففعل. ونشبت معارك انتهت بمقتل زيد، في الكوفة، وذلك سنة ١٢٢ هـ، وحمل رأسه إلى الشام فنصب على باب مشق. ثم أرسل إلى المدينة فنصب عند قبر

هذا النقل التاريخي قليلاً لأبيِّن أوجه التشابه بين هؤلاء، و بين تيَّار شكري مصطفى الذي ردَّ عليه عليه بعض أهل العلم الذين جمعوا بين الفقه والدعوة، فجاء ردُّهم موفَّقاً أيَّما توفيق؛ ومرَّة أخرى ولتتضح لنا طبيعة الجهاد في الإسلام نرى مفَّكراً من أمثال محمَّد الغزالي رحمه الله يقول:" ولذلك منذ ولِدَ الإيمان في الأرض ولِدَ الجهاد معه! وهو لم يشقَّ طريقه في الحياة إلا على ركامٍ من أجداث الشهداء، وقد استمعنا إلى رسل الله، وهم أحسن الناس بياناً، وأعفُّهم غرضاً، وأصدقهم كفاحاً، يحاولون بالإقناع المجرَّد أن يصلوا إلى الأفئدة المغلقة، فما حدث لهم وبماذا أجيبوا؟ إننا نستقرئ القرون السالفة فلا نجد إلا أقواماً:

النبيِّ ﷺ يوما وليلة، وحمل إلى مصر فنصب بالجامع، فسرقه أهل مصر ودفنوه. انظر الأعلام، للزركلي، (٣/ ٥٩)، مرجع سابق.

﴿جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فِيٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَقَالُوٓاْ إِنَّا كَفَرۡنَا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَنَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٩﴾ **إبراهيم: ٩.**

وليتهم سكتوا عن ذلك! فما هي إلا الأيام حتى نستمع إلى دويِّ السلطة الغائبة يتكشَّف عن هذا الإنذار:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ﴾ **إبراهيم: ١٣.**

فإن تكن الدولة للكفر تمنحه في الحياة هذا المنطق العنيد، فمن البداهات التي يجب ألا تناقش أن تكون للإيمان هو الآخر الدولة التي يدفع بها عن نفسه في بيئته الأولى، ووطنه الذي يأرز إليه، ويحتمي به، والدولة التي يساندها أشياعه في سائر بلاد العالم، بل التي يحارب بها الظلم حيث كان، وقد بدا الإسلام كذلك؛ فرسول الله ﷺ طردته الدولة القائمة بمكَّة فكان أن أسَّس دولته بالمدينة ... ثم استعاد ما فقده أول أمره. فلما نهضت الدولة الإسلامية الأولى على قدميها كان عملها الأول أن ساقت جيوش التحرير أفواجاً لتدكَّ الكسروية المتكبِّرة في فارس، والقيصرية الباغية في الروم، ولتمنح حقَّ الحياة الكريمة للجماهير التي ترنَّحت دهراً تحت وطأة هذه السلطات السفيهة "[٨١].

[٨١] من هنا نعلم، ص ٣٨، ط ٥، دار الكتب الحديثة، مصر.

وأمَّا على مستوى تكفير الأفراد، فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" إنِّي من أعظم الناس نهياً عن أن يُنسَب معيَّنٌ إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا عُلِم أنه قد قامت عليه الحجَّة الرسالية التي مَن خالفَهَا كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى. وإني أقرِّر أنَّ الله قد غفر لهذه الأمة خطأها وذلك يعمُّ الخطأ في المسائل الخبرية القولية والمسائل العملية؛ وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحدٌ منهم على أحد لا بكفر ولا بفسق ولا معصية "[٨٢]. يمكن للأمَّة البناء على كلام شيخ الإسلام، والله وحده أعلم وأحكم.

وقال العلامة الشيخ سليمان بن سحمان[٨٣] رحمه الله:" ومن علامات صاحب البدعة: التشديد، والغلظة، والغلو في الدين، ومجاوزة الحدِّ في الأوامر والنواهي،

---

[٨٢] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٣ / ٢٢٩)، مرجع سابق.

[٨٣] هو سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان، النَّجديُّ، الدوسريُّ بالولاء: كاتبٌ فقيهٌ، له نظم فيه جودة، من علماء نجد. ولد في قرية (السَّمَّا) (بتخفيف القاف) من أعمال (أبها) في عسير. وانتقل مع أبيه إلى الرياض، أيام فيصل بن تركي، فتلقَّى عن علمائها: التوحيد والفقه واللغة. وتولى الكتابة للإمام عبد الله بن فيصل، برهة من الزمن، ثم تفرغ للعلم. وصنَّف كتباً ورسائل، منها: (الضياء الشارق في ردِّ شبهات الماذق المارق) في الرد على كتاب لجميل صدقي الزهاوي، و (الهدية السنية)، و (تبرئة الشيخين)، و (منهاج أهل الحق والاتّباع) رسالة، و (الصواعق المرسلة)، و (إرشاد الطالب إلى أهمِّ المطالب)، و (إقامة الحجَّة والدليل)، و (الفتاوى)، وديوان شعر سماه:

وطلب ما يعنت الأمة ويشقُّ عليهم ويحرجهم ويضيق عليهم في أمر دينهم، وتكفيرهم بالذنوب والمعاصي إلى غير ذلك ممَّا هو مشهود مذكور من أحوال أهل البدع "[٨٤].

ومما يتفطَّر له القلب أنَّ أناساً في العقود الأخيرة قد ضلُّوا طريق الحقِّ، في الوقت الذي زعموا فيه التزامهم منهج الكتاب والسنَّة، ومنهج السلف، وإجماع الأمَّة، ومنهج الاحتكام إلى الشريعة، فشكلوا فصائل مسلحة في الجزائر، وكفَّروا المجتمع، وقالوا بكفر بعض قيادات العمل الإسلامي كعبَّاس مدني[٨٥]، وعلي بلحاج[٨٦]، وأسموهم بالشرذمة القيادية!!. وما قام به بعض الشباب منذ

(عقود الجواهر المنضدة الحسان)، وغير ذلك. كُفَّ بصره في آخر حياته، توفي في الرياض سنة ١٣٤٩هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٣/ ١٢٦)، مرجع سابق.

[٨٤] انظر كتابه منهاج أهل الحق والإتباع في مخالفة أهل الجهل والابتداع، وهو كتاب انتقد فيه الغلو، وأنكر على أهله، وفنَّد ما يظنونه حجَّة لهم.

[٨٥] هو من الوجوه البارزة في الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، وقد ترأسها ردحاً من الزمن. المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

[٨٦] هو الشيخ علي بلحاج من المؤسِّسين البارزين لحزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر، وهو أيضاً من الأعضاء المؤسِّسين لرابطة الدعوة الإسلامية. تأثَّر بالشيخ عبد اللطيف السلطاني، والشيخ سحنون، ودرس على يد الشيخ العرباوي رحمه الله: التوحيد وأصول الفقه، والفقه المقارن، ومن القدامى عكف على دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيِّم رحمهما الله؛ وهو ممَّن تصدَّوا بوقت مبكر

زمنٍ ليس ببعيدٍ، وباسم الإسلام من تفجيراتٍ في مكَّة المكرمة قبلة المسلمين التي حرَّمها الله سبحانه؛ وأوجب تأمين من دخلَها، وكانت الجاهلية تعرف ذلك، فكان الرجل يلقى قاتل أبيه أو أخيه، فلا يؤذيه بشيءٍ تعظيماً لهذه البقعة المباركة الطاهرة. وقد توعَّد الله ﷻ من همَّ فيه بالإلحاد والظلم أو أراد أحدهما، بالعذاب الأليم؛ فكيف بمن فعله؟!. ولما فتح الله على نبيه ﷺ مكَّة المكرمة، خطب الناس وقال:" إنَّ الله حرَّم مكَّة، فلم تحلَّ لأحدٍ قبلي، ولا تحلُّ لأحدٍ بعدي، وإنما أُحلِّت لي ساعةً من نهار، لا يختلى خلاها، ولا يُعضَد شجرها، ولا ينفر صيدها، ولا تلتقط لقطتها، إلا لمعرِّف"، وقال العباس[٨٧]: يا

لانحرافات الخميني ومذهبه. كان يوصي إخوانه أن يجعلوا من الأحزاب وسائل لا غايات، وأن يبتعدوا عن التعصُّبِّ المذهبي. المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

[٨٧] هو العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الفضل: من أكابر قريش في الجاهلية والإسلام، وجدُّ الخلفاء العباسيين. قال رسول الله ﷺ في وصفه: أجود قريش كفَّاً وأوصلها، هذا بقية آبائي!. وهو عمُّه. وكان محسناً لقومه، سديد الرأي، واسع العقل، مولعاً بإعتاق العبيد، كارها للرق، وكانت له سقاية الحاجِّ وعمارة المسجد الحرام، أسلم قبل الهجرة وكتم إسلامه، وأقام بمكة يكتب إلى رسول الله ﷺ أخبار المشركين. ثم هاجر إلى المدينة، وشهد وقعة حنين، فكان ممَّن ثبت حين انهزم الناس، وشهد فتح مكَّة. وعَمِي في آخر عمره. وكان إذا مرَّ بعمر في أيام خلافته ترجَّل عمر إجلالاً له، وكذلك عثمان؛ كانت وفاته في المدينة عن عشرة أولاد ذكور سوى الإناث، وذلك سنة ٣٢ هـ. انظر الأعلام، للزركلي، (٣/ ٢٦٢)، مرجع سابق.

رسول الله، إلا الإذخر، لصناعتنا وقبورنا؟ فقال:" إلا الإذخر". وعن خالد، عن عكرمة، قال: هل تدري ما لا ينفر صيدها؟ هو أن ينحِّيه من الظلِّ ينزل مكانه[٨٨]. فإذا كان الصيد والشجر محترميَن في هذا البلد الحرام، فكيف بحال المسلم الذي هو أشدُّ حرمة عند الله سبحانه من بيته الحرام؟!. فهكذا ممارسات تضع إشارة استفهام كبيرة حول فاعليها، ويندرج أصحابها تحت قوله ﷺ:" يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان ". وهذا الجيل مع الأسف هم فكرياً من أحفاد ذي الخويصرة[٨٩] ونافع بن الأزرق[٩٠]، ومَن على شاكلتهم

---

[٨٨] أخرجه البخاريُّ، (٣/ ١٤).

[٨٩] هو حرقوص بن زهير بن السعدي، الملقب بذي الخويصرة: صحابيٌّ، من بني تميم. خاصم الزبير فأمر النبيُّ ﷺ باستيفاء حقه منه، وأمره عمر بن الخطَّاب بقتال (الهرمزان)، فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها. ثم شهد صفين مع عليٍّ. وبعد الحكمين صار من أشدِّ الخوارج على عليٍّ، فقتِل فيمن قتل بالنهروان. وفي سيرته اضطراب. مات سنة ٣٧ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٢/ ١٧٣)، مرجع سابق.

[٩٠] هو نافع بن الأزرق بن قيس، الحنفيُّ، البكريُّ، الوائليُّ، الحروريُّ، أبو راشد: رأس الأزارقة، وإليه نسبتهم. كان أمير قومه وفقيههم، من أهل البصرة. صحب في أول أمره عبد الله بن عباس؛ وله أسئلة رواها عنه، قال الذهبيُّ: مجموعة في (جزء)، أخرج الطبراني بعضها في مسند ابن عباس من المعجم الكبير. وكان هو وأصحاب له من أنصار الثورة على عثمان ﷺ، ووالوا علياً، إلى أن كانت قضية (التحكيم) بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، فاجتمعوا في (حروراء)، وهي قرية من ضواحي الكوفة،

من خوارج العصر الأول، الذين كانوا يرون حرمة أكل التمرة الملقاة في الطريق، وقتل الخنزير إفساداً في الأرض!. بينما كان قتلهم للصحابي عبد الله بن خبَّاب وزوجته[٩١] رضي الله عنهما قربى إلى الله ﷻ!. ولا يسعني هنا إلا أن أستعير عنوان كتابٍ للعلامة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد[٩٢]، فأقول: رفقاً يا أهل السنَّة بأهل السنَّة!.

ونادوا بالخروج على عليٍّ ﷺ، وعرفوا لذلك، هم ومن تبع رأيهم، بالخوارج. انظر الأعلام للزركلي، (٣٥١/٧)، وميزان الاعتدال للحافظ الذهبي، (٢٤١/٤)، تحقيق علي محمَّد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.

[٩١] ثارت الخوارج على عليٍّ ﷺ، وأنكروا عليه كونه حكَّم الحكمين، وقالوا: حكمَّت في دين الله الرجال، ... فناظرهم، ثم أرسل إليهم عبد الله بن عباس، فبيَّن لهم فساد شبههم، وفسَّر لهم، فرجع إلى الصواب منهم خلقٌ، وسار الآخرون، فلقوا عبد الله بن خباب بن الأرت، ومعه امرأته فقالوا: من أنت؟ فانتسب لهم، فسألوه عن أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، فأثنى عليهم كلهم، فذبحوه وقتلوا امرأته، وكانت حبلى، فبقروا بطنها، وكان من سادات أبناء الصحابة!. انظر تاريخ الإسلام، للذهبي، (٣٣٣/٢)، مرجع سابق.

[٩٢] هو الشيخ المحدِّث الفقيه العلامة السلفيُّ الزاهد الورع، عبد المحسن بن حمد العباد البدر حفظه الله، ولد بالزلفي. درس ونال الشهادة الابتدائية فيها، ثم انتقل إلى الرياض، ودخل معهد الرياض العلمي، ثم التحق بكلية الشريعة بجامعة الإمام بالرياض، ودرس على يد العلماء الكبار، أمثال: الشيخ محمَّد بن إبراهيم والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ محمَّد الأمين الشنقيطي والشيخ عبد الرحمن الأفريقي والشيخ عبد الرزاق

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعليقاً على قوله ﷺ في الخوارج:" شرُّ قتلى تحت أديم السماء خير قتيل من قتلوه "[٩٣]:" أي إنهم شرٌّ على المسلمين من غيرهم! فإنهم لم يكن أحدٌ شرَّاً على المسلمين منهم لا اليهود ولا النصارى! فإنهم كانوا مجتهدين في قتل كل مسلم لم يوافقهم، مستحلِّين لدماء المسلمين وأموالهم وقتل

أولادهم مكفِّرين لهم، وكانوا متدينين بذلك، لِعظَم جهلهم وبدعتهم المضلِّة ". قلت: ومن آثار جهلهم وابتداعهم اللذيْن أشار إليهما شيخ الإسلام أنهم كفَّروا عليَّ بن أبي طالب، وقاتلوه، ثم قتلوه غيلة وغدراً!!. متقربين إلى الله بسفك دمه الطاهر رضي الله عنه حتى قال شاعرهم في مدح قاتله[٩٤]، ويا لفداحة ما قال:

عفيفي، رحمهم الله أجمعين. عُيِّن مدرساً بالجامعة الإسلامية في عام إنشائها ١٣٨١هـ، وللشيخ مؤلفات عديدة. انظر المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، ص: ١٩٧، مرجع سابق.

[٩٣] أخرجه أحمد في مسنده، (٣٦/ ٥١٨).

[٩٤] هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي التدؤلي الحميري: فاتك ثائر، من أشدِّاء الفرسان. أدرك الجاهلية، وهاجر في خلافة عمر، وقرأ على معاذ بن جبل، فكان من القرَّاء وأهل الفقه والعبادة. ثم شهد فتح مصر وسكنها فكان فيها فارس بني تدؤل. وكان من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وشهد معه صفِّين. ثم خرج عليه، فاتفق مع (البرك) و (عمرو بن بكر) على قتل عليٍّ، ومعاوية، وعمرو بن العاص، في ليلة

يا ضربة من تقيٍّ ما أراد بها إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوماً فأحسبه أوفى البـريَّة عنـد اللـه ميـزانـا

ولم يألَ سلفنا الصالح ﷺ في إظهار الحقِّ في مواقف عديدة، فحدَث أن سمع عمّار بن ياسر [٩٥]ﷺ وكان قد جاوز الرابعة والتسعين عاماً، رجلاً بجواره

واحدة (١٧ رمضان)، وتعهَّد البرك بقتل معاوية، وعمرو بن بكر بقتل عمرو ابن العاص، وتعهد ابن ملجم بقتل عليٍّ، فقصد الكوفة، واستعان برجل يدعى شبيباً الاشجعي، فلما كانت ليلة ١٧ رمضان كمنَا خلف الباب الذي يخرج منه عليٌّ لصلاة الفجر، فلما خرج ضربه شبيب فأخطأه، فضربه ابن ملجم فأصاب مقدم رأسه، فنهض من في المسجد، فحمل عليهم بسيفه فأفرجوا له، وتلقَّاه المغيرة بن نوفل بقطيفة رمى بها عليه، وحمله وضرب به الأرض، وقعد على صدره. وفرَّ شبيب، وتوفي عليٌّ ﷺ من أثر الجرح. وفي آخر اليوم الثالث لوفاته أحضِر ابن ملجم بين يدي الحسن فقال له: والله لأضربنك ضربة تؤديك إلى النار. فقال ابن ملجم: لو علمت أن هذا في يديك ما اتخذت إلهاً غيرك ! ثم قطعوا يديه ورجليه، وهو لا ينفكُّ عن ذكر الله. فلما عمدوا إلى لسانه شقَّ ذلك عليه، وقال: وددت أن لا يزال فمي بذكر الله رطباً. فأجهزوا عليه، وذلك في الكوفة سنة ٤٠ هـ. وقيل: أحرق بعد قتله. الأعلام، للزركلي، (٣/ ٣٣٩)، مرجع سابق.

[٩٥] هو عمَّار بن ياسر بن عامر، الكنانيُّ المذحجيُّ العنسيُّ القحطانيُّ، أبو اليقظان: صحابيٌّ، من الولاة الشجعان ذوي الرأي. وهو أحد السابقين إلى الإسلام والجهر به. هاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق وبيعة الرضوان. كان النبيُّ ﷺ يلقبه بـ "

يقول: كفر أهل الشام، فنهاه عمَّار عن ذلك، وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحدٌ ونبيُّنا واحدٌ وقبلتنا واحدةٌ. بيْد أنه في المقابل كان أصحاب الباطل ينشطون نشاطاً لا نظير له ضدَّ أهل الحقِّ في بعض الأحايين، فقد كان عبد الله بن سبأ[٩٦] يبثُّ دعوتَه بخبث وتدرُّج ودهاء. واستجاب له ناسٌ من مختلف الطبقات، فاتَّخذ بعضَهم دعاةً فهموا أغراضه وعوَّلوا على تحقيقها. واستكثر أتباعه بآخرين من البلهاء الصالحين المتشدِّدين في الدين، المتنطِّعين في العبادة! ممَّن يظنُّون الغلوَّ فضيلة، والاعتدال تقصيراً. فلما انتهى ابن سبأ من تربية نفرٍ من الدعاة الذين يحسنون الخداع، ويتقنون

الطيب المطيَّب "، وفي الحديث:" ما خيِّر عمار بين أمرين إلا أختار أرشدهما ". وهو أول من بنى مسجداً في الإسلام، بناه في المدينة وسمَّاه قباء، وولاه عمر الكوفة، فأقام زمناً وعزله عنها. شهد الجمل وصفِّين مع عليٍّ. وقتل في الثانية، وعمره ثلاث وتسعون سنة، وكان ذلك عام ٣٧ هـ. الأعلام للزركلي، (٥/ ٣٦)، مرجع سابق.

[٩٦] هو عبد الله بن سبأ، من غلاة الزنادقة، ضالٌّ مضِلٌّ، أحسب أن عَلِيًّا حرقه بالنار. وقال الجورجاني: زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء، وعلمه عند عليٍّ! فنفاه عليٌّ بعد ما همَّ به. قال ابن عساكر في تاريخه: كان أصله من اليمن، وكان يهودياً فأظهر الإسلام، وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة، ويُدخل بينهم الشرَّ، ودخل دمشق لذلك في زمن عثمان. له أتباع يقال لهم السبئية، يعتقدون إلوهية عليِّ بن أبي طالب!! وقد أحرقهم عليٌّ بالنار في خلافته. انظر لسان الميزان، بن حجر العسقلاني، (٤/ ٤٨٣)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية،٢٠٠٢ م.

تزوير الرسائل، واختراع الأكاذيب، ومخاطبة الناس من ناحية أهوائهم، بثَّ هؤلاء الدعاة في الأمصار، ولا سيَّما الفسطاط والكوفة والبصرة؛ وعُني بالتأثير على أبناء الزعماء من قادة القبائل، وأعيان المدن الذين اشترك آباؤهم في الجهاد والفتح، فاستجاب له من بلهاء الصالحين، وأهل الغلوِّ من المتنطعين أفراد كثُرٌ! كان من آثار هذا النشاط مقتل الخليفة الراشديِّ الثالث ﷺ. وكان من المفترض على هؤلاء البلهاء أن يتَّخذوا مرجعية يصدرون عنها، وقد أمرهم الله ﷻ بسؤال أهل الذكر في أكثر من موضع، وأهل الذكر هم العلماء الراسخون، الذين شهدت لهم الأمَّة بالعلم والإمامة في الدين.

وهؤلاء البلهاء هم بالأصل متنطِّعون كما أسلفتُ، والغلو في حقيقته تجاوز عن الحدِّ المشروع، أو مبالغة في الالتزام بالدين فعلاً أو تركاً. فمن الغلاة مَن يترك المباح، ويحرِّمه على نفسه، على سبيل التديُّن والمبالغة في الالتزام، وهذا من باب التشديد على النفس، والتنطُّع والتعنُّت والتعسُّف، وقد ورد في البيان النبوي:" ألا هلك المتنطعون ثلاث مرات"[٩٧]. أي المتعمِّقون الغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم.

[٩٧] أخرجه مسلم ٤/٢٠٥٥، رقم ٢٦٧٠٨.

قال التابعيُّ الجليل أبو قلابة[٩٨] رحمه الله:" ما ابتدع رجل بدعة إلا استحلَّ السيف "[٩٩]. والذي بتُّ أخشاه أن يكون إشهار سيف القتل في أيِّ موطن، وتحت كلِّ مسمَّى، وفي كلِّ زمنٍ! علامة فارقة يشترك فيها جمهرة أهل الغلو والتشدُّد!.

– اتباع المتشابه من نصوص القرآن الكريم، وترك المحكمات، فكان المنقلب إلى المزيد من الغلو، والذي هو ضربٌ من الزيغ؛ فثمَّة تناسقٌ وتناغمٌ بين الزيغ وبين الغلو، حفظنا مولانا من شرورهما، وعصمَنا من الوقوع في براثنهما.

– عدم وجود تجربةٍ دعويةٍ كافية عند هؤلاء المغالين، والعمل الخاطئ لدعاة الإصلاح؛ فمنهم من ورث سذاجة أصحاب السفينة التي قصَّ علينا رسول الله ﷺ خبرها..١٠٠؛ وكان النعمان بن بشير[١٠١] ﷺ إذا أراد سرد هذا الحديث

---

[٩٨] هو عبد الله بن زيد بن عمرو، أبو قلابة الجرمي. عالم بالقضاء، والأحكام، ناسكٌ من أهل البصرة. أرادوه على القضاء فهرب إلى الشام فمات فيها سنة ١٠٤هـ. كان من رجال الحديث الحفَّاظ الثقات. حدَّث عن ثابت بن الضحَّاك في الكتب كلها، وعن أنس كذلك، ومالك بن الحويرث، وآخرين غيرهم. قال ابن سعد: كان ثقةً، كثير الحديث، وكان ديوانه بالشام. انظر الأعلام للزركلي، (٤ / ٨٨)، وسيَر أعلام النبلاء للذهبي، (٤ / ٤٦٨)، مرجعان سابقان.

[٩٩] رواه الدارمي (١ / ٤٤)، رقم (١٠٠)، المقدمة: باب اتباع السنة.

[١٠٠] قال رسول الله ﷺ:" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها، كمثل قومٍ استهموا على سفينة في البحر فأصاب بعضهم أعلاها، وأصاب بعضهم أسفلها، فكان الذين في

يقول قبله:" يا أيها الناس خذوا على أيدي سفهائكم "، فإذا أكمل سرده عاد فقال:" خذوا على أيدي سفهائكم قبل أن تهلكوا ".

وثمَّة كلامٌ هو من الأهمية بمكانٍ لرجلٍ له تجربةٌ طويلةٌ في مسيرة الدعوة، وهو نسيجٌ وحده في تأصيل المسائل الشائكة المعاصرة، إنَّه السيِّد أبو الحسن الندوي[١٠٢]، فقد كتب في وقتٍ سابقٍ وعلى صفحات مجلَّة المسلمون، تحت

أسفلها إذا استقوا من الماء مرَّوا على مَنْ فوقَهَم فقال الذين في أعلاها: لا ندعكم تصعدون فتؤذونا؛ فقالوا: لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقاً، ولم نؤذِ مَن فوقنا. فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجَوا ونجَوا جميعاً ". أخرجه أحمد، والبخاريُّ، والترمذيُّ عن النعمان بن بشيرﷺ.

[١٠١] هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة، الخزرجيُّ الأنصاريُّ، أبو عبد الله: هو أول مولود ولد في الأنصار بعد الهجرة، أميرٌ، خطيبٌ، شاعرٌ، من أجلاء الصحابة. ولِّي القضاء بدمشق، بعد فضالة بن عبيد سنة ٥٣ هـ، وولي اليمن لمعاوية، ثم استعمله على الكوفة تسعة أشهر، وعزله وولاَّه حمص. واستمرَّ فيها إلى أن مات يزيد بن معاوية، فبايع النعمان لابن الزبير. وتمرَّد أهل حمص، فخرج هارباً، فاتبعه خالد بن خلي الكلاعي فقتله سنة ٦٥هـ. الأعلام للزركلي، (٨/ ٣٦)، مرجع سابق.

[١٠٢] عالمٌ ربانيٌّ وداعيةٌ مجاهدٌ وأديبٌ، تميَّز بجمال الأسلوب وصدق الكلمات، إنه الداعية الكبير وربانيُّ الأمَّة الشيخ أبو الحسن الندويُّ، رحمه الله . ولد بقرية تكية، مديرية رائي بريلي، الهند، تعلَّم في دار العلوم بالهند (ندوة العلماء)، وقد شارك رحمه الله في عدد من المؤسَّسات والجمعيات الإسلامية، ومنها تأسيس المجمع العلمي بالهند، وتأسيس رابطة الأدب الإسلامي، كما أنه: عضو مجمع اللغة العربية بدمشق، وعضو المجلس

عنوان: ردَّة ولا أبا بكرٍ لها[١٠٣]، وبعد استعراضه لردَّة بعض المسلمين تاريخياً، قال:" ولكن جرَّب العالم الإسلاميُّ في العهد الأخير ردَّة اكتسحت عالم الإسلام من أقصاه إلى أقصاه، هي ردَّةٌ تلت غزو أوربا للشرق الإسلاميِّ، الغزو السياسي والثقافي "، ثمَّ عرَّج على ذكر دينٍ جديدٍ لطبقةٍ أسماها بالطبقة المثقَّفة الممتازة، التي تملك زمام الحياة في أكثر البلدان الإسلامية، وقال:" وفيها لا شكَّ مؤمنون بالله متدينون بالإسلام، ولكن سِمّة هذه الطبقة أنَّ ديانة أكثر أفرادها ورؤسائها هي المادية وفلسفة الحياة الغربية التي قامت على الإلحاد!! "، ونعت فساد التصور عند هؤلاء بالردَّة، ثم يستفيض قليلاً فيقول عن أيٍّ واحد من هؤلاء الأفراد الذين وصفهم بالكثرة:" وإذا استنطقت أوخلوْت به أو أثَرتَهُ، عرفت أنه لا يؤمن بالله أولا يؤمن بالآخرة أولا يؤمن بالرسول ﷺ أولا يؤمن بالقرآن الكتاب المعجز الخالد ودستور الحياة، وأفضلهم من يقول:

التنفيذي لمعهد ديوبند، ورئيس مجلس أبناء مركز أوكسفورد للدراسات الإسلامية. وقد تُرجِم عددٌ من مؤلَّفاته إلى الإنجليزية والفرنسية والتركية والبنغالية والإندونيسية، وغيرها من لغات الشعوب الإسلامية الأخرى. قال عنه الشيخ الغزالي:" هذا الإسلام لا يخدمه إلا نفسٌ شاعرةٌ محلِّقةٌ، أما النفوس البليدة المطموسة فلا حظَّ لها فيه، لقد وجدنا في رسائل الشيخ الندويِّ لغةً جديدةً، وروحاً جديدةً، والتفاتاً إلى أشياء لم نكن نلتفت إليها ".كانت وفاته أواخر القرن الميلادي المنصرم. المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، ص: ٣١، مرجع سابق.

[١٠٣] نُشِر المقال في كتاب: إلى الإسلام من جديد، يمكن الرجوع إليه.

" إنَّــه لايفكــر في مثــل هــذه المســائل ولا يهــتمُّ بهــا كبــير اهتمــام ". وكلُّ من يتأمل ما سبق من كلام العلامة الندويِّ، لا يساوره شكٌّ في أنَّ كلَّ الغيورين والمنظِّرين من أهل الفكر في هذه الأمة متَّفقون على هذا ولا غبار عليه؛ فالردَّة عنده هي انهيار العالم الإسلاميِّ في الإيمان والعقيدة، وهذا تعبيره هو نفسه في ذات المقال، بَيْدَ أن الأهمَّ من ذلك وعلى وجه السرعة كيف يعالج الندويُّ هذا الواقع؟ انظره يقول:" إنها قضية لاتطلب حرباً ولا تطلب تهييج الرأي العام، ولا تطلب ثورةً ولا تطلب عنفاً، بل إنَّ العنف يضرُّها ويهيِّجها، والإسلام لا يعرف محاكم التفتيش ولا يعرف الاضِّطهاد، إنها تطلب عزماً وتطلب حكمةَ وتطلب صبراً واحتمالاً، وتطلب دراسة "، ثمَّ نراه في موضع آخر، وفي ذات المقال يعيب وبقسوة على فريقٍ حاملٍ لراية هذا الدين في محاربته لظاهرة الردَّة حرباً شعواء، ويعمَدُ إلى تكفير أصحابها والابتعاد عنهم، ولا يَعنى بإصلاحها عن طريق الإقناع والحوار، ثم يضع لهذا الفريق، البديل ويصفُ له الدواء الناجع، فيعمد إلى تلخيص منهجه في التعامل مع كل ما هو غريب عن تربة هذه الأمَّة ودخيل عليها، مع الإشارة إلى فقه الموازنات فيقول:" إنني لم أكن في فترة من فترات حياتي ممَّن يقول بفصل الدين عن السياسة، ... ولا ممَّن يعتبر السياسة: الشجرة الملعونة في القرآن، بل أنا في مقدمة من يدعو إلى إيجاد الوعي السياسيِّ الصحيح في الشعوب الإسلامية، وإيجاد القيادة الصالحة، وممَّن يعتقد أنَّ المجتمع الدينيَّ لا يقوم إلا بالملك الدينيِّ

الصحيح، والحكم الصالح المؤسَّس على أسس الإسلام، ولا أزال أدعو إلى ذلك حتى ألقى الله؛ إنما المسالة مسألة ترتيب وتقديم وتأخير، وما تقتضيه حكمة الدين وفقهه، وما تفرضه الأوضاع ". انتهى كلامه رحمه الله، فليتأمله المخلصون لهذا الدين، كونه ينمُّ عن تجربة طويلة في العمل الحركيِّ للإسلام، بعد فقهٍ صحيحٍ ومعرفةٍ دقيقةٍ له لا يختلف معي أحدٌ فيها.

ثمَّ إنَّ شريحةً من المغالين جعلوا المسافة بينهم وبين الإخلاص مسافةً بعيدةً، حرمتهم من التسديد لتصرفاتهم، وكذا من أنوار الهدى التي يحيطها الله بهم، ويقذفها في قلوب المتجرِّدين عن حظوظ النفس. وإنَّ أحدهم ليبدأ طريقه في الدعوة لفكرته، وفي نهايته نجده داعيةً لشخصه يبتغي تجميع الناس حوله، ليصل بعد ذلك إلى الشهرة والرياسة! قال ابن عبدوس[١٠٤]:" كلما توقَّر العالِم وارتفع، كان العُجبُ إليه أسرع إلا من عصمه الله بتوفيقه، وطرح حبَّ الرياسة عن نفسه "[١٠٥].

---

[١٠٤] هو محمَّد بن إبراهيم بن عبد الله، ابن عبدوس: فقيهٌ زاهدٌ، من أكابر التابعين. من أهل القيروان، له مجموعة في الفقه والحديث، وافته المنيَّة ستة ٢٦٠ هـ. الأعلام، للزركلي، (٥/ ٢٩٤)، مرجع سابق.

[١٠٥] جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البرّ، (٥٦٧/١)، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م.

وقال الفضيل بن عياض[١٠٦] رحمه الله:" ما أحبَّ أحدٌ الرياسة، إلا أحبَّ ذكر الناس بالنقائص والعيوب ليتميَّز هو بالكمال، ويكره أن يذكر الناس أحداً عنده بخير، ومن عشِقَ الرياسة فقد تُودِّع من صلاحه "[١٠٧]. وقال شدّاد بن أوس ﷺ: يا بقايا العرب، يا بقايا العرب! إنَّ أخوف ما أخاف عليكم: الرياء، والشهوة الخفيَّة. قيل لأبي داود السجستاني[١٠٨]: ما الشهوة الخفية؟

---

[١٠٦] هو الفضيل بن عياض بن مسعود، التميميُّ اليربوعيُّ، أبو علي. شيخ الحرم المكِّي، من أكابر العبَّاد الصلحاء. ولد في سمرقند، ونشأ بأبيورد، ودخل الكوفة، وهو كبيرٌ، وأصله منها. ثم سكن مكَّة، وتوفي بها سنة ١٨٧هـ. كان ثقة في الحديث، أخذ عنه خلقٌ منهم الإمام الشافعيُّ. قال إبراهيم بن الأشعث: رأيت سفيان بن عيينة يقبِّل يد الفضيل مرتين. من مواعظه رحمه الله: إذا لم تقدر على قيام الليل، وصيام النهار، فاعلم أنك محروم، كبلتك خطيئتك. انظر الأعلام، للزركلي، (٥/ ١٥٣)، وسير أعلام النبلاء، (١٥/ ٤٥٥)، مرجعان سابقان.

[١٠٧] الإعلام بحُرمةِ أهل العلم والإسلام، محمَّد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، ص٣٥٩، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دارُ طيبة، مَكتبة الكوثر، الرياض.

[١٠٨] هو سليمان بن الأشعث بن شدَّاد بن عمرو، الأزديُّ أبو داود السجستانيُّ. الإمام، العلَمُ، إمام الأئمَّة في الحديث. روى عن القعنبيِّ، وأحمد، ويحيى، وابن المدينيِّ، وكثيرين غيرهم. وروى عنه الترمذيُّ، وابنه أبو بكر، وأبو عوانة، وطائفةٌ. قال إبراهيم الحربيُّ عنه: أُلِينَ لأبي داود الحديثُ، كما أُلِينَ لداود الحديدُ. وقال ابن حبَّان: أبو داود أحد أئمَّة الدنيا فقهاً، وعلماً، وحفظاً، ونُسكاً، وورعاً، وإتقاناً. جمع، وصنَّف، ودافع عن السنن. له مصنَّفات عديدةٌ منها " السنن "، وهو أحد الكتب الستَّة، وله " المراسيل

قال: حبُّ الرئاسة!. وسقت هذا التوصيف من أبي داود، للتدليل على أن الغرور هو الباعث على حبِّ الرياسة.

ومن أخطائهم التعصُّب للرأي، فيعمَدُ أحدُهُم ويسرع إلى تسفيه رأي الآخر، محتكراً الصواب! ويصل به الحدُّ إلى فرض آرائه على الآخرين، والله ﷻ ينادي علينا:

﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ **النجم: ٣٢.**

ومن سماتهم تعصُّبهم للأشخاص!. قال عليٌّ ﷺ:" لا تعرف الحقَّ بالرجال، ولكن اعرف الحقَّ تعرف أهله "[١٠٩].

ويتعيّن علينا أن نعرف أنَّ الانتصار للذات، والتعصُّب للرأي وللأشخاص، يؤدِّيان إلى انقسام المسلمين شيعاً وأحزاباً، يتمُّ تبادل الاتهامات فيما بينها! ويُفترَضُ فيها سوء القصد والباعث، ويخيِّم عليها أجواء التوجُّس والريبة! وهذا كله مقدمة لسدِّ باب الحوار، ومقارعة الحجَّة بالحجَّة؛ وفي منع الإمام

"، و" الزهد "، و" البعث "، وغيرها. وافته المنيَّة سنة ٢٧٥ هـ. انظر طبقات الحفَّاظ للسيوطي، (١ / ٥١)، ووفيَّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، (٢ / ٤٠٤)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

[١٠٩] المنقذ من الضلال، الإمام الغزاليُّ، ص٣٠، تحقيق : محمَّد محمَّد جابر، المكتبة الثقافية، بيروت.

مالك[١١٠] رحمه الله أبا جعفر المنصور[١١١] حملَ الناس على الموطأ، وفي استقلال الشافعيِّ رحمه الله بمذهبٍ خالف فيه أستاذه مالك؛ معالمُ نيِّرةٌ على هذا الطريق.

---

[١١٠] هو مالك بن أنس بن مالك الحميري، أبو عبد الله. إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنَّة، وإليه تنسب المالكية، مولده ووفاته في المدينة. كان صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، وُشِيَ به فضُرِب بهذه الوشاية سياطاً انخلعت لها كتفه. ووجه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه فقال: العلم يؤتى، فقصد الرشيد منزله، واستند إلى الجدار فقال مالك: يا أمير المؤمنين من إجلال رسول الله إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدثه. وسأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به فصنَّف " الموطأ ". وله رسالة في " الوعظ "، وكتاب في " المسائل "، ورسالة في " الردِّ على القدَرية "، وكتاب في " النجوم "، و" تفسير غريب القرآن "، وأخباره كثيرة. ولجلال الدين السيوطيِّ:" تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك ". وافته المنيَّة سنة ١٧٩هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٥ / ٢٥٧)، مرجع سابق.

[١١١] هو عبد الله بن محمَّد بن علي بن العباس، أبو جعفر المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، وأول من عنِي بالعلوم من ملوك العرب. كان عارفاً بالفقه والأدب، مقدَّماً في الفلسفة والفلك، محباً للعلماء. ولد في الحميمة من أرض الشراة قرب معان، وولِّي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح سنة ١٣٦هـ؛ وهو باني مدينة بغداد، وفي أيامه شرع العرب يطلبون علوم اليونانيين والفرس، وعمل أول أسطرلاب في الإسلام، صنعه محمَّد بن إبراهيم الفزاري. كان بعيداً عن اللهو والعبث، كثير الجدِّ والتفكير، وله تواقيع غاية في البلاغة. وهو والد الخلفاء العباسيين جميعاً. وكان أفحلهم شجاعةً وحزماً. توفي ببئر

ونأي المرء عن التعصُّب لرأيه، والرجوع إلى أهل العلم أسلم لدينه، قال سفيان بن عيينة[١١٢] رحمه الله:" التسليم للفقهاء سلامة في الدين "[١١٣]. ناهيك عن مغبَّة الوقوع في فساد في العقيدة، " قال معن بن عيسى[١١٤]: انصرف مالك يوماً إلى المسجد وهو متَّكئ على يدي، فلحقه رجل يقال له أبو الجديرة، يُتَّهم بالإرجاء. فقال: يا أبا عبد الله! اسمع مني شيئاً أكلمك به وأحاجُّك برأيي. فقال له: احذر أن أشهد عليك. قال: والله ما أريد إلا الحق، اسمع مني

ميمون من أرض مكَّة محرماً بالحجِّ، ودفن في الحجون بمكة سنة ١٥٨ هـ. الأعلام للزركلي، (٤/ ١١٧)، مرجع سابق.

[١١٢] هو سفيان بن عيينة بن ميمون، الهلاليُّ الكوفيُّ، أبو محمَّد: محدِّث الحرم المكيِّ. من الموالي. ولد بالكوفة، وسكن مكَّة وتوفي بها. كان حافظاً ثقةً، واسع العلم كبير القدر، قال الشافعيُّ: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز. حجَّ سبعين سنة. قال عليُّ بن حرب: كنت أحبُّ أنَّ لي جارية في غنج ابن عيينة إذا حدّث! له الجامع في الحديث، وكتاب في التفسير؛ وافته المنيَّة سنة ١٩٨ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٣/ ١٠٥)، مرجع سابق.

[١١٣] انظر تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، (٧/ ٥٦١)، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط١، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

[١١٤] قال الحافظ الذهبيُّ:" معن بن عيسى بن يحيى بن دينار المدني الإمام، الحافظ، الثبت، أبو يحيى المدنيُّ، القزاز، مولى أشجع. ولد: بعد الثلاثين ومائة ". سيَر أعلام النبلاء، (٩/ ٣٠٤)، مرجع سابق.

فإن كان صواباً فقل به أو فتكلم. قال: فإن غلبتني؟ قال: اتبعني. قال: فإن غلبتك؟ قال: اتبعتك. قال: فإن جاء رجل فكلمناه فغلبناه؟ قال: اتَّبعَنَا. فقال له مالك: يا عبد الله! بعث الله محمَّداً بدينٍ واحدٍ، وأراك تنتقل "[١١٥].

ذلك لأنَّ كثرة النظر، وفضول السماع، فيما لا فائدة منه يورث الغلو، ويورث نفور المعاني السديدة لآيات كتاب الله، وما أصاب الناس فيما أصيبوا فيه إلا بمثل هذا.

– عدم اعتماد منهج النقد والمراجعة، والاستفادة من التجارب السابقة؛ وتحوُّل بعض الرموز والقيادات في العمل الإسلاميِّ إلى معصومين، وأيُّ حديث في السلبيات في قاموسهم يؤدي إلى الإحباط، وخلخلة الصفِّ، وإلى تبصير الخصوم بنقاط الضعف. ومن المستغرب امتلاك البعض قناعةً ذاتيةً تشير إلى أن لا جدوى مبتغاة من هذه المراجعة، لذا فإنَّ المسلمين يدفعون ضريبة إثر أختها، مع أننا مكلفون شرعاً بقراءة التاريخ الغابر والمعاصر.

إذن لا بدَّ لأيِّ عملٍ سياسيٍّ تمارسه أيُّ حركةٍ إسلاميةٍ، لها حضورها في المجتمع من تأصيل أفكار هذا العمل، والإفصاح عن برامجه بشيءٍ من التفصيل، ومن صياغة مواقفه المستقبلية وفق الثوابت الإسلامية، والاجتهادات الراجحة. مع ملاحظة ضرورة التعامل مع الواقع بصورةٍ مرحليةٍ بعد امتلاك القدرة على تحليله. ويُعدُّ النقد الذاتيُّ منارةً لتقويم المسار ووضعه على الطريق

---

[١١٥] الاعتصام، للشاطبيِّ، (٢/ ٥٨٧)، مرجع سابق.

الصحيح؛ ومن لا يعترف بخطئه لا يُرجى له سعيٌ إلى كمال!.كما على المنظِّرين في هذه الحركة عدم الوقوع في أسر الذات والنظر إلى الآخر بتوجسٍ وريبةٍ، فنظرية المؤامرة لا يصحُّ اعتمادها على وجه الديمومة.

والمراجعات على أرض الواقع أثبتت فعاليتها وآتت أكلها. ممَّا يخدم فكرة التجديد والصياغة التي تؤدي إلى استعادة توازن كان قد تعرَّض لخلل من خلال مواقف اتخذت لم تحظَ بالدراسة المشبعة، والدعوة إلى ممارسته عند الفرقاء الآخرين الذين يُحسبون على أنهم خصوم فكريين للمسلمين، كالمتعصبين من العالم الغربي بشطريه الأميركي والأوربي الذين اعتمدوا العولمة منهجاً لهم مع انطوائها على محاولات الإلغاء، وانتصار الثقافات والمصالح الكبرى على ما عداها.

كما أنَّ كثيراً من الحركات الإسلامية تفتقر إلى نماذج مميَّزة تمتلك زمام القيادة والتوجيه، والقادرة على تحريك آليات التغيير وفق المنهج الربانيِّ؛ وفي بعض المجتمعات اليوم خاصَّة التي يختزل فيها هامش الحرية، يكون البديل عن هذه النماذج فقهاء السلطان – وأتحفَّظ هنا على التعميم – العاملين على تكريس الاستبداد السياسي مع أنَّ المفترض عزل هؤلاء عن الحياة والمجتمع إذ هم أصحاب مصالح على حساب المبادئ.

ولو أنَّ الأنظمة الحاكمة أعطت مساحة جيِّدة من الحرية للمتنورين من رموز الإسلاميين، خاصَّة المعتدلين منهم، وشاركوهم في صنع القرار، لامتدَّت جسور الثقة بين الشباب المسلم، وبين هذه الرموز، ولاستقامت طريقتهم[١١٦].

عن أبي حفص[١١٧] ﷺ، أنه سمع أنس بن مالك[١١٨] يقول: قال النبيُّ ﷺ: إنَّ مثل العلماء في الأرض، كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البرِّ

---

[١١٦] كادت مناقشات الشيخ الغزاليُّ رحمه الله، والدكتور محمَّد عمارة مع جماعات العنف في مصر، تؤتي ثمارها لولا إيثار السلطة أسلوب المعالجة الأمنية.

[١١٧] هو الصحابيُّ الجليلُ العادل عمر بن الخطاب بن نفيل، القرشيُّ العدويُّ، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لقِّب بأمير المؤمنين. كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم. أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. قال ابن مسعود: ما كنا نقدر أن نصلي عند الكعبة حتى أسلم عمر. بُويع ﷺ بالخلافة يوم وفاة أبي بكر ﷺ. وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وافتتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة. حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي سنة ٢٣ هـ غيلةً بخنجر في خاصرته، وهو في صلاة الصبح. انظر الأعلام للزركلي، (٥ / ٤٥)، مرجع سابق.

[١١٨] هو أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم، النجاريُّ الخزرجيُّ الأنصاريُّ، أبو ثمامة، أو أبو حمزة: صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. مولده بالمدينة، وأسلم صغيراً، وخدم النبيَّ ﷺ إلى أن قُبِض. ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها. وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة ٩٣هـ.. الأعلام، للزركلي، (٢/ ٢٤)، مرجع سابق.

والبحر، فإذا انطمست النجوم، أوشك أن تضلَّ الهداة "[١١٩]. وعن سعيد بن جبير رحمه الله:" أنَّه سئل ما علامة هلاك الناس؟ قال: إذا هلك علماؤهم "[١٢٠]. وهم الذين حظوا بإشهاد الله لهم على أعظم مشهود في الكون، وهو توحيده، فقال سبحانه:

﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ آل عمران: ١٨.

بل على العكس، وفي كثيرٍ من بلاد المسلمين يتمُّ التهجُّم على الرموز، والوجوه العلمية المعتبرَة لدى الشباب المسلم، ممَّا يؤدي إلى الاحتقان لديهم، فيبحثون عن وسيلة لتصريف هذا الذي آلمهم بشكلٍ أو بآخر[١٢١].

– الإحباط الذي يعاني منه كثيرون، على مستوى الأفراد من خلال تجربةٍ شخصيةٍ غير ناجحةٍ، قد يكون من أسبابها عدم وضوح الهدف، أو عدم الاهتداء إلى خارطة طريق للوصول إلى ذاك الهدف؛ وعلى مستوى مجاميع الشباب، نتيجة الظلم الواقع على المسلمين في أطراف هذه البسيطة، فكانت أنظار الإسلاميين ترنو إلى زنجبار وفطاني والفلبين والصومال أواسط سبعينات

---

[١١٩] أخرجه أحمد، ١٥٧/٣(١٢٦٢٧).

[١٢٠] أخرجه ابن أبي شيبة (كنز العمال ٢٩٣٨٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٥٣/٢، رقم ١٦٦٢).

[١٢١] يُراجع في هذا الشأن كتاب: الاستهزاء بالدين وأهله، لمؤلفه: محمَّد سعيد القحطاني.

القرن الماضي، وفي أواخرها إلى أفغانستان؛ ثمَّ انتقلت بعد حين إلى حوض البلقان، ثم عادت أدراجها ثانية إلى أفغانستان ثم العراق، وبعد سنوات إلى بورما وأنغولا؛ وقد خزِّنت في ضمائرهم قضيِّتا فلسطين وكشمير طوال عقود.

قام الشيوعيون في اليمن سنة ١٩٧٠م بقتل مائة وخمسين عالماً وشيخاً في حضرموت، وبطريقة مشينة تسمى"السحل" تجرُّهم سيارات حتى الموت، وكلهم قد جاوزوا السبعين من العمر!!.

وكلُّ ذلك نتيجة تآمرٍ دوليٍ منظمٍ من قبَل القوى الخفيَّة التي تحكم العالم، والقوى الظاهرة على السطح التي تتحكَّم في مصير الشعوب، والتي تتمثَّل في أنظمةٍ دوليةٍ، تمتلك احتكار القرار الفاعل على الأرض! والتي تخشى الإسلاميين وإلى حدٍّ كبير!.

أُجريت دراسةٌ على طلاب وشبَّان مسلمين في الجامعات السويدية وبعض الجامعات الأوروبية، وأشرف عليها [ماجنوس رانستورب] الأستاذ في كلية الدفاع السويدية، وخلصت الدراسة إلى أنَّ الطلاب المسلمين المقيمين في أوروبا يتَّجِهون إلى التطرُّف، كردٍّ فعلٍ على الاستهداف الأمريكي الغربي للبلاد العربية والإسلامية. والدراسة تشير إلى نقطة هامة، وهي أنَّ السياسات الأمريكية التي تدَّعي تخليص العالم من التطرُّف الإسلامي، سوف تكون هي السبب الرئيسي الذي يدفع قطَّاعات متزايدة من الشباب المسلم لممارسة

العنف ضدَّ المصالح والأهداف الغربية، كردٍّ فعل مباشر للتطرُّف الأمريكي ضدَّ العرب والمسلمين.

وفي محاولةٍ سابقةٍ لأميركا لتحجيم المدِّ الإسلاميِّ، وإيقاف حريقه الأخضر، أعلنت عن حزمةٍ من الإجراءات سنة ١٩٩٦م، في مؤتمر شرم الشيخ بمصر، لمواجهة ما تنعته بالإرهاب، وكان الهدف تجفيف منابع العمل الإسلاميِّ في مجالاتٍ مختلفةٍ.

هناك الآن قطَّاعٌ متزايدٌ من المثقفين الأمريكيين يعتقدون أن التفكير والمنهج والفلسفة التي قاد بها المحافظون الجدد حربهم ضدَّ ما يسمَّى بـ" الإرهاب "، كان خطأً كبيراً جعل تلك المأساة بداية لمآسي أخرى لا نهاية تلوح في الأفق لها، بدلاً من أن تكون بداية لمرحلة جديدة من النظر في لبِّ المشكلة والبحث عن حلول لها. فأصل المشكلة نتج عن التدخل الأمريكي المباشر في شؤون الدول الإسلامية، وهو أمر لا يعالج بمزيد من التَّدخل السافر في عدوانيته وتبجُّحه.

ولقد كان استمرار العدوان الأميركي على العرب والمسلمين، وزيادة حدَّة العمليات العسكرية والجرائم الإنسانية والأخلاقية التي ارتكبت بحقِّهم في العراق وفلسطين ولبنان، سبباً في تصاعد موجة العداء لأميركا، سياسة وثقافة ومصالح.

قال الرئيس الأميركي الأسبق [ريغان]:" أنا لا أعتقد أنكم تقدِّرون مدى أهمية ما يمكن أن يُحدث الإسلام الأصولي في القرن القادم، خاصَّة إذا وضعوا أيديهم – وهذا ممكن – على أسلحة نووية و كيماوية، وهذا يعني أنهم سوف يستخدمون هذه الأسلحة ضدَّ أعدائهم ". وكانت صحيفة [نيويورك تايمز] سنة ١٩٩١م قد أشارت إلى خوفٍ وحيدٍ في العقل الأمريكي هو الحرب الإسلامية المقدَّسة[١٢٢].

وإزاء هذا الواقع المأسوي المرير، يتلفَّت المسلم فيه حيث يشاء فإذا دماء المسلمين مستباحة، ولنا في كلِّ بلدٍ ومِصرٍ نائحةٌ وثكلى! فكيف بالمسلم الغيور أن ينأى عنه؟ وكيف يمكن أن يرقأ له جفنٌ وتكتحل عيناه بنوم، وهو يعيش هذه المآسي؟! فلا غرو أن نشهد المقاومة المشروعة في فلسطين، والتي ينعتونها بالإرهاب! وبعض الشباب يجتهد بأعمال فردية أو جماعية خارج فلسطين، نحو بعض المنشآت والمقرَّات الدبلوماسية مثلاً – هي موضع نظر – نتيجة هذا الاحتقان.

والعديد منهم، وبعد أن تشكَّلت لديهم قناعةٌ بأن ثمَّة حكَّام علمانيون، مسلمون وعرب، موالون للدول العظمى، هم بشكلٍ أو بآخر مساهمون في المظالم التي تقع على المسلمين، يطرحون السؤال التالي: هل نبقى نعيش ضمن

[١٢٢] راجع في هذا الشأن ما كتبه القسُّ الدكتور إكرام لمعي في كتاب: الإسلام في أمريكا. طبع مكتبة الشروق الدولية.

دائرة دفع المظالم، والدعوة إلى التسامح؟ أم نخرج إلى دائرة الصراع وتنازع السلطة داخل المجتمع؛ والمتَّتبع لحركة التاريخ يلحظ كيف أنَّ اختيار أسلوب الدعوة، والصبر على الأذى مع نبذ العنف قد ولج بابه علماء كبار، مضطرون إليه في بعض الأحايين لدرء مفسدة متوقَّع حصولها، ليس من الضرورة أن يكون نابعاً عن مبدأ تأصَّل عندهم، وعلى سبيل المثال سجن الإمام أبي حنيفة رحمه الله عند أحد خلفاء بني العبَّاس، إثر رفضه استلام منصب القضاء!.

– سيطرة كل من المؤسَّسة العسكرية والمؤسَّسة الأمنية على النظم السياسية الحاكمة في العالم الإسلامي، بترتيب من القوى المتسلِّطة على الساحة الدولية، وفي مقدمتها أميركا، أما الشعوب المستضعفة إزاء هذا الواقع، فقد أمست تدرك أنَّ هذه الحكومات لا يمكن التعويل عليها في تحصيل الحقوق، وبالأمس القريب وللتدليل على هذه الهيمنة، فقد استدعت الخارجية الأمريكية أواخر سنة ٢٠١٥م وفداً من المعارضة السورية، وأبلغتهم أنه لا يمكن بأيِّ شكل من الأشكال أن يستلم الإسلاميون الحكم في سوريا مهما كان طيفهم، وأنَّ نظام الحكم بعد انقضاء المرحلة الانتقالية للنظام السوريِّ، سيكون علمانياً.

– قمع حرية التجمُّع لمنظمات المجتمع المدني وللتيَّارات الإسلامية، لمجرَّد أنها ذات طابعٍ دينيٍّ، في مجتمعاتٍ يعيش فيها غير المسلمين، وهذه حجَّةٌ واهيةٌ لليبراليين! فهل وجود بعض الأقليات غير المسلمة يفرض على الأغلبية المسلمة

أن يحكمها نظامٌ علمانيٌّ، والمفارقة اللافتة أنَّ غير المسلمين يشيدون بالنظام الإسلاميِّ وعدله، والتاريخ خير شاهدٍ ودليل.

ومنذ عقودٍ وكمظهر من مظاهر هذا القمع، درسنا في مناهج وزارة التربية أنَّ كلَّ دعوةٍ تقوم على أساسٍ دينيٍ هي دعوة غبية!!. وقد جاء في نشرةٍ للجماعة الإسلامية في مصر:" إنَّ الجماعة الإسلامية مارست كافة الأساليب السلمية المتاحة، من عقد المؤتمرات وتنظيم المسيرات، وتوزيع البيانات، بالإضافة إلى اللجوء إلى القضاء، إلا أنَّ ذلك لا ينفي حدوث عدَّة صدامات في أماكن كثيرة في العاصمة ومعظم المحافظات نتيجة اقتحام المساجد، ومحاولة منع اللقاءات الأسبوعية التي تعقدها الجماعة الإسلامية "[١٢٣]. ويؤيِّد هذا تصريح للواء زكي بدر[١٢٤] إذ قال ذات مرَّةٍ، وكان يومها وزيراً للداخلية:" أقولها في منتهى الوضوح: إنَّ القتل والبتر والضرب في عين المليان هو الوسيلة لهؤلاء

---

[١٢٣] أرى أنَّه لا بأس على المضَّطهدِّين بل يستحبُّ، من أبناء الحركة الإسلامية المعتدلة أن تستعدي على الباغين سهام القدر، ودعاء السحر؛ كما كان حال الصحابة ﷺ فترة العهد المكيّ.

[١٢٤] هو اللواء زكي بدر، من مواليد: ٢٨ فبراير، ١٩٢٦، المنيا، مصر، رابع وزير داخلية في عصر مبارك بعد اللواء النبوي إسماعيل، ثم اللواء حسن أبو باشا، ثم اللواء أحمد رشدين، ويمكن اعتباره أعنف وزير داخلية شهدته مصر، تسلَّم عمله في أول مارس عام ١٩٨٠م، ومات في أميركا سنة ١٩٩٧م. المرجع: ويكيبيديا، على الشبكة العنكبوتية.

"[١٢٥]. وفعلاً تمَّ تصفية المحامي عبد الحارث مدني، الذي كان يتولَّى الدفاع عن أعضاء الجماعة الإسلامية تحت التعذيب، وتمَّ اغتيال الدكتور علاء محي الدين، وياسر عبد الحكيم، وهما من قيادات الجماعة في حينها[١٢٦]. وتأتي ردَّة الفعل على النحو الذي أثبته الأب الروحي للجماعة، وهو الدكتور عمر عبد الرحمن[١٢٧]:" .... على المسلمين أن يقولوا الحقَّ، ويدعوا إلى الله، فإذا ما أوذوا، واضطُّروا إلى الدفاع عن أنفسهم فليدافعوا.

---

[١٢٥] من مقابلةٍ معه في مجلة الوطن العربي في ١٩٨٩/٢/٣م.

[١٢٦] ليس من نافلة القول أن أشير إلى أنَّ الصحفيَّ الشهير محمَّد حسنين هيكل، وهذا ليس غريباً عليه! عمد إلى تزييف الحقائق، فوصف الصراع بين الجماعة وبين الحكومة المصرية أنَّه صراعٌ قبليٌّ له صلة بالثأر!. انظر حديثه مع صحيفة المحرر، عدد٢٣٩، ١٩٩٤/٢/٧م.

[١٢٧] هو الشيخ الدكتور عمر عبد الرحمن، فكَّ الله أسره من سجون أمريكا، صاحب كتاب: موقف القرآن من خصومه كما تصوره لنا سورة التوبة، تناول فيه الشيخ علاقة المسلمين بخصومهم من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين. وعندما وُضِع الشيخ عبد الله السماوي رحمه الله تحت التحفُّظ لثلاث سنوات، اختار الشباب خلالها الدكتور عمر عبد الرحمن ليكون واجهة لهم وأميراً، وأطلقوا على أنفسهم "الجماعة الإسلامية". وكان من أهم أسباب مبايعة الشيخ عمر عبد الرحمن هو حاجة الجماعة إلى الرجل باعتباره عالماً أزهرياً تحصل على أعلى الدرجات العلمية من الأزهر الشريف، وهو ما يرفع عنهم الحرج والاتهام بأنهم لا يعرف لهم نصيب من العلم الشرعي، ومن ثم لا يحقُّ

﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ ﴾ **البقرة: ١٩٤.**

أمَّا المداراة وراء الجدران فليست من شأن المسلم "[١٢٨].

ومن بين الضغوط التي مارستها الأنظمة الحاكمة على الدعاة المسلمين، الكيل لهم بجملة افتراءات تعوَّدوا على طرحها، وليس لها رصيد من الواقع البتَّة!. وللتمثيل لها ففي مقابلةٍ مع وزير الداخلية المصري الأسبق زكي بدر، اتهم الجماعة الإسلامية بممارسة العنف بدعوى النهي عن المنكر، وأشار إلى الوالد الذي جُلِد وصُلِب على شجرة، وإلى أسرة تقيم فرحاً لزواج ابنها فيدخل عليهم إرهابيون يقطِّعون أجسادهم! ناهيك عن منع المرأة من الخروج من بيتها! وهكذا[١٢٩]...

– ولوغ الاستخبارات الدولية في سلسلة تفجيرات وإلصاقها بالإسلاميين، كما حدث في السعودية والمغرب في مايو أيار من سنة ٢٠٠٣م، والهدف منها خلط الأوراق، وتغييب فريضة الجهاد المشروع من أذهان المسلمين، وتشويه مسيرته في فلسطين.

لهم أن يتكلموا في الدين، حسبما كان يُنظَر إليهم في هذه الأثناء. ولم تستطع المحاكم المختصَّة في مصر وفي أمريكا أن تثبت إدانةً عليه. المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

[١٢٨] من مقابلةٍ معه في مجلة الوسط في ١٩٩٤/١/١٧م.

[١٢٩] انظر مجلَّة الوطن العربي، عدد١٩٨٩/٢/٣م.

وإن كنا ننسى فلا ننسى كيف كان الشيوعيون في مصر أيام حكم عبد الناصر، يفجِّرون دور السينما وبالتنسيق مع أجهزة المخابرات، وأثناء رميهم للقنابل اليدوية كانوا يهتفون بـ "الله أكبر ولله الحمد"، ليأتي بعدها اعتقال أبناء الحركة الإسلامية على طبقٍ من ذهب!.

وإثرَ فوز الجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر فوزاً ساحقاً في الانتخابات بنسبة خمسة وثمانين بالمائة، سنة ١٩٩١م، انقلب الجيش على النتيجة فألغيت، وبدأت المظاهرات، وقتل الجيش آلاف المتظاهرين، وعلى مدى ثلاث سنوات سيطر المجاهدون على معظم الجزائر تحت راية الجماعة الإسلامية، إلى أن وصل عميل الجيش جمال زيتوني "أبو عبد الرحمن أمين" إلى قيادة الجماعة فبدأت الانشقاقات، وبعد أن تبيَّن أمره وانكشف تمَّ قتله فخلَفه "عنتر الزوابري"، وهو مثله في العمالة، وفي عهديهما تمَّ قتل المدنيين، وجاء الوقت ليعترف بعض الضباط الجزائريين بأنهم شهدوا إعداد استخبارات الجيش الجزائري لتنفيذ مجازر في بعض القرى، وأنهم كانوا يعدِّون بعض الجنود والأفراد الملتحين ويلبسونهم الزيَّ الأفغاني، ويحقنونهم بمواد مخدِّرة مهيِّجة، ويأخذونهم لتنفيذ مجازر دموية بالأسلحة النارية والسيوف والسكاكين، وتثبت الإحصائيات أنَّ المجازر قد تمَّت في المناطق التي قد شهدت نسباً مرتفعة في التصويت لصالح جبهة الإنقاذ والإسلاميين في الانتخابات البلدية والبرلمانية، فكانت هذه المجازر عقاباً لهم، ولزرع الحقد في أهل تلك المناطق على مشروع الإسلام السياسي.

كما كانت وتيرة المجازر التي راح ضحيّتها مائة وخمسون ألفاً من أبناء الجزائر، ترتفع في المناسبات الدينية، وفي رمضان، وتستهدف دور العبادة، والجنائز أحياناً كما تستهدف بعض رموز الإسلاميين المحبوبين شعبياً للصق صفة الإجرام بالإسلاميين.

وبعد عقودٍ تكشف التحقيقات أنَّ الموساد الإسرائيلي أرسل الجاسوس [مصراتي] بغية اغتيال [بطرس غالي]، بعد ترشُّحه أميناً عامَّاً للأمم المتحدة، وإلصاق التهمة بالناشطين الإسلاميين، وكان من المهام المنوطة به حرق بعض المساجد والكنائس بغية إشعال فتنة طائفية.[١٣٠] وفي ذات الفترة ضُبِطت أسلحة إسرائيلية مع منفذّي تفجيرات ميادين التحرير، والعتبة، وشبرا؛ وهذا يذكّرنا بالأسلوب ذاته فترة الخمسينات من القرن العشرين، وفي مصر ذاتها على يد اليهودي[ليفي لافون]!!. وبعد إلغاء انتخابات الجزائر التي أشرتُ إليها آنفاً، تدفُّق سيل من الأسلحة الإسرائيلية على متن زوارق بحرية، وبها تمَّ اغتيال [قاصدي مرباح][١٣١]!.

---

[١٣٠] راجع في هذا الشأن: صحيفة المسلمون عدد ١٩٩٤/١/٢٨م، وصحيفة الشرق الأوسط عدد٩٨٢، ١٩٩٢/٨/٢٣م.

[١٣١] هو سياسيٌّ جزائريٌّ، اسمه الحقيقي: خالف عبد الله، رئيس وزراء سابق في عهد الشاذلي بن جديد، ومدير المخابرات الجزائرية في عهد الرئيس هواري بومدين لغاية سنة ١٩٧٩م. المرجع: ويكيبيديا على الشبكة العنكبوتية.

ولسان الحال لمن وقع عليهم، وعلى إخوانهم الظلم، يتساءل: لماذا يريد خصومنا منَّا أن نتجاهل السؤال التالي: لماذا تُقدَّس الحريَّة الدينية لكل طالبٍ لها؟! ولكن عند غير المسلمين، وعندنا تُعلن الحرب الشعواء على الرموز الإسلامية كاللحية والحجاب، إلى درجة عقد برلمانات من أجلها، وتصدُرُ قرارات، وتثورُ أزمات، هذا ونحن أصحاب الدار على حدِّ قول أمير الشعراء أحمد شوقي[١٣٢]:

---

[١٣٢] هو أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي: أشهر شعراء العصر الأخير. يلقب بأمير الشعراء. مولده ووفاته بالقاهرة. كتب عن نفسه:" سمعت أبي يرد أصلنا إلى الأكراد فالعرب ". نشأ في ظل البيت المالك بمصر، وتعلَّم في بعض المدارس الحكومية، وقضى سنتين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق، وأرسله الخديوي توفيق سنة ١٨٨٧ م إلى فرنسا، فتابع دراسة الحقوق في مونبليه، واطَّلع على الأدب الفرنسي، وعاد سنة ١٨٩١م، فعيِّن رئيساً للقلم الإفرنجي في ديوان الخديوي عباس حلمي. وندب سنة ١٨٩٦م، لتمثيل الحكومة المصرية في مؤتمر المستشرقين بجنيف. عالج أكثر فنون الشعر: مديحاً، وغزلاً، ورثاءً، ووصفاً، ثم ارتفع محلِّقاً فتناول الأحداث السياسية والاجتماعية، في مصر والشرق والعالم الإسلامي، فجرى شعره على كل لسان. وكانت حياته كلها للشعر يستوحيه من المشاهدات ومن الحوادث. اتسعت ثروته، من آثاره (الشوقيات)، أربعة أجزاء، و (دول العرب)، نظم، و (مصرع كليوباترة) قصة شعرية، و (مجنون ليلى)، و (قمبيز)، و (على بك)، و (علي بك الكبير)، و (عذراء الهند)، وقصص أخرى. مات سنة ١٩٣٢ م.الأعلام، للزركلي، (١/ ١٣٦)، مرجع سابق.

كل دارٍ أحقُّ بالأهل إلا رديءٍ من المذاهب رجس
في أحـرام على بلابلـه الدوح حلالٌ للطير من كل جنس

ويتساءل الإسلاميون لماذا يُسمح للعلمانيين، وللماركسيين، ولأصحاب الحركات القومية بتشكيل أحزاب لهم؟ ولماذا يُمنعون هم من هذا الحقِّ القانوني؟!.رغم أنَّ بعض الأحزاب الدينية في العالم الغربي أثبتت وجودها، كالديموقراطيِّ المسيحيِّ، والاشتراكيِّ المسيحيِّ، ومنها من شارك في الحكم.

وعندما سمح الشاذلي بن جديد[١٣٣] للإسلاميين في الجزائر بتشكيل حزبٍ جديدٍ لهم، وفازوا في الانتخابات تدَّخل الغرب تدخلاً سافراً، وأعلن الرئيس الفرنسي وقتها [ميتران] بأنَّ بلاده ستتدخل ولو عسكرياً، للحيلولة دون وصول الإسلاميين للحكم!.

وقام بإرسال الجنرال [فيليب روندو] مستشار وزير دفاعه في زيارة سرية للجزائر قبل يومين من الانقلاب على الديمقراطية، على يد القيادات العسكرية الموالية لباريس، ووقف الغرب مؤيِّداً لفرنسا، وما شهدته الساحة الفلسطينية منذ سنوات من حصار دولي، بسبب وصول حركة حماس للسلطة في غزَّة ليس عنا

[١٣٣] هو الشاذلي بن جديد، رئيس الجمهورية الجزائرية الأسبق، ولد في قرية بوثلجة بولاية الطارف؛ كان الرئيس الرابع للجزائر منذ التكوين والاستقلال من ٩ فبراير شباط، ١٩٧٩م، وحتى ١١ يناير كانون الثاني ١٩٩٢ م. المرجع: ويكيبيديا، على الشبكة العنكبوتية.

ببعيد!. ويعلم بعض المراقبين للشأن المصري كيف وقف مرَّة اللواء زكي بدر، وقد أومأت إليه قبل قليلٍ، وقال:" إنَّ هناك أناساً في مصر يريدون إقامة الخلافة أو إعادتها؛ إنَّ هذه الخلافة لن تكون ". وكنت أتمنَّى لو أنَّ الوزير كان واسع الصدر للرأي الآخر، وأعطى الفرصة للمنادين بالخلافة لطرح برنامجهم، والانتخابات النزيهة تعطي التقييم الحقيقي لاختيار الشعوب. ثمَّ إنَّ المادَّة الرابعة في القانون المصري قد نصَّت، وفي بندها الأول من قانون الأحزاب السياسية بعد تعديلها على عدم تعارض مقومات الحزب أو مبادئه أو أهدافه أو برامجه أو سياساته أو أساليبه في ممارسة نشاطه مع:

١- مبادئ الشريعة الإسلامية باعتبارها المصدر الرئيسي للتشريع.

٢- مبادئ ثورتي ٢٣ يوليو ١٩٥٢م، و١٥ مايو ١٩٧١م.

٣- الحفاظ على الوحدة الوطنية والسلام الاجتماعي والنظام الاشتراكي الديمقراطي والمكاسب الاشتراكية.

والمتأمِّل للبند الثالث يجد التناقض واضحاً بين ثورة يوليو وثورة مايو من جهة، وبين الشريعة الإسلامية والمكاسب الاشتراكية من جهة أخرى!!. وأمَّا البند الثاني من المادة الرابعة المعدَّلة من القانون السابق حيث نصَّ على عدم قيام الحزب في مبادئه أو برامجه، أو مباشرة نشاطه، على أساس التفرقة بسبب الجنس أو الأصل أو الدين أو العقيدة. وبموجب هذا القانون حُرِمَت الأحزاب

الدينية من ممارسة نشاطها السياسي! وقد اعتمدت هنا مصر نموذجاً على سبيل التمثيل كونها أكبر بلد عربي مسلم.

وليعلم الذين ارتقوا إلى سدَّة الحكم في بلدان العالم الإسلامي، وأشير هنا إلى الذين عدلوا عن تحكيم الشريعة الغرَّاء؛ أنَّ الموضوع الأساس في شرعيتهم هو الفعل السياسيُّ، ومدى تحقيقه لمصالح المجموع، وتكريس معنى العدل. وفي حال انتفاء هذه المقومات، وخاصَّة العدل فإنَّ شرعيتهم في حكم التلاشي، واحتمال الثورة عليهم سيكون حاضراً بقوة، كما حدث مع رجال الثورة الفرنسية سنة ١٧٩٢م.

إنَّ الممارسات السياسية المتَّبعة تساهم في تأجيج كل العوامل المفضية إلى العنف الرمزي أو المادي، فالسياسة في أغلب دول المنطقة العربية، لا تُمَارس بوصفها حقلاً مدنياً وبعيداً عن إحن التاريخ والنزعات الأيدلوجية الصارخة، ووفق هذه الممارسة نتمكن من القول إنَّ الممارسة السياسية في أغلب دول العالم العربي، تساهم في إنتاج ظاهرة العنف بالمستويين الرمزيِّ والماديِّ، وإنه ما دام التعامل مع السياسة بعيداً عن مقتضيات المدنية والسلمية، فإنها لا تنتج إلا العنف، ولن نتمكَّن من إنهاء هذه الظاهرة الخطيرة على الممارسة السياسية، وكذلك على المجتمع بكل دوائره ومستوياته، إلا بتأسيس الممارسة السياسية، والتنافس السياسيِّ بين التعبيرات والمكونات السياسية على قاعدة أنَّ هذه الممارسة تجري في سياق النشاط المدني؛ وإدارة كلِّ الممارسات السياسية بعيداً

عن نزعات الإلغاء والإقصاء. فالسياسة ليست حقلا للقتل والاغتيال أو ممارسة العنف المادي للوصول إلى الأهداف السياسية. وهي ليست ممارسة تدبيرية في المجتمعات، بل هي بمثابة فنِّ صناعة الخير العام، وهي كممارسةٍ وخياراتٍ، على المستوى المبدئي القادرة على تفكيك موجبات العنف، وهي القادرة على معالجة الملفَّات الشائكة في أيِّ بيئةٍ اجتماعيةٍ، بعيداً عن خيارات العنف ومتوالياته المباشرة ذات الطبيعة الاستئصالية.

ولا يمكن أن يُصنَع الخير العام في أيِّ بيئة اجتماعية بوسائل عنفية وقسرية، وإنما يتحقَّق مفهوم صناعة الخير العام، كلما تلتزم السياسة فكراً وممارسة بالثقافة المدنية ومقتضياتها القانونية والدستورية والثقافية النابعة من شرعنا الحنيف[١٣٤].

إذن الغموض في النهج السياسي، ووجود نقاط ضعف في سير جهة صاحبة النفوذ، يزعزع الثقة بين القيادات الحاكمة وبين الرعيَّة، ويقوِّض بناء المجتمع، ويخلق حالة من التشنُّج والمواجهة بين القيادة والقاعدة، وتتكوَّن ولاءات متنوعة، وتقوم شيَع وأحزاب، وتحدث تصنيفات في المجتمع، تفرز مواقف ومسالك شتَّى، يتبنَّى بعضها النزوع إلى العنف.

[١٣٤] من رام التوسع في هذا الشأن فلينظر مقالاً بعنوان: ظاهرة العنف من منظور الثقافة السياسية، للكاتب محمَّد محفوظ، على الشبكة العكبوتية.

– قمع حرية التعبير والرأي في بلداننا المسلمة[١٣٥] ومصادرة الآراء مع أنَّ الفكر الذي يرسم مسار التاريخ في قممه ووهاده، لا يمكن له أن يخضع لعصا المؤدِّب، على حدِّ تعبير الإمام الغزالي. وأثبت الواقع التاريخي، وفي صدارته محنة الإمام أحمد في مسألة خلق القرآن، وتوالي أمثالها في غير ما بقعةٍ من الأرض، ليثبت صحَّة مقولة الإمام الغزالي. ولمزيدٍ من البيان فثمَّة مسلمة يوغسلافية تُدعى [مليكة صالح بيجوفيك] درست العلوم السياسية في جامعة السوربون، ثمَّ كانت من رموز مثقَّفي الحزب الشيوعي، أدَّى بها هذا الرمز إلى أن تكون وزيرةً للثقافة؛ ثمَّ اكتشفت أنها من بين أربعة ملايين مسلم في البوسنة، لهم حقُّ التعبير عن معتقدهم فعبَّروا عن ذلك من خلال بيان أصدروه، ووقَّعه اثنا عشر شخصيَّة كانت الوزيرة [بيجوفيك] منهم، فحُكِمَ عليها خمسة أعوام في السجن، وإثر إضراب عن الطعام هدَّد حياتها أُفرِج عنها، ولجأت إلى بريطانيا. ويتعيَّن علينا أن نشير إلى أنَّ للقمع أشكال عدَّة، ومنها القمع للحريات الشخصية، بالثورة ضدَّ حجاب المرأة المسلمة في فرنسا؛ التي ترفع شعار

[١٣٥] إلى درجة أنه في بلدٍ كمصر أضيفت مادة جديدة منذ سنوات إلى قانون العقوبات حملت رقم ٢٠١ تقول: إذا ألقى أحد رجال الدين في أثناء تأدية وظيفته، وفي محفل عمومي مقالة تضمَّنت قدحاً أو ذمَّاً في الحكومة، أو في قانون أو مرسوم، أو في عمل من أعمال جهات الإدارات الحكومية، أو نُشِر بصفة نصائح أو تعليمات دينية مشتملة على شيء من ذلك، يُعاقب بالحبس مدَّة لا تزيد على شهرين، أو بغرامة لا تتجاوز عشر جنيهات!.

[الليبراتس]، ويعني تقديس حرية الفرد!. ووصل الكبت إلى الكتاب، فمُنع كتاب الحلال والحرام للدكتور القرضاوي[١٣٦]، بطبعته الفرنسية في فرنسا ذاتها سنة ١٩٩٥م، وكذا مُنِعَ مطلع السبعينات في ليبيا، كتاب معالم الثقافة الإسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان[١٣٧]، كما صودر كتابان للمفكِّر إدوارد

---

[١٣٦] ولد الدكتور يوسف القرضاوي في إحدى قرى جمهورية مصر العربية، وأتمَّ حفظ القرآن الكريم، وأتقن أحكام تجويده، وهو دون العاشرة من عمره. التحق بمعاهد الأزهر الشريف، فأتمَّ فيها دراسته الابتدائية والثانوية، ثم التحق بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر، ومنها حصل على العالية. ثم حصل على العالمية مع إجازة التدريس من كلية اللغة العربية سنة ١٩٥٤م، وفي سنة ١٩٥٨حصل على دبلوم معهد الدراسات العربية العالية في اللغة والأدب. ثم حصل على الدكتوراة بامتياز مع مرتبة الشرف الأولى. حصل على جائزة الملك فيصل العالمية بالاشتراك في الدراسات الإسلامية لعام ١٤١٣هـ. وهو أحد أعلام الإسلام البارزين في العصر الحاضر في العلم والفكر والدعوة والجهاد، في العالم الإسلامي مشرقه ومغربه. المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، ص: ٣٧٠، مرجع سابق.

[١٣٧] هو من مواليد سنة ١٩٢٩م، في مدينة حماة وسط سوريا، سافر لدراسة علم الاجتماع في كلية آداب جامعة فؤاد الأول، جامعة القاهرة فيما بعد، ثمَّ عاد بعد أن حمل ليسانس الآداب في علم الاجتماع بدرجة امتياز، درَّس الفلسفة في حماة وحلب، فكان تأثيره في طلابه ملموساً، ثم عمل في مدينة دير الزور مدرساً في ثانويتها، وباشر خطبة الجمعة في أحد مساجدها، فأصغى إليه الطلاب وسكان المدينة، وتأثَّروا به أيَّما تأثُّر، والتفُّوا حوله، وتعلَّقوا به، ورث عن والده محمود العثمان جملة صفات في حبِّ

سعيد في فلسطين لمعارضتهما اتفاقية أوسلو! وهذا يذكّرنا بما جاء في أدبيات الرافعي[١٣٨]:" لا يرضى الطاغية إلا أن يمحق روحانية الأمَّة كلَّها، فلا يترك شيئاً روحانياً له في أعصاب الناس أثر من الوقار، وبمن يستظهر – ويله – إذا محقت روحانية الأمَّة، وأشرفت نزعتها الدينية على الانحلال؟ كأنَّه لا يعلم أنَّ حقيقة الوجود لأمَّة من الأمم إنما يُستمدُّ من إيمانها بالمثل الأعلى، الذي

العلم وصدق الحديث، والصدع بكلمة الحق، والجرأة في مواجهة الباطل بعفوية وقلب سليم، لا تأخذه في الله لومة لائم. درس الماجستير في التربية وعلم النفس عند الغزالي، وقدم أطروحة الدكتوراه عن القاضي عبد الجبار أحد أئمة المعتزلة، وأصول دعوته وفلسفته، بإشراف الدكتور أحمد فؤاد الأهواني، وفي كل مراحل هذه الدراسات وما سبقها كان متفوقاً ومتقدماً. سافر مطلع السبعينيات إلى بيروت، وبعد معاناةٍ مع المرض، سعى له أصحابه بالسفر إلى منزل عائلته في مدينة حماة، وما هي إلا أيام حتى فارق الحياة، وانتقل إلى جوار ربه راضياً مرضياً، وكان ذلك سنة ١٩٧٢م.

[١٣٨] مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي: عالم بالأدب، شاعر، من كبار الكتَّاب. أصله من طرابلس الشام، أصيب بصمم فكان يكتب له ما يراد مخاطبته به. شعره نقيُّ الديباجة، على جفاف في أكثره. ونثره من الطراز الأول. له (ديوان شعر) ثلاثة أجزاء، و (تاريخ آداب العرب) جزآن، ثالثهما: (إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة) و (تحت راية القرآن) و (رسائل الأحزان) و (على السفّود): ردٌّ على العقاد، و (وحي القلم) ثلاثة أجزاء، و (ديوان النظرات) و (السحاب الأحمر في فلسفة الحب والجمال) و (حديث القمر). وافته المنيَّة سنة ١٣٥٦هـ ١٩٣٧م. انظر الأعلام للزركلي، (٧/ ٢٣٥)، مرجع سابق.

يدفعها في سلمِها إلى الحياة بقوة، كما يدفعها في حربها إلى الموت بقوة، وكأنَّه لا يعلم أنَّ التاريخ كلَّه تقرره في الأرض بضعة مبادئ دينية! أيُّ مجنون أسخف جنوناً من هذا الذي يحسب النفوس الإنسانية كالأخشاب، تقبل كلُّها بغير استثناء أن تُدَّق فيها المسامير؟! "[١٣٩].

وثمَّة مفارقة لافتةٌ بين منهج أهل الكفر ومسلكهم في إلغاء الآخر، وبين أسلوب القرآن الكريم المعجِزِ في الردِّ عليهم، قال الله ﷻ :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ **فصلت: ٢٦.**

وقال تعالى:

﴿ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ ﴾ **الأنبياء: ٦٨.**

ففي أمثال هاتين الآيتين إقصاءٌ للآخر! بينما عندما تحدَّث القرآن عن شبهات الباطل على ألسنة أهله، وفيها كفرٌ محضٌ عرضها بثوبٍ قشيبٍ ورائع!. وفي تعليقٍ جميلٍ للشيخ الغزاليِّ رحمه الله على آية سورة الأعراف في سياق قصَّة هود عليه السلام جاء في منطوقها:

---

[١٣٩] وحي القلم، ج٢، ص١٩٠، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.

﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ الأعراف: ٦٦.

" إنَّ شتائم هؤلاء الجهَّال لم يطش لها حلم هودٍ عليه السلام لأنَّ الشقَّة بعيدةٌ بين رجلٍ اصطفاه الله رسولاً فهو في الذؤابة من الخير، وبين قومٍ سفَّهوا أنفسهم، وتهاووا على عبادة الأحجار يحسبونها لغبائهم تضرُّ وتنفع! كيف يضيق المعلم الكبير بهرَف هذه القطعان "..[١٤٠]؟!. هذا وقد يُفَاجأ بعض القرَّاء بحكمٍ لمحكمة الجنايات بالسجن شهراً مع وقف التنفيذ، على السيِّد محبِّ الدين الخطيب[١٤١]، بسبب مقالٍ نشره في مجلَّة الفتح سنة ١٩٢٨م، ينتقد فيه ملك الأفغان لقتله العالِم المسلم: [بيد صاحب] رحمه الله!.

---

[١٤٠] جدِّد حياتك، محمَّد الغزالي، ص١٠٩، طبعة دار القلم، دمشق.

[١٤١] هو محبُّ الدين بن أبي الفتح محمَّد ابن عبد القادر بن صالح الخطيب، يتَّصل نسبُهُ بعبد القادر الجيلاني الحسني: من كبار الكتاب الإسلاميين. ولد في دمشق. وتعلم بها وبالآستانة، وشارك سنة ١٣٢٤هـ في إنشاء جمعية بدمشق سمِّيت:" النهضة العربية "، ورحل إلى صنعاء فترجم عن التركية وعمل في بعض مدارسها. ثم زار الأستانة ومنها قصد القاهرة سنة ١٩٠٩م؛ فعمل في تحرير المؤيد. وأعلنت في مكة الثورة العربية ١٩١٦م، فقصدها وحرر جريدة " القبلة "، وحكم عليه الأتراك بالإعدام غيابياً. ولما جلا العثمانيون عن دمشق، عاد إليها سنة ١٩١٨م، وتولَّى إدارة جريدة العاصمة. وفرَّ بعد دخول الفرنسيين فاستقرَّ في القاهرة، وأصدر مجلتيّ " الزهراء " و " الفتح "، وكان من أوائل مؤسِّسي " جمعية الشبان المسلمين ". تولَّى تحرير " مجلَّة الأزهر " ستَّ

ولا يخفى على القارئ أنَّ فكر جماعة شكري مصطفى، التي أطلق عليها نظام السادات[١٤٢] وقتها اسم جماعة التكفير والهجرة في أواسط سبعينات القرن الفائت قد ولد في أقبية السجون[١٤٣]. ومن مظاهر هذا القمع أيضاً محاربة

سنوات. وأنشأ المطبعة السلفية ومكتبتها، فأشرف على نشر عدد كبير من كتب التراث وغيرها. ونشر من تأليفه " اتجاه الموجات البشرية في جزيرة العرب " و " تاريخ مدينة الزهراء بالأندلس " و " ذكرى موقعة حطين " و " الأزهر، ماضيه وحاضره والحاجة إلى إصلاحه " و " الرعيل الأول في الإسلام " و " الحديقة " مجموعة كبيرة في أجزاء صغيرة، وضمت خزانة كتبه نحو عشرين ألف مجلَّدٍ مطبوع تغلب فيها النوادر. كانت وفاته سنة ١٣٨٩هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٥/ ٢٨٢)، مرجع سابق.

[١٤٢] هو محمَّد أنور محمَّد السادات، ثالث رئيس، لجمهورية مصر العربية فترة ما بعد الاستقلال، ولد في ديسمبر، ١٩١٨م، في ميت أبو الكوم، في مصر، واغتيل في السادس من أكتوبر، ١٩٨١م، القاهرة، مصر. من كتبه: البحث عن الذات، هؤلاء عرفتهم، وصيتي، قصة الثورة كاملة، خطب وأحاديث الرئيس محمد أنور السادات. المرجع: ويكيبيديا، على الشبكة العنكبوتية.

[١٤٣] ومن ملامح هذا الفكر ما ورد في أدبيات أحد كبار رموزه، وهو المهندس الزراعي شكري مصطفى، وتعمدت هنا الإشارة إلى تخصُّصه غير الشرعي؛ وذلك في قوله:

من قبل الطوفان اسمعني ...

يا عبد الله

واخرج من أرضك واتبعني

في أرض فلاة

التيَّار الحديث الذي اشتهر باسم التيَّار المعتدل أو الوسطي١٤٤، وله رموزه، وأعني بالوسطية هنا: المقارنة بين الكليِّ والجزئيِّ، والموازنة بين المقاصد والفروع، والربط بين اعتبارات المصالح في الفتاوى، وكل هذا يكمن في الفهم الشموليِّ الإيجابيِّ؛ فأصحابه يملكون فهماً يُقبَض فيه على الأصول، ويُقبَل فيه

أرض في قلبي لم يُعبد فيها الشيطان
أرض في فكري أحمله
في كل مكان
فاحمل أزوادك واتبعني
يا عبد الله
يكفينا زاداً في الدنيا هذا القرآن...
في أرض الهجرة يا صحبي طهر وسلام
وفرار من سخف الدنيا ومن الآثام
وحكومة عدل وأمان...
صدّقني .. في الأرض الواسعة أمان

١٤٤ لنا بعض الملاحظات التي تحتوي على تأصيلٍ علميٍّ – ولا أدَّعي لها العصمة – على بعض ما كتبه بعض المنتسبين لهذا التيَّار من أمثال: أحمد كمال أبو المجد، والدكتور محمَّد عمارة، وفهمي هويدي، وسواهم؛ وفي الوقت ذاته لا نقبل بأن ينتسب لهذا التيَّار من شاء ممَّن طرحوا الأصالة جانباً، واعتمدوا المعاصرة لوحدها فهؤلاء عندي لا يختلفون عن العلمانيين الجدد، وإن لبسوا عباءة الإسلاميين!!.

الاختلاف في الفروع، ومنهجه التدرُّج في التبليغ والتكليف، مع الانفتاح على الآخر، والله ﷻ ينادي علينا:

﴿ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ﴾

الرحمن: ٨-٩.

وفي مقام آخر:

﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ﴾ **الأنعام: ١٥٣.**

قال تعالى آمراً آحاد الأمَّة بخطاب قائدها ﷺ:

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ ﴾

هود: ١١٢.

فالله سبحانه وتعالى يأمر بالاستقامة التي هي رمز الوسطية، ويعقِّب سبحانه بالنهي عن الطغيان، والوسطية التي جاء بها الإسلام، هي بين الغلوِّ والتفريط، ولا يمكن أن نتفيَّأ ظلالها إلا في اتباع سبيل السلف الصالح ﷺ.

قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله:" فما أمر الله بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نزغتان: إما إلى تفريطٍ وإضاعةٍ، وإما إلى إفراطٍ وغلوٍّ، ودين الله وسط بين الجافي عنه

والغالي فيه، كالوادي بين الجبلين، والهدى بين ضلالتين، والوسط بين طرفين ذميمين؛ فكما أن الجافي عن الأمر مضيِّع له، فالغالي فيه مضيع له، هذا بتقصيره عن الحد، وهذا بتجاوزه الحدَّ "[١٤٥].

ومن هنا جاء التحذير في كتاب ربنا ﷻ من تعدِّي الحدود، والأمر بلزومها:

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ ﴾

البقرة: ٢٢٩.

والحدود هي النهايات لكل ما يجوز من الأمور المباحة، المأمور بها، وغير المأمور بها، وتعدِّيها هو تجاوزها، وعدم الوقوف عليها. وهذا التعدِّي هو الهدف الذي يسعى إليه الشيطان، إذ إنَّ مجمل ما يريده تحقيق أحد الميلين الغلو أو التقصير.

قال ابن عبد البرّ[١٤٦]: قال سفيان بن حسين[١٤٧]:" أتدري ما السمت الصالح؟ ليس هو بحلق الشارب ولا تشمير الثوب، وإنما هو لزوم طريق القوم، إذا فعل

---

[١٤٥] مدارج السالكين، ابن قيِّم الجوزية، (٢/ ٤٦٥)، مرجع سابق.

[١٤٦] هو يوسف بن عبد الله بن محمَّد بن عبد البرِّ، النمريُّ القرطبيُّ المالكيُّ، أبو عمر: من كبار حفَّاظ الحديث، مؤرِّخٌ، أديبٌ، بحَّاثةٌ. يقال له حافظ المغرب. ولد بقرطبة. ورحل رحلاتٍ طويلةً في غربي الأندلس وشرقيها. وولي قضاء لشبونة وشنترين. من كتبه:" الدرر في اختصار المغازي والسير " و " العقل والعقلاء " و " الاستيعاب "

ذلك، قيل: قد أصاب السمت، وتدري ما الاقتصاد؟ هو المشي الذي ليس فيه غلوٌّ ولا تقصيرٍ "[١٤٨].

مجلدان، في تراجم الصحابة، و " جامع بيان العلم وفضله " و " بهجة المجالس وأنس المجالس " في المحاضرات، أربعة أجزاء، طبعت قطعة منه، واختصره ابن ليون، وسمَّاه " بغية المؤانس من بهجة المجالس " و " الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء " و " التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد " كبير جداً، و " الاستذكار في شرح مذاهب علماء الأمصار و " الإنصاف فيما بين العلماء من الاختلاف " و " الكافي في الفقه " و " نزهة المستمتعين وروضة الخائفين "، وغير ذلك. كانت وفاته بشاطبة سنة ٤٦٣هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٨/ ٢٤٠)، مرجع سابق.

[١٤٧] هو سفيان بن حسين بن الحسن، الواسطيُّ، الحافظ، الصدوق، أبو محمَّد. حدَّث عن: الحسن، ومحمَّد بن سيرين، والحكم بن عتيبة، والزهريِّ، وإياس بن معاوية. روى عنه: شعبة، وهشيم، وعباد بن العوام، ويزيد بن هارون، وعمر بن عبد الله بن رزين، وجماعة. وقد وثقه: جماعة، في سوى ما يرويه عن الزهريِّ، فإنه يضطرب فيه، ويأتي بما ينكر. وقال أبو حاتم: صالح الحديث، ولا يحتج به، هو نحو محمَّد بن إسحاق. قلت: توفي في خلافة أبي جعفر، سنة نيف وخمسين ومائة، ووقع له نحو ثلاث مائة حديث. سير أعلام النبلاء، للذهبي، (٧/ ٣٠٢)، مرجع سابق.

[١٤٨] التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، (٢١/ ٦٨)، ابن عبد البرِّ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمَّد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ، المغرب.

وعن إبراهيم بن محمَّد بن يحيى[١٤٩] قال حدَّثني بعض شيوخنا، قال: قال عليُّ بن غنام[١٥٠]: كلا طرفي القصد مذموم، وأنشد أبو سليمان[١٥١]:

وَلَا تَغْلُ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَمْرِ وَاقْتَصِدْ ... كِلَا طَرَفَيْ قَصْدِ الْأُمُورِ ذَمِيمُ

قال الخطابيُّ[١٥٢]:" والطريقة المثلى في هذا الباب، أن لا تمتنع من حقٍّ يلزمك للناس وإن لم يطالبوك به، وأن لا تنهمك لهم في باطل لا يجب عليك وإن دعوك إليه، فإن من اشتغل بما لا يعنيه فاته ما يعنيه، ومن انحل في الباطل جمد

---

[١٤٩] هو الإمام، المحدِّث، القدوة، أبو إسحاق إبراهيم بن محمَّد بن يحيى بن سختويه النيسابوري المزكي، شيخ بلده ومحدثه. قال الخطيب: كان ثقة، ثبتاً، مكثراً، مواصلاً للحجِّ، انتخب عليه الدارقطني، وكتب الناس عنه علماً كثيراً مثل: (تاريخ السراج) ، (تاريخ البخاري) ، وعدَّة كتب لمسلم، مات في شعبان سنة اثنتين وستين وثلاث مائة، وله سبع وستون سنة. انظر سيَر أعلام النبلاء ، الحافظ الذهبي، (١٦/ ١٦٣)، مرجع سابق.

[١٥٠] لم أقف على ترجمة له رغم البحث الحثيث.

[١٥١] هو ذاته الخطابي، مؤلف كتاب العزلة، وستأتي ترجمته بعد قليل.

[١٥٢] هو حمد بن محمَّد بن إبراهيم ابن الخطاب، البستيُّ، أبو سليمان: فقيهٌ محدِّثٌ، من أهل بست (من بلاد كابل) من نسل زيد بن الخطاب؛ له معالم السنن في شرح سنن أبي داود، وبيان إعجاز القرآن، وإصلاح غلط المحدثين باسم: إصلاح خطأ المحدثين، وغريب الحديث. وله شعر أورد منه الثعالبيُّ في (اليتيمة) نتفاً جيدة، وكان صديقاً له. توفي في بست في رباط على شاطئ هيرمند، سنة ٣٨٨ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٢/ ٢٧٣)، مرجع سابق.

عن الحق، فكن مع الناس في الخير، وكن بمعزل عنهم في الشر، وتوخَّ أن تكون فيهم شاهداً كغائب وعالماً كجاهل "[١٥٣].

وأشير هنا أنَّ هذا التيَّار الآن مُحاربٌ من قبَل أعداء الإسلام كونه يحمل مشروعاً حضارياً قابلاً للتطبيق، ومن أجندة محاربته: الدعاية لحركات التطرُّف، وتلميع الفرق الضالَّة في تاريخ الأمَّة، وإعادة إحيائها من جديد مع ملاحظة وجود الدعم الماديِّ والأكاديميِّ لها ضمن دوائر الاستشراق، وعلى يد المستغربين في عالمنا العربي، ومن هذه الحركات على سبيل المثال لا الحصر: جماعة [المهاريشي] القادم من الهند إلى الساحل الشرقي لأميركا الشمالية، ثم انتقل إلى غربها، وبنى مدينته الفاضلة، ولهذه الجماعة انتشار الآن في لبنان، وخاصَّة في الجبل، ومن أنصارها مثقفون يعتمدون التأمل في الوصول إلى الحقيقة، والهدف من الترويج لها هو عزل الناس عن حركة الواقع، وعن صفاء الشريعة الغرَّاء[١٥٤].

كما أنَّ عزل العلمانيين للدِّين على أنَّه مسألة شخصية، ونعت الإسلام بالإرهاب، يثير حفيظة الإسلاميين.

---

[١٥٣] العزلة، للخطابي، ص: ٩٨، ط٢، ١٣٩٩هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

[١٥٤] أجرت مجلة [قضايا دبلوماسية واستعمارية] الباريسية تحقيقاً شاملاً في مطلع سنة ١٩٠١م، عن آفاق الإسلام في القرن العشرين، و مما جاء في كلام قاله [البارون كارادي فون]:" لنشتِّت الإسلام، ولنستغل البدع الإسلامية والطرق الصوفية ".

وأجد الفرصة سانحةً هنا لأهيب ببعض المخلصين من الحكَّام، ورجال الأعمال إلى تأسيس أكاديمية لنشر هذا التيَّار – أعني الوسطية – مع وجود الدقَّة والتمحيص في اختيار طاقم التدريس، واختيار المناهج الصافية من كل شائبة.

ومن دواعي الأسف أنني رأيت كثيراً من الليبراليين، يقحمون أصحاب التيَّار الوسطي في خضمِّ التيار المغالي، ويحاربون الصحوة الإسلامية الجديدة من خلال المزاودة الرخيصة، وتسمية الأشياء بغير اسمها خلطاً منهم للأوراق!.

– بَحثُ بعض أفراد الحركات الإسلامية عن ذرائع من الكتاب والسنَّة لقناعاته ومواقفه وأطروحاته، نتيجة جهله بالضوابط، والشروط والظروف وفقه الحالة التي ورد فيها النصُّ، وفقه الضرورة وفقه الاستضعاف وفقه الاستطاعة وفقه التمكين، ونتيجة الأخذ بظواهر النصوص دون اعتبارٍ لدلالة المفهوم، ولقواعد الاستدلال وفهم العلماء، والجهل بفقه الجمع بين النصوص وأعذار الناس؛ ومتى هيمنت العقلية الذرائعية فإنها ستلقي لا محالة بظلال التبعة على الآخرين، وتجاهل تقصير الذات! مع أنَّ الله ﷻ ينادي علينا:

﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ آل عمران: ١٦٥.

ويقول عبد الله بن عمر رضي الله عنه:" لا يزال النَّاس بخير ما أخذوا العلم عن الأكابر، وعن أمنائهم وعلمائهم؛ فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا "[١٥٥].

[١٥٥] أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن برقم: ٢٧٥، وابن عبد البرّ، والخطيب موقوفاً، وإسناده صحيح.

جميع هذه المقدمات عند القاصرين عن طلب العلم بأدواته أدَّت إلى التعجُّل عندهم بالفتوى،

وأضرب على سبيل المثال فتوى لم ترد عند علماء الشريعة، والتي جاء في منطوقها:" لا يفتي قاعد لمجاهد"، متأولين قوله تعالى:

﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ **النساء: ٩٥**.

وفي البيان النبويِّ:" إنه لا يقوم بدين الله إلا من حاطه من جميع جوانبه "[١٥٦]، فلا تصلح هنا الرؤية الأحادية كما هو الحال في كثيرٍ من تعاملهم مع المواقف والمسائل التي تفتقر إلى تأصيلٍ شرعيٍّ معتبرٍ.

ناهيكم عن أن علماء كبار ثقات سارت بأسمائهم الركبان توقفوا عن الفتوى في مسائل شتَّى حتى استكمال القدرة على الجمع بين نصوص ظاهرها التعارض، أو لحين امتلاك قواعد الترجيح لقول جماعة أو فرد من أهل التفسير أو الفقه، واحترزوا وتحفَّظوا على الإدلاء بفتوى لاستشعارهم خطورة الاقتراب

[١٥٦] أخرجه أبو نعيم في "دلائل النبوة"، وحكم المحدِّث الألباني عليه بالضعف.

منها إلى درجة أنهم عدُّوا الزلل والاستعجال فيها أكبر إثماً من الفواحش والإثم والظلم والشرك بالله تقدَّست صفاته. قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله:

وقد حرَّم الله سبحانه القول عليه بغير علم في الفتيا والقضاء وجعله من أعظم المحرَّمات، بل جعله في المرتبة العليا منها، فقال تعالى:

﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾

الأعراف: ٣٣.

فرتَّب المحرَّمات أربع مراتب وبدأ بأسهلها، وهو الفواحش ثم ثنَّى بما هو أشدُّ تحريماً منه وهو الإثم والظلم ثم ثلَّث بما هو أعظم تحريماً منهما وهو الشرك به سبحانه، ثم ربَّع بما هو أشدُّ تحريماً من ذلك كله، وهو القول عليه بلا علمٍ، وهذا يعمُّ القول عليه سبحانه بلا علم في أسمائه وصفاته وأفعاله، وفي دينه وشرعه، وقال تعالى:

﴿ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾

النحل: ١١٦.

فتقدَّم إليهم سبحانه بالوعيد على الكذب عليه في أحكامه، وقولهم لما لم يحرمه هذا حرام ولما لم يحله هذا حلال، وهذا بيانٌ منه سبحانه أنه لا يجوز

للعبد أن يقول هذا حلال وهذا حرام إلا بما علم أن الله سبحانه أحلَّه وحرَّمه "[١٥٧].

وفي حال التفكير بالخروج على الحاكم فالأمر جدٌّ دقيق وخطير يحتاج لضوابط سيلحظها القارئ، وأيضاً إلى فقه الموازنات مستنداً لاجتهادٍ جماعيٍّ من علماء الأمَّة الثقات، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك:" ولعله لا يكاد يُعرَف طائفة، خرجت على ذي سلطان، إلا وكان في خروجها من الفساد أعظم من الذي أزالته "[١٥٨]. وفي سيرة سلفنا الصالح منارة نهتدي وسط ضبابية في الرؤى، " قال ابن عمر رضي الله عنهما: جاءني رجل في خلافة عثمان، فإذا هو يأمرني أن أعتب على عثمان، فلما قضى كلامه قلت له: إنا كنَّا نقول، ورسول الله ﷺ حيٌّ: أفضل أمَّة محمَّد بعده: أبو بكر وعمر ثمَّ عثمان، وإنا والله ما نعلم عثمان قتل نفساً بغير حقٍّ، وجاء من الكبائر شيئاً، ولكنه هذا المال، إن أعطاكموه رضيتم، وإن أعطاه قرابته سخطتم. إنما تريدون أن تكونوا كفارس والروم، لا يتركون أميراً إلا قتلوه، ففاضت عيناه بأربع من الدمع، ثم قال: اللهم لا تُرد ذلك[١٥٩]، وروى سالم بن عبد الله بن عمر[١٦٠] أنَّ أباه قال:

---

[١٥٧] إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، ابن قيِّم الجوزية، (١/ ٣١)، مرجع سابق.

[١٥٨] منهاج السنَّة النبوية، ابن تيمية، (القاهرة: المطبعة الأميرية)، ج ٢، ص ٨٧.

[١٥٩] المعجم الكبير، للطبرانيِّ: (١٢/ ٢٨٥) ، ابن عمر، محيي الدين مستو ص٨٢.

لقد عتبوا على عثمان أشياء، لو فعلها عمر ما عتبوا عليه[١٦١]. فانظر إلى أيِّ مدى كان حرص عبد الله بن عمر رضي الله عنهما على الدفاع عن عثمان، والذبِّ عن عرضه والتصدِّي لما يثيره أهل الفتنة ضدَّ عثمان بن عفَّان ﷺ، لما كان يعلم من خطورة مثل هذا المنحى، وما يؤدي إليه من النيل من الخليفة من فسادٍ وفرقةٍ، لذا فإنَّ عثمان منحه ثقته فكان يستشيره إبَّان محنته مع الغوغاء، فحين دخل عليه ابن عمر، قال له عثمان: انظر ما يقول هؤلاء؛ يقولون: اخلع نفسك أو نقتلك. قال له ابن عمر: أمخلِّد أنت في الدنيا؟ قال: لا. قال: هل يزيدون على أن يقتلوك؟ قال: لا. قال: هل يملكون لك جنَّةً أو ناراً؟ قال: لا. قال: فلا تخلع قميص الله عليك فتكون سنَّة، كلما كره قوم خليفتهم خلعوه أو قتلوه[١٦٢]. وهذا الرأي من ابن عمر ينمُّ عن بعد نظره وتقديره لعواقب الأمور، وقد أبدى استعداده لحمل السلاح للدفاع عن أمير

---

[١٦٠] هو سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب، القرشيُّ العدويُّ: أحد فقهاء المدينة السبعة، ومن سادات التابعين وعلمائهم وثقاتهم. دخل على سليمان بن عبد الملك، فما زال سليمان يرحِّب به، ويرفعه، حتى أقعده معه على سريره. توفي في المدينة سنة ١٠٦ هـ. الأعلام، للزركلي، (٣/ ٧١)، مرجع سابق.

[١٦١] العواصم من القواصم، أبو بكر بن العربيِّ، ص١٠٤،١٠٥ ابن عمر، محيي الدين مستو ص٨٣.

[١٦٢] المرجع السابق، ص١٣٠.

المؤمنين عثمان، والتصدِّي للغوغاء المحاصرين لعثمان في داره، فقد ذكر ابن سعد عن نافع أنَّ ابن عمر لبس الدرع يوم الدار مرتين.

ولما قُتِل عثمان رأى ابن عمر أنَّ الأمة وقعت في محنةٍ، وأنَّ قتل الخليفة بهذه الصورة معصية شؤمها على الأمَّة خطيرٌ، لذا لما عرض عليه الغوغاء الخلافة بعد مقتل عثمان قال: إنَّ لهذا الأمر انتقاماً، والله لا أعترض له، فالتمسوا غيري[١٦٣]، وكان ابن عمر رضي الله عنهما كثيراً ما يركِّز في نصائحه للعامَّة على لزوم الجماعة، والإعراض عن دماء المسلمين وأموالهم. فكتب[١٦٤] له رجل: رجل: اكتب إليَّ بالعلم كله، فكتب إليه: إنَّ العلم كثير، ولكن إن استطعت أن تلقى الله خفيف الظهر من دماء الناس، خميص البطن من أموالهم، كافًّا لسانك عن أعراضهم، لازمًا لأمر جماعتهم، فافعل، والسلام "[١٦٥].

---

[١٦٣] تاريخ الطبريِّ، نقلاً عن أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، د. عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد الخركان، ص ٣٣٢، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.

[١٦٤] تاريخ دمشق، نقلاً عن أثر العلماء في الحياة السياسية، ص٣٣٤، مرجع سابق.

[١٦٥] الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، عَلي محمَّد الصَّلاَّبي، (١/ ٦١٥)، ط٢، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

وإذا كان في التاريخ فكرة ومنهاج، فقد أورد ابن الأثير[١٦٦] أنَّ ابن الجرَّاح[١٦٧] [والي خراسان] كتب إلى عمر بن عبد العزيز[١٦٨]:" إني قَدمتُ خراسان

---

[١٦٦] هو عليُّ بن محمَّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد، الشيبانيُّ الجزريُّ، أبو الحسن عزُّ الدين ابن الأثير: المؤرخ الإمام، من العلماء بالنسب والأدب. ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وسكن الموصل. وتجوَّل في البلدان، وعاد إلى الموصل، فكان منزله مجمع الفضلاء والأدباء، وتوفي بها سنة ٦٣٠هـ. من تصانيفه:" الكامل " اثنا عشر مجلداً، مرتَّبٌ على السنين، بلغ فيه عام ٦٢٩هـ، أكثر من جاء بعده من المورخين عيال على كتابه هذا، و " أسد الغابة في معرفة الصحابة " خمس مجلدات كبيرة، مرتب على الحروف، و " اللباب " اختصر به أنساب السمعاني وزاد فيه، و " تاريخ الدولة الأتابكية و " الجامع الكبير " في البلاغة، و " تاريخ الموصل " لم يتمَّه . انظر الأعلام للزركلي، (٤/ ٣٣١)، مرجع سابق.

[١٦٧] بعد جهدٍ وعناءٍ لم أقف على ترجمةٍ له.

[١٦٨] هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم، الأمويُّ القرشيُّ، أبو حفصٍ: الخليفة الصالح، والملك العادل، وربما قيل له خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم. وهو من ملوك الدولة المروانية الأموية بالشام. ولد ونشأ بالمدينة، وولي إمارتها للوليد. ثم استوزره سليمان ابن عبد الملك بالشام؛ وولي الخلافة بعهد من سليمان سنة تسعٍ وتسعين للهجرة النبوية فبُويع في مسجد دمشق. وسكن الناس في أيامه، فمنع سبَّ علي بن أبي طالب، وكان من تقدَّمه من الأمويين يسبونه على المنابر، ولم تطل مدته، قيل: دُسَّ له السمُّ وهو بدير سمعان من أرض المعرَّة، فتوفي به، وكان ذلك سنة مائة وواحد للهجرة النبوية. ومدة خلافته سنتان ونصف. وأخباره في عدله وحسن سياسته كثيرة.

فوجدت قوماً قد أبطرتهم الفتنة، فهم منبثُّون فيها؛ فأحبُّ الأمور إليهم أن يعودوا ليمنعوا حقَّ الله عليهم، فليس يكفُّهُم إلا السيف والسوط، فكرهت الإقدام على ذلك إلا بإذنك، فكتب إليه عمر: يا ابن أمِّ الجراح أنت أحرص على الفتنة منهم! لا تضرب مؤمناً ولا معاهداً سوطاً إلا في الحقِّ، واحذر القصاص، فإنَّك صائرٌ إلى من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، وتقرأ كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها "[١٦٩].

– يُعَدُّ الفساد بكلِّ أشكاله تربة خصبة لزراعة أفكار العنف، فالشابُّ الحاصل على دراسات عليا في اختصاص ما، يوضع في غير موضعه، فمبدأ تكافؤ الفرص قد عفا عليه الزمن، وأصبح من الماضي، والشابُّ ذاته يرى المحاباة أمام ناظريه على قدم وساق!. وحيث أنه يجد الحلول السلمية بعيدة المنال، فإنه يفكِّر في أساليبَ شتَّى، قد يضطَّر إلى إضفاء الشرعية عليها من أجل اعتمادها وتسويقها.

وكان يدعى: " أشج بني أمية "، رمحته دابة وهو غلام فشجّته. وقيل في صفته:" كان نحيف الجسم، غائر العينين، بجبينه أثر الشجَّة، وخطَّه الشيب، أبيض، رقيق الوجه مليحاً ". وفي كتاب الإسلام والحضارة العربية:" كانت طريقته في إدارة ولايته إطلاق الحرية للعامل، لا يشاور الخليفة إلا في أهمِّ المهمات مما يشكل عليه أمره ". الأعلام، للزركلي، (٥/ ٥٠)، مرجع سابق.

[١٦٩] الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (٤ / ١٠٧). تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي،١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، بيروت.

– تنامي ظاهرة الصحوة الإسلامية هنا وهناك، وفَّر مساحةً لظهور الأفكار المتشدِّدة بسبب بعدها عن الفهم الصحيح، وبسبب انعدام الجهات العاملة على ترشيدها.

– المسلك الخاطئ والمتعمَّد من بعض الأنظمة المستبدِّة، بوضع جميع الإسلاميين في سلَّة واحدة، والنظر إلى الجميع على أنهم خصوم لهم! مع وجود الكثير من المعتدلين الذين ينتقدون الممارسات الخاطئة من أيِّ جهة صدرت، حتى ولو من شركائهم في حقل الدعوة إلى الإسلام.

– تشويه سمعة النظيفين من قيادات العمل الإسلاميِّ من قبَل حكوماتهم، من أجل مكاسبَ سياسيةٍ أو إعلاميةٍ، أو في خضمِّ معارك انتخابيةٍ، أو بغية الحصول على مسوِّغات للرأي العام العالمي لضرب الإسلاميين بيدٍ من حديدٍ، يؤول إلى ردود أفعال عند مناصري هذه القيادات الفاعلة في المجتمع، فيركب بعضهم مركب الجنوح بغير هدى، فيتحوَّل أصحاب هذا المركب إلى عواصف شديدة، من الصعوبة بمكان السيطرة عليها.

– قناعةٌ ذاتيةٌ تولدَّت عند بعض شبابنا المتديِّن، بأنَّ الحكومات التي رضيت على نفسها أن تقبل العمالة لأعداء الإسلام، لا يجدي معها الحوار ولا يثنيها غير السيف، وأنا أرى أن هذه الشريحة أفرزها مجتمعنا نتيجة أمرين اثنين، الأول منهما: تقصير الدعاة في تبليغ مبادئهم التي تنشر الحقَّ والعدل، والثاني: هو

الهزيمة النفسية والفكرية.[١٧٠] التي مُنِيَ بها المسلمون عبر فتراتٍ طويلةٍ من الزمن، والتي قبِلَ أصحابُها أن تحكمهم حثالةٌ من الذين أقل ما نقول فيهم: فاسدون عقدياً!، وأنا هنا لا أتحدَّث بالمطلق وبالعموم، فليس الحكَّام جميعهم في توصيفٍ واحدٍ.

وبعض هؤلاء الحكَّام الذين فصلوا الدين عن الدولة، قد عملوا على مدى عقودٍ من الزمن على محاربة الدعوة، ولو كانت بعيدةً عن الغلو! فكيف للمسلم أن يصبر على الصدِّ عن سبيل الله في بعض البلدان التي تحكمها توجهاتٌ علمانيةٌ متطرِّفةٌ، سبقت ظهور الغلاة الإسلاميين، حيث مردت على محاربة دين الله واتهام أصحابه بأنهم رجعيون!.

﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ ﴾

الكهف: ٥.

وهنا فإني أنصح حكَّام المسلمين، فأدعوهم إلى إقامة العدل، وإلى التوكل على الله، لا على طغيانهم؛ فعلى أيديهم تقام الشريعة وتجري الأحكام، وصلاحهم صلاح للأمة، وسؤددهم في العدل لا في الظلم، وقد أدرك أسلافنا العلماء هذه الحقيقة؛ فقال الفُضَيْل بن عياض رحمه الله:" لو كانت لي دعوةٌ مستجابةٌ، لم

[١٧٠] راجع كتابي: الوعي الغائب في تميز الأمة المسلمة، فقد بسطت القول في هذه الهزيمة المنكَرة، ودلَّلت عليها.

أجعلها إلا في إمام؛ لأنه إن صلح الإمام أمَّن البلاد والعباد ".[١٧١] وورد عنه أيضاً رحمه الله قوله:" لو أنَّ لي دعوةٌ مستجابةٌ ما صيَّرتها إلا في الإمام، قيل له: وكيف ذلك يا أبا عليٍّ؟ قال: متى ما صيَّرتها في نفسي لم تجزني، ومتى صيَّرتها في الإمام، فصلاح الإمام صلاح العباد والبلاد، قيل: وكيف ذلك يا أبا عليٍّ؟ فسِّر لنا هذا قال: أمَّا صلاح البلاد، فإذا أمن الناس ظلمَ الإمام عمَّروا الخرابات، ونزلوا الأرض. وأما العباد فينظر إلى قوم من أهل الجهل فيقول: قد شغلهم طلب المعيشة عن طلب ما ينفعهم من تعلم القرآن وغيره، فيجمعهم في دارٍ خمسين خمسين، أقل أو أكثر يقول للرجل: لك ما يصلحك، وعلِّم هؤلاء أمر دينهم، وانظر ما أخرج الله ﷻ من فيهم ممَّ ذَا يزكي الأرض فردَّه عليهم. قال: فكان صلاح العباد والبلاد ". فقبَّل ابن المبارك[١٧٢] جبهته، وقال: يا معلِّم الخير، مَن يحسن هذا غيرك؟! "[١٧٣].

---

[١٧١] شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة، أبو القاسم الرازي اللالكائي، ١/١٧٢، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامديِّ، ط٨، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، دار طيبة، السعودية.

[١٧٢] هو عبد الله بن المبارك بن واضح، الحنظليُّ بالولاء، التميميُّ، المروزيُّ، أبو عبد الرحمن: الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد التاجر، صاحب التصانيف والرحلات. أفنى عمره في الأسفار، حاجَّاً ومجاهداً وتاجراً. جمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. كان من سكَّان خراسان، ومات بهيت (على الفرات) منصرفاً من غزو الروم.

– البون الشاسع بين الموقف الرسمي المعلن، وبين الذي هو وراء الكواليس وتحت الطاولة للأنظمة الحاكمة في بلدان المسلمين إزاء القضية المركزية للأمَّة، وأعني بها قضية فلسطين، أدَّى إلى نقمةٍ عارمةٍ، لدى المتطلعين إلى استشعار معاني العزَّة والسمو لدى الشباب الملتزم بالإسلام. وهذا الموقف المتخاذل كافٍ لتشكيل معارضة سياسية، فكيف إذا اجتمعت أسباب أخرى داعمة له!.

– دعم مظاهر التحلُّل الخلقي من خلال إعطاء الدعم غير المتناهي للعريِّ على شواطئ البحار، ووجود ملاهي ليلية وبيوت دعارة؛ ومحاربة المحجَّبات والمنقَّبات، ومحاولة عزلهم عن المجتمع، أو تشويه سمعتهم خاصَّة في وسائل الإعلام، ومن خلال الأعمال الدرامية. كل هذه الممارسات تثير حفيظة المتديِّن، وتخلق عنده موقفاً نفسياً، قد يصل به إلى الإحباط فيميل إلى التفكير بسلوك طريق العنف. وعلى العموم كل تقصير من الجهات العامَّة تجاه ما يراه المسلم ضرورياً يحدث ذات الموقف، وأضرب لكم مثلاً – وقد يعتبره البعض صغيراً لا ينبغي الالتفات إليه – عشتُهُ أنا بذاتي عندما كنت أسافر من مدينة

له كتاب في " الجهاد "، وهو أول من صنَّف فيه، و" الرقائق " في مجلَّد. وافته المنيَّة ستة ١٨١هـ. الأعلام، للزركلي، (٤/ ١١٥)، مرجع سابق.

[١٧٣] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، (٨/ ٩١)، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، مطبعة السعادة، مصر.

دمشق، والتي تحولَّت إلى مدينة متحضِّرة وإلى حدٍّ بعيد؛ فكنت عندما أَلِجُ المصلَّى المعدِّ لأداء الفريضة في بناء الحافلات، أجد وعلى صِغَر مساحته، مظهر النظافة والعناية به قد انعدمت فيه، حيث لا موظَّف فيه يرعاه، وكأنَّ فريضة الصلاة أضحت من الماضي، وملتزموها جدُّ رجعيون!.

– وجود الفراغ في حياة الشباب، وعدم الاستفادة منهم في عملية بناء المجتمع، واتسَّام عقليتهم – أعني المغالين منهم – بالعاطفة والحماس، وبعدها عن منهج الأصالة والإبداع. وهذا نتاج الخلل القائم في العملية التربوية، وبقدر ما تتَّسع دائرة العاطفة، بقدر ما يحدث الضمور في مساحة الوعي والنضوج، وبما أنَّ مرحلة الشباب قوةٌ متدفِّقةٌ تجيء بين ضعفين وفق بيان سورة الروم، فلربما طلبتِ الاستعجالَ، وأبطأت في قرارات الحكمة ومناشدتها، وتجدر الإشارة هنا إلى أنَّ الصحابة ﷺ لم يهدموا الأصنام في الفترة المكيَّة، لأنَّ شجرة الشرك لم تُقتلع بعد من نفوس أصحابها، فتأخرت هذه الخطوة إلى عام الفتح. وعندما أراد عبد الملك نجل الخليفة الراشدي الخامس عمر بن عبد العزيز رحمه الله، أن يحمل أباه على متن رياح التغيير على عجلٍ، فقال:" ما لك لا تنفِّذ الأمور؟ فوالله ما أبالي لو أنَّ القدور غلت بي وبك في الحق"؟!. جاء الجواب بلسان الحكمة:" لا تعجل يا بنيَّ، فإنَّ الله ذمَّ الخمر في القرآن مرتين، وحرَّمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحقِّ جملةً فيَدعُوهُ جملةً فيكون من ذا فتنةٌ "[١٧٤]. وقبل هذا الموقف

[١٧٤] انظر الموافقات، للشاطبي، (٢/ ١٤٨)، مرجع سابق.

بعقودٍ جاء التوجيه النبوي الرقيق لأصحابه ﷺ في ضبط عواطفهم منارةً لنا على هذا الطريق. قال سهل بن حنيف ﷺ:" اتهموا رأيكم، رأيتني يوم أبي جندل[١٧٥] ولو أستطيع أن أردَّ أمر رسول الله ﷺلرددته "[١٧٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وكان أعظم ما أنعم الله به عليهم، اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفَّق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قطُّ أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات

---

[١٧٥] هو أبو جندل، العاص بن سهيل بن عمرو العامري، ابن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن حسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر العامري، القرشي؛كان من خيار الصحابة، وقد أسلم وحبسه أبوه وقيَّده، فلما كان يوم صلح الحديبية هرب يحجل في قيوده، وأبوه حاضر بين يدي النبيِّ ﷺ لكتاب الصلح.فقال: هذا أول من أقاضيك عليه يا محمَّد. فقال: هبه لي. فأبى، فردَّه وهو يصيح، ويقول: يا مسلمون! أرد إلى الكفر؟ ثم إنه هرب، وله قصة مشهورة مذكورة في صحيح البخاري، وفي المغازي. ثم خلص وهاجر، وجاهد، ثم انتقل إلى جهاد الشام، فتوفي شهيداً في طاعون عمواس بالأردن سنة ثماني عشرة. سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبيُّ، (١/ ١٩٢)، مرجع سابق.

[١٧٦] الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (٧ / ٥٩)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمَّد معوَّض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

البيِّنات، أنَّ الرسول ﷺ جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم ".[١٧٧]

هذا وإنَّ من الأسباب التي تعين الشباب على ضبط مواقفهم، تبصُّرهم بمسلك رسول الله ﷺ في الدعوة، الذي ترافق مع نزول القرآن، فقد روى البخاريُّ عن يوسف بن ماهك[١٧٨] قال: إني عند عائشة أمِّ المؤمنين رضي الله عنها إذ جاءها عراقيٌّ فقال: أيُّ الكفن خير؟ قالت: ويحك وما يضرُّك؟. قال: يا أمَّ المؤمنين أريني مصحفك قالت: لم؟ قال: لعلِّي أؤلف القرآن عليه، فإنه يُقرأ غير مؤلَّف. قالت: وما يضرُّك أيَّه قرأتَ قبلُ، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصَّل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام. ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً. لقد نزل بمكَّة على محمَّد ﷺ وإني لجارية ألعب:

---

[١٧٧] مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١٣ / ٢٨)، مرجع سابق.

[١٧٨] هو يوسف بن ماهك الفارسي، من موالي أهل مكة.حدَّث عن: حكيم بن حزام، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وعبد الله بن صفوان بن أمية، وعبيد بن عمير. وعنه: أبو بشر، وعطاء، وأيوب السختياني، وحميد الطويل، وابن جريج، وآخرون. وثَّقه يحيى بن معين. قال الهيثم بن عدي: مات سنة عشر ومائة. وقيل: سنة أربع عشرة. وقال الواقدي، ويحيى بن بكير، والفلاس: توفي سنة ثلاث عشرة ومائة. سيَر أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، (٥/ ٦٨)، مرجع سابق.

﴿ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ ﴾ القمر: ٤٦.

وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده. قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آيَ السور[١٧٩].

فهذا التبصُّر المعرفي، ودون أدنى شك يعيننا أن لا نستنبت البذور في الهواء، أو ننسج ثوباً بخيوط العنكبوت، ويوفِّر علينا حصاداً لشوكٍ يزرعه أناسٌ قلَّ فهمهم لهذا الدين، ولو كانوا مخلصين. وكذا فإني أهيب بأبنائي الشباب، أن يجعلوا التعامل مع آيات القرآن مقصداً لهم، وأن يتَّخذوا من فهمه وحفظه شغلاً لأوقاتهم؛ فأنا على أملٍ أن ألمس دوراً إيجابياً لحفظة القرآن من أبناء هذه الأمَّة، ودوراً ملحوظاً في محاربة الغلو، وذلك من خلال عرض نصوص القرآن، الداعية إلى اليسر، والسهولة والتخفيف، والإعلان برفع الحرج عن هذه الأمَّة، التي خصَّها الله تعالى بخصائص بوأتها مقعداً يمكِّنها أن تكون من أهل الشهادة على الأمم الأخرى.

– إقلال ساعات التعليم الديني في المدارس والجامعات أو انعدامها في كثير من فروعها، ووجود ثغراتٍ في التعليم، فثمَّة إيديولوجيات تُدرَّسُ، تقوم على التمييز والإقصاء والأفكار المناهضة لقيَم التسامح، ومنها ما يتَّصل بالعنصرية والقومية والعرقية وعدم احترام الثقافات الأخرى، ومجرَّد اطلاع الأطفال عليها نجدهم يميلون إلى النظرة الدونية إلى الآخر ممَّا يتولَّد عندهم ثقافة العنف، ويردف هذا

[١٧٩] أي قرأت عليه ما تيسَّر من القرآن.

عدم وجود تنسيق بين البيت والمجتمع والجامعة في إعطاء ثقافة صحيحة للفرد، وأؤكد هنا على ضرورة تبنِّي مناهجَ تربويةً قادرةً على تعزيز قيَم التسامح، وحبَّذا لو حملت هذه المناهج مشروعاً متكاملاً دون تزييف للوعي، وضمن أطُرِ النقد الموضوعيِّ لبيان الغثِّ والسمين في ثقافات الآخرين، دون أن يؤدي ذلك إلى ثقافة الكراهية انطلاقاً من مبدأ وحدة الشخصية الإنسانية، ومراعاةً لمقولة سيِّدنا عليٍّ ﷺ:" فالناس صنفان، إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق. يفرط منهم الزلل، وتعرض لهم العلل، ويؤتى على أيديهم في العمد والخطأ؛ فأعطهم من عفوك وصفحك، مثل الذي تحب أن يعطيك الله من عفوه وصفحه"[١٨٠].

ومن دواعي استكمال العملية التربوية للأجيال، لا بدَّ من التركيز على فكرة الحوار، ودِيننا منهج يدعو إليه.

ومن ناحيةٍ أخرى فإن متابعة أبنائنا لمشاهد أفلام الكراتيه والجودو، وجلَّ برامج الأطفال، نلاحظ وجود العنف هو الأساس في أحداثها. وكلنا يعلم جاذبية التلفاز للصغار والكبار، وبكل أسف فإنَّ الإعلام في كثير من بلدان العالم الإسلامي يغصُّ بهذه المواد الإعلامية الغربية، فتغرس في أبناء المسلمين النزوع نحو العنف، وهي برامج مشوِّقة، ولها حضورها في أروقة منازل المسلمين!.

[١٨٠] الثورة البائسة، د. موسى الموسوي، ص: ١٤٠، بدون تاريخ، أو دار للنشر.

– العوائق التي تُقام في وجه الدعوة والدعاة، من حملات التشويه والمحاربة والملاحقة. انظر مثلاً قوانين الطوارئ في بعض البلدان الإسلامية، وكأنَّها مهيأة للإسلاميين فقط دون غيرهم!!.

ومن ملحقاتها قانون الزندقة الصادر في أكتوبر ١٩٨٩م في ليبيا مدعوماً بلجان التطهير، وفي تونس أيام الحبيب بورقيبة حيث شكَّل الأخير جماعةً لاغتيال الملتزمين من المسلمين، أُطلِق على هذه الجماعة: شارع الظلام، تخصَّصت في قتل طلاب جامعة الزيتونة بعد تعذيبهم ودفنهم ليلاً. وقبل ذلك بفترة وجيزة أعلنت الحكومة عن استعدادها لمنح ترخيص صوري لممارسة العمل السياسي، فبرزت حركة الاتجاه الإسلامي ففتحت لها المعتقلات، وصدرت أحكام بالسجن تصل إلى عشرة سنوات، ومُنح في الوقت ذاته ترخيص حقيقي لنشاطات الحزب الشيوعي!!. هذا قليلٌ من كثيرٍ، وغيضٌ من فيضٍ لا يتَّسِع المجال هنا لتفصيلاتٍ أكثر.

وثمَّة اتفاقيات بين بعض الدول، وفي صدارتها ما هي على مستوى وزراء الداخلية فيها، ولم ألحظ أنهم اتفقوا في موقف ما على رأيٍ واحدٍ إلا عند ممارسة الضغط على الإسلاميين!. ومنهم من عقد اتفاقيات مع دول من خارج دول الجامعة العربية، بل وصل بالبعض منهم إلى التعاون مع إسرائيل لذات الغرض!!. وكان بعض الأفراد من الأردن في معتقلات سوريا، مطلع ثمانينات القرن الفائت، يُسألون عن أسماء نشطاء مسلمين في الأراضي الفلسطينية، وخاصَّة في أم

الفحم، وكفر قاسم!. ناهيك عن اتفاقٍ سرِّيٍّ بين إسرائيل والسلطة الفلسطينية على تعديل صيغة: [جنين أولاً] إلى صيغة أفضل، مقابل قيام السلطة بتصفية فصائل المعارضة الإسلامية!. وبعد أسبوع حدث انفجار في غزَّة مستهدفاً نشطاء من حركة حماس، التي اتهمت السلطة في تدبيره بالتنسيق مع جهاز الأمن الإسرائيلي [الشين بيت] ١٨١. وفي مصر نشطت الاتصالات مع كلٍّ من باكستان وأفغانستان وألمانيا والسودان واليمن لجمع معلومات عن نشاط الإسلاميين١٨٢.

وفي تونس اجتمع وزراء داخلية دول البحر المتوسط لمطاردة أفراد الحركات الإسلامية، وعدم منحهم اللجوء السياسي أو السماح لهم بالإقامة فيها! وعلى إثرها سارعت فرنسا بشنِّ حملة على المسلمين المقيمين على أراضيها تنفيذاً لهذا الاتفاق!١٨٣.

وفي الوقت الذي يُضيَّق فيه على الإسلاميين، نلحظ التغاضي عن المتهجمين على القيم الدينية خاصَّة عبر وسائل الإعلام، بل بلغ الحدُّ إلى إبراز هؤلاء الذين تجاهلوا فطرة التدين عند عامَّة المسلمين، على أنَّهم متنورون وتقدميون، ومُنحت الفرصة لهم للسيطرة على الساحة السياسية والاجتماعية، وغالبيتهم من

---

[١٨١] انظر صحيفة المحرر، عدد ٢٩٨/٥٦، ١٠/٤/١٩٩٥م.

[١٨٢] انظر صحيفة الشرق الأوسط، عدد ٥٣١٩، ٩/٩/١٩٩٣م.

[١٨٣] انظر نشرة قضايا دولية، عدد٣٦٦، ٦/٢/١٩٩٥م.

العلمانيين المتطرفين[184]، حتى لا نضعهم في سلَّة واحدة، رغم أنَّ هذا التيَّار – أعني العلمانية – قد فشل فشلاً ذريعاً، والمراقبون المعتدلون قد بحثوا عنه فوجدوه قد حوصر في زاوية ضيِّقة، كونه ضلالة مستوردة فرَّغت الإسلام من محتواه السياسي والاجتماعي، وتصيَّد في الماء العكر، مستغلاً بعض الحوادث الطارئة مثل أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وقد عمل جاهداً على تذويب هويَّة الأمة صاحبة الموروث الثقافي، كما وضح لهم أنه مُنِيَ بهزيمة منكرة بسبب خلوِّه من البعد الديني، وتكريسه للمذهبية، والقومية. حتى أنَّ واحداً من رموزهم، وهو الدكتور فؤاد زكريا، وفي مقال له نشره في [الأهرام] اعترف بأنَّ العلمانيين قد أجهدوا أنفسهم من الكلام، ولكن أحداً منهم لا يستمع إليهم، كأنهم يخاطبون بعضهم بعضاً. يقول [جون الترمان] مدير برنامج الشرق الأوسط في مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية والخبير في الشؤون المصرية:" الليبراليون العرب هامشيون في بلدانهم، ولا يستحقُّون دعمنا الزائد "[185].

---

[184] ومنهم من أسَّس حزباً على أساسٍ طائفيٍّ، كالعلمانيين من البربر في الجزائر، الذين اعتبروا هويتهم الوطنية هي الأمازيغية، وطالبوا بفصل الدين عن الدولة، وعن الحياة باستبعاد الشريعة الإسلامية عن تقنين القوانين، والدعوة إلى إلغاء تشريعاتٍ إسلاميةٍ ثابتةٍ مثل تعدُّد الزوجات.

[185] صحيفة النهار، ٢٠٠٤/٨/١٣م.

ويتعيَّن علينا أن لا ننسى أنَّ القمع للمتدينين يودي بهم إلى حالة من اليأس، والقصَّة في صحيح البخاري من الشهرة بمكان عندما أجهزَ القاتل على الراهب لعدم حصوله على توبة فأتمَّ به رقم المائة من ضحاياه.

– من مبدأ تسمية الأسماء بمسمَّياتها، كان من الخطأ بمكان، تعامل الأنظمة مع الأفغان العرب القادمين من ساحة الجهاد، فبدَل أن يستثمروا طاقاتهم نظروا إليهم على أنهم إرهابيون، ومن المؤسف أن إعلامنا العربي يدقُّ على الأوتار ذاتها التي يدقُّ عليها الإسرائيليون، حين يدَّعي كتَّابهُم أنَّ الشيوعيين كانوا أهون وأرحم من الإسلاميين، فزعماء [الكرملن] السابقون كانوا يتَّسمون ببرودة الأعصاب، ولا يعرفون الرحمة. لكنهم لم يكونوا انتحاريين كالمتعصبين المسلمين!.

– تحدَّثت [جوسلين سيزاري] عن مشكلة الجاليات المسلمة في الغرب المعاصر، وأنهم يواجهون قضايا جديدة ،كما أنهم يشعرون بالغربة والتهميش فتتصاعد لديهم الميول الأصولية[١٨٦].

– انتهاك الحرمات ورؤية المنكرات، والمتدينون يقرؤون في البيان النبوي:" لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهونَّ عن المنكر، أو ليسلطنَّ الله شراركم على خياركم، فيدعو خيارُكم، فلا يستجاب لهم "[١٨٧]. ومن مثل حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما،

---

[١٨٦] انظر كتابها المواجهة بين الإسلام والديمقراطية، ص٤٥، ٢٠٠٤م.

[١٨٧] قال عنه المحدِّث الألباني رحمه الله في " السلسلة الضعيفة والموضوعة "، ٩/ ٢٨٩: ضعيف.

يرفعه قال:" يأتي زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح في الماء، قيل : ممَّ ذاك يا رسول الله؟ قال: ممَّا يرى من المنكر لا يستطيع تغييره "[١٨٨].

ولعلَّ من أشنع وأعظم هذه التي يتفطَّر لها قلب المتديِّن، هو السماح لبعض أقزام أصحاب القلم أن يُفتَح لهم الباب على مصراعيه، في التهجُّم على الثوابت الدينية، وعلى سبيل التمثيل تلك المجلَّة التي تتبع للحزب الحاكم في مصر، فترة حكم الرئيس مبارك، وهي مجلة أكتوبر، والتي نشرت أباطيل فرج فودة، وعندما انبرى الأزهر للردِّ عليها امتنعت المجلة عن نشره!!. ويضاف إليه نصر حامد أبو زيد، وأقلام مأجورة أخرى على صفحات مجلة الأهالي، وزميلتها في تزييف الوعي، وأعني بها مجلة روز اليوسف المشبوهة. ومن خلال الأفلام أو المسلسلات التي احتوت بين جنباتها كلَّ شيء سوى النزاهة والمصداقية، وعلى سبيل المثال: مسلسل العائلة، وهالة والدراويش، وأرابيسك، وفيلم الإرهابي، وحكاية بلا بداية ولا نهايه، وفيلم طيور الظلام. كل هذه الأعمال تحظى بدعم ليس له حدود من النظام العلماني الحاكم، ومن طابوره الخامس. والتي فيها شخصية المتدين مهزوزة ضائعة، أو متطرِّفة، أو عميلة للأجنبي!!.

– عدم تحكيم الشريعة الإسلامية في بلاد غالبية سكانها من المسلمين، وكان البديل عنها القوانين الوضعية المستوردة[١٨٩]، ممَّا أدى إلى اختلال منظومة القيم،

---

[١٨٨] أخرجه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والديلميُّ (٥/٤٤٠، رقم ٨٦٧٧) ، والرافعيُّ (١/٣٨٢).

حتى إنَّ البعض قد تجرأ على إصدار القوانين التي تسيء إلى مشاعر المسلمين، مثل الذي أصدره وزير التعليم المصري في تسعينات القرن الماضي، يمنع الطالبات من الحجاب، فأصدر الأزهر فتوى تخالفه، ثم حكمت محكمة القضاء الإداري بوقف قرار الوزير استناداً إلى عدم اختصاصه بإصدار مثل هذا القرار فضلاً عن مخالفته للدستور وأحكام الشريعة.

– انصراف بعض الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي نحو الغرب الذي فقد نزاهته ومصداقيته لدى المسلمين، مما أدَّى إلى المواجهة بين تلك الأنظمة وشعوبها، وكانت هذه الوجهة نحو الغرب هي التربة الخصبة التي نبتت فيها بعض التنظيمات التي تعتمد أسلوب العنف في منهجها. وفي الوقت ذاته كان موقف الغرب داعماً للنظم الاستبدادية، ومحرِّكاً لكثير من الحروب الخاسرة كحرب الخليج

---

١٨٩ ولم تقف المعضلة عند حدِّ استيراد القوانين فحسب، بل تجاوزت ذلك إلى إدخال الحلول المستوردة ضمن منظومة القيم، كالدعوة إلى التغريب، ثم الاشتراكية، وترافق معها ظهور تيار القومية العربية، وبعد حينٍ من الزمن جاء الإعلان عن إفلاسها في عالم القيم على أرض الواقع، مما أدى إلى رفع شعار: الإسلام هو الحلُّ. وبسبب اختلاف فهوم بعض أبناء المسلمين للنصوص الشرعية، جاء العنف كردَّة فعلٍ على الهزيمة الفكرية التي مُنيت بها هذه الحلول المستوردة. يقول المستشرق[مكسيم رودنسون]:" إنَّ الأسباب التي تقف وراء هذه الظاهرة – يعني التطرف – ربما هي التي نجدها في ظواهر مماثلة في دول أخرى، ولدى شعوب أخرى في العالم العربي كما في أماكن أخرى نشأ إحباط تجاه الأيدلوجيات الاجتماعية الكبرى، التي انتشرت في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ".

الأولى، وأقصد بالغرب هنا الشطر الأميركي، والآخر الأوربي؛ والمعنيِّ عندي هم حكامه، وهنا نجد مفارقة كبيرة، فالمفكرين فيه يعتبرون أنَّ الإرهاب هو نتاجٌ طبيعيٌّ للاستبداد في ظلِّ الأنظمة الشمولية، وبالرجوع إلى تصنيف [بيت الحرية] في أميركا فإنه يخلص إلى أنَّ ثلاثة وعشرين من دكتاتوريي العالم يوجدون في منطقة الشرق الأوسط، ومن أصحاب هذا الرأي [شاراتكسي] صاحب كتاب: حالة الديمقراطية، و[مارك بالمر] صاحب كتاب: تحطيم الشرِّ الحقيقيِّ. وهذا لا يعني نزاهة كلِّ المفكرين الغربيين في مواقفهم تجاه الشرق وهويته، فثمَّة مفكِّرون يطرحون أطروحات فيها العداء السافر، والحقد الأعمى على الإسلام وأهله، ولا شكَّ أنها توصل بعض المسلمين إلى ردود أفعال غير متوازنة، كقتل السيَّاح وخطفهم مثلاً، أو إلى تحطيم بعض السفارات، كما لاحظنا تبعات الرسوم الكاريكاتورية في الدانمرك، وتبعات تصريحات البابا السادس عشر في محاضرته بإحدى جامعات ألمانيا في شهر ستنمبر ٢٠٠٦م، ومن دواعي الأسف أنَّ وزيراً إيطالياً صرَّح فترة أزمة الرسوم يقترح على بابا الفاتيكان تشكيل حملة صليبية، تستعمل القوة ضدَّ المسلمين! مقارنةً مع بيان منظمة المؤتمر الإسلامي إثر محاضرة البابا بألمانيا، وفيه:" نربأ بأنفسنا الرجوع والتذكير والحديث عن فترة الحروب الصليبية التي قادتها الكنيسة ".

هذا وقد عمل الغرب جاهداً على تأصيل ثقافة الكراهية عند بعض كتَّابه، من أمثال[هنتجغون] صاحب كتاب: صراع الحضارات، ومن خلال التصريحات

المثيرة لبعض أهل القلم من أمثال: [مايكل سالا] الأميركي الذي أشار إلى ضرورة دعم حكومات المسلمين، التي تعمل على قمع الحركات الإسلامية، وهو ذاته الذي تنبأ بأنَّ العلاقات بين الإسلام والغرب سوف تكون عدائية واستئصالية؛ ومن أمثال [جون كالفن] السكرتير العام السابق لحلف شمال الأطلسي القائل:" لقد كسبنا الحرب الباردة بين الشرق والغرب، ولكن هناك خلافٌ قديمٌ سوف يتجدَّد إن عاجلاً وإن آجلاً بيننا وبين الإسلام، ولا ندري من الذي سيكسب المعركة؟ وكلُّ من يقرأ مثل هذا التنظير يلحظ نيَّة الغرب في مواصلة الحرب الصليبية المقنَّعة.كما عمل الغرب على التزام انحيازه نحو الدولة العبرية، واعتمد على سياسة الكيل بمكيالين، يقول[ريتشارد نيكسون]:" والتزامنا تجاهها – أي دولة إسرائيل – ينبع من ميراث الحرب العالمية الثانية، والتزامنا الأدبي والإيديولوجي تجاه مساندة الديمقراطيات الضعيفة، فلن يستطيع أيُّ رئيسٍ أمريكيٍّ أو كونجرسٍ أن يسمح بتدمير دولة إسرائيل ". وكان من أجندة هذا الانحياز، استخدام البنك وصندوق النقد الدوليين، للضغط على الدول العربية، حيث استُخدِمَت سياسة القروض لأغراضٍ سياسيةٍ منها، حمل الدول العربية على القبول بالسلام الأميركيِّ الإسرائيليِّ، والتطبيع، وفي أواسط تسعينات القرن الماضي استعمِلَت السياسة نفسُها للضغط على مصر، لإجبارها على التوقيع على اتفاقية الحظر النووي، وكلنا يذكر الوقت الذي خرجت فيه السودان من

تحت العباءة الأميركية سنة ١٩٨٩م ،كيف أعلن فيه صندوق النقد الدولي أنَّ السودان دولة غير متعاونة.

هذا الانحياز السافر، قد أدَّى بما لا يدع للشكِّ إلى ظهور تنظيمات متشدِّدة، سوف نجد الكثير من أبناء المسلمين من يتعاطف معها، واستطلاعات الرأي في بعض البلدان العربية عن بعض رموز هذه التنظيمات تعطي هذه الدلالة. ومن المفارقة اللافتة، أنَّه في حال قُتِل مستوطنٌ حاقدٌ على يد شابٍّ فلسطينيٍّ، تستنفر وسائل الإعلام العالمية ضدَّ هذا الإرهابي الفلسطيني الذي لا يعرف أيديولوجيةً للعنف، على عكس خصمه الذي تربَّى على ثقافة البروتوكول التاسع الذي يقول في منطوقه، وبالحرف الواحد:" إنَّ لنا طموحاً لا يُحدُّ، وشرَهاً لا يشبع، ونقمةً لا ترحم، وبغضاء لا تُحَسّ، وإننا مصدر إرهابٍ بعيد المدى "[١٩٠]. وعلى مقولة أحد القادة الصهاينة، وهو [أوسكار ليفي]:" نحن سادة العالم وجلادِّيه، ومحرِّكي الفتن فيه ومفسديه ". ومن المعلوم وجود تيَّار أصولي مسيحي متعصِّب في أميركا، لكن عنده تنكفئ الأبواق الإعلامية عن فضحه لتتفرَّغ للمسلمين، وللمسلمين فحسب! في الوقت الذي تؤيِّد فيه حركات التحرر في أوربا الشرقية وتدعم التوجهات الليبرالية في دول أميركا اللاتينية!.

[١٩٠] بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمَّد خليفة التونسي، ص١٤٥، دار الكتاب العربي، بيروت.

وليس من نافلة القول أن أشير إلى أنَّ العالم الغربي، وعلى رأسه أميركا قد عمَدَ إلى فرض نفوذه لتحرير وثائق مخالفة للقيم الروحية التي تلتزم بها الشعوب، من خلال مؤتمرات عالمية تنعقد تحت مظلَّة الأمم المتحدة، مثل المؤتمر العالمي للسكان المنعقد سنة ١٩٩٤م الذي نصَّ على إباحة الشذوذ الجنسي والإجهاض!!. وهذا يُعدُّ استعباداً من لون جديد من تلك القوى العالمية لشعوب العالم الثالث.

– الظلم الاجتماعي في بعض المجتمعات، ومن مظاهره تجاهل مطالب الأقليات، والجماعات المعارضة؛ ومن مظاهره أيضاً عدم التمتع بالخدمات، والحقوق الأساسية كحقِّ العمل والتعليم والعلاج في ظلِّ تدهور للاقتصاد، وتدَّني مداخيل الفرد مما يؤدِّي إلى التذمر بسبب معاناة طويلة الأمد، وهذا ليس مقتصراً على شعوبنا فقط، فإشعال الحرائق في ضواحي باريس سنة ٢٠٠٥م يشهد لما ذهبت إليه.

– وثمَّة أسباب أخرى أستعرضها على عجالة، وهي لا تقلُّ كثيراً عن سابقاتها من حيث الأهمية، لذا فإنَّ من اللزام علينا المرور عليها، وهي:

* اختراق الدول الخارجية لبعض التنظيمات الإسلامية، التي لبست لبوس العنف من أجل تشويه جمالية الإسلام، ومن أجل كسب ذريعة ومسوِّغ لغزو بلاد المسلمين.

* كان من مفرزات التكنولوجيا والتقدم العلمي: الشبكة العنكبوتية التي تسهم في الجنوح نحو العنف، خاصَّة عند الشباب المتحمِّس، الذي يسرع إلى حرق المراحل في مسيرة فهمهم لهذا الدين القيِّم، ويقفون ضمن هذه الدائرة من المعرفة، ولا يتجاوزوها إلى دائرة أخرى على الشبكة نفسها، وعلى سبيل المثال: الموقع الوسطي [إسلام أون لاين] الذي يسعى إلى ترشيد الطريق أمام الشباب.

* الجهل بطبيعة المجتمع الغربي وطريقة تفكيره، وثقافته، وسبل التعايش معه، وفق المنهج الرباني، وتجدر الإشارة هنا إلى ضرورة تدريس قيَم الاعتدال، وطرق التعامل مع هذا المجتمع في أكاديمياتٍ يشرف عليها مسلمون مخلصون من أجل الوصول إلى ما نصطلح عليه بـ [التوازن الحضاري] .

* غياب الحوار الفكري الشامل والهادف والعميق حول مفهوم الإصلاح، وحول مقوماته، وآلياته الإجرائية.

* التعصُّب للأشخاص، وللرموز والقيادات، مع العلم بأنَّ أدبيات الشريعة قد عهدت إلينا أن نعرف الحق فنعرف أهله، ويكون انتصارنا للصواب والفكرة لا لصاحبها. حتى إنَّ إشارة النص قد أومأت إلينا أن المعوَّل عليه هو الخبر الصادق، ونصُّ الوحي هو المقَّدس، وليس شخصه ﷺ مع أنه أحبُّ الناس إلى الحقِّ جلَّ في علاه، وكذا هو أحبُّ الناس إلينا، فداه أرواحنا ومهجنا. قال الله ﷻ:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ ﴾ آل عمران: ١٤٤.

قال الشوكانيُّ رحمه الله:" واعلم أنَّه كما يتسبَّب عن التعصُّب محق بركة العلم، وذهاب رونقه، وزوال ما يترتَّب عليه من الثواب، كذلك يترتَّب عليه من الفتن المفضية إلى سفك الدماء، وهتك الحُرَم، وتمزيق الأعراض، واستحلال ما هو في عصمة الشرع ما لا يخفى على عاقل، ولا يخلو عصر من العصور، ولا قطر من الأقطار من وقوع ذلك، وهذا يعرفه كل من له خبرة بأحوال الناس "[١٩١] .

ولا يمكننا معالجة انحراف عن الجادَّة بانحرافٍ مثله، بل لا بدَّ من مرجعية شرعية مسدَّدة بالوحي نصدر عنها، والاعتماد على العقل كما يفعل العلمانيون دون الوحي معضلة، كون نسبة الوحي للعقل كنسبة الطاقة للسرَاج؛ و" الناس متى تركوا الاعتصام بالكتاب والسنة فلابد أن يختلفوا، فإن الناس لا يفصل بينهم إلا كتابٌ منزَّلٌ من السماء، كما قال تعالى:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ

[١٩١] أدب الطلب ومنتهى الأدب، الشوكاني، ص: ٩٢، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، ط١، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م، دار ابن حزم، بيروت.

ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾ **البقرة: ٢١٣.**

وكما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾

النساء: ٥٩ "[١٩٢].

وأصحاب هذه المرجعية، هم عامَّة العلماء الثقات الذين تلقتهم الأمة بالقبول، ومن هنا جاء البيان النبوي لينير لنا طريقة التعامل مع أيِّ ظاهرة نشاز نلحظها في واقع حياة المسلمين، قال رسول الله ﷺ:" يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"[١٩٣].

---

[١٩٢] موقف ابن تيمية من الأشاعرة، (٢/ ٧٢٧)، عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط١، مكتبة الرشد، الرياض،١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.

[١٩٣] رواه الطبرانيُّ في مسند الشاميين ج ١/ ص ٣٤٤ حديث رقم: ٥٩٩، وأورده ابن عديٍّ بطرقٍ كثيرةٍ كلها ضعيفة كما صرَّح به البيهقيُّ، لكن يمكن أن يتقوّى بتعدُّد طرقه ويكون حسناً، كما جزم به العلائي.

هذا وإنَّ غياب المرجعية الواحدة ترتَّب عليه مفاسد وتنازع بين الاجتهادات المختلفة، ممَّا جعل الفرصة سانحةً لأعداء الإسلام في استقطاب المرجعيات الرسمية من أهل المداهنة والنفاق، والسيطرة عليها والتنسيق معها من تحت الطاولة ومن وراء الكواليس، متجاهلين ردود أفعال الشعوب المستضعفة المغلوب على أمرها.

* الغياب الملموس أيضاً لبرنامج عمليٍّ يعمل على محاربة الغلو، والمتوفِّر حالياً هو الشجب والاستنكار فقط، بل إنَّ من المؤسَف له أنَّ بعض علمائنا يصنِّف من تبنُّوا فكر التكفير – هكذا بدون ضوابط – ضمن الشباب الملتزم، وكان عليهم على أقلِّ تقدير أن ينعتوهم بالنعت الذي اعتمدتُهُ، وهو ضلال الطريق.

هذا وإنَّ من العوامل التي تتسبَّب في هذا الغياب، ما تتَّخذُهُ بعض الأنظمة من إجراءات تجاه بعض المؤسَّسات الدينية التي نؤمِّل أن تُسهِم في عملية الإصلاح، وكلنا يذكر القانون الذي أصدره الرئيس عبد الناصر سنة ١٩٦٩م، والمعروف باسم قانون إعادة تنظيم الأزهر، ويذكر أيضاً إغلاق الحبيب بورقيبة جامعة الزيتونة بتونس تحت لافتة إصلاح التعليم!!.

* عدم احترام مبدأ الاختصاص في الفتوى الشرعية نصَّ عليه البيان القرآني:

﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ ﴾ **سورة التوبة: ١٢٢.**

فيلزم الرجوع إلى هذه الطائفة، وإزاء ذلك تسرَّع بعض الشباب المسلم إلى الحسم في مسائل ذات صلةٍ بقضايا الأمة وقيَمَها.

قال عطاء بن السائب[١٩٤]:" أدركت أقواماً إن كان أحدهم ليُسأل عن الشيء، فيتكلم وإنَّه ليرعُدُ "[١٩٥]." وقال ابن أبي ليلى[١٩٦]: أدركت مائة

---

[١٩٤] هو عطاء بن السائب الثقفي مولاهم الكوفي، الإمام، الحافظ، محدِّث الكوفة، أبو السائب. وقيل: أبو زيد. وقيل: أبو يزيد، وأبو محمَّد الكوفي. عن أبيه: السائب بن زيد. وقيل: ابن مالك الثقفي، مولاهم.كان من كبار العلماء، لكنه ساء حفظه قليلاً في أواخر عمره. حدَّث عنه: إسماعيل بن أبي خالد – وهو من طبقته – والثوري، وابن جريج، وأبو جعفر الرازي، وروح بن القاسم، والحمادان، وموسى بن أعين، وأبو عوانة، وخلق كثير.قال ابن عيينة: حدثني بعض أصحابنا: أن أبا إسحاق كان يسأل عن عطاء بن السائب، فيقول: إنه من البقايا. قال أحمد بن حنبل: عطاء ثقة ثقة، رجل صالح. وقال: من سمع منه قديماً كان صحيحاً، ومن سمع منه حديثاً لم يكن بشيء. انظر سير أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، (٦/ ١١٠)، مرجع سابق.

[١٩٥] الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، (٢/ ٣٥٣)، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، ط٢، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، السعودية.

وعشرين من الأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يُسأَل أحدهُم عن المسألة، فيردُّها هذا إلى هذا، وهذا إلى هذا، حتى ترجع إلى الأول، وما منهم من أحد يحدِّث بحديث، أو يُسأل عن شيء إلا ودَّ أنَّ أخاه كفاه. وقال أبو الحسين الأزدي[١٩٧]: إنَّ أحدهم ليفتي في المسألة، لو وردت على عمر بن الخطاب لجمع لها أهل بدر! وسئل القاسم بن محمَّد[١٩٨] عن شيءٍ، فقال: إني لا أحسنه، فقال له السائل: إني جئتك لا أعرف غيرك، فقال له القاسم: لا تنظر إلى طول لحيتي، وكثرة الناس حولي، والله ما أحسنه، فقال شيخ من قريش جالس إلى جنبه: يا ابن أخي الزمها، فو الله ما رأيناك في مجلس أنبل

---

[١٩٦] هو محمَّد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار ابن بلال الأنصاري الكوفي. قاضٍ، فقيه، من أصحاب الرأي. وليَ القضاء، والحكم بالكوفة لبني أمية، ثم لبني العباس؛ واستمر ثلاثة وثلاثين سنة. له أخبار مع الإمام أبي حنيفة، وغيره. مات بالكوفة سنة ١٤٨هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٦ / ١٨٩)، مرجع سابق.

[١٩٧] هو مسلم بن إبراهيم أبو عمرو الفراهيدي بالولاء، الأزدي: محدِّث البصرة في أيامه سمع من ثمانمائة شيخ بها، ولم يرحل. وكُفَّ بصره في آخر حياته، وكان قصَّابا. وافته المنيَّة سنة ٢٢٢ هـ. انظرالأعلام للزركلي، (٧/ ٢٢١)، مرجع سابق.

[١٩٨] هو القاسم بن محمَّد بن أبي بكر الصديق، أبو محمَّد أحد الفقهاء السبعة في المدينة. ولد فيها، وتوفي بـ" قديد " بين مكَّة والمدينة حاجَّاً، أو معتمراً. كان صالحاً ثقةً من سادات التابعين. عمِيَ في أواخر أيامه. قال ابن عيينة: كان القاسم أفضل أهل زمانه. وافته المنيَّة سنة ١٠٧ هـ. انظر الأعلام، للزركلي، (٥/ ١٨١)، مرجع سابق.

منك اليوم، فقال القاسم: والله لأَن يُقطع لساني أحبُّ إليَّ من أن أتكلم بما لا علم لي به. "[١٩٩].

وثمَّة نقطة ضعف أخرى، وهي رجوع بعض هؤلاء الشباب إلى مرجعياتٍ، العلم عندها أكثر من العمل، سِمتُها الميلان عن الحقِّ، وديدنها الترف الفكريُّ والعلم البارد!!.

قال علي ابن أبي طالب ﷺ:" خير الناس النمط الأوسط الذي يرجع إليهم الغالي، ويلحق بهم التالي "[٢٠٠].

* عدم وجود اتفَّاقٍ دوليٍّ على تعريف محدَّد للإرهاب يحدِّد أشكاله وأسبابه، هذا الغموض أفسح المجال لبعض الحكومات لاحتضان ما ترى أنه ليس من الإرهاب في مكيالها ومعاييرها، سواء أكان ذلك الاحتضان بشكل مباشر أم غير مباشر، بينما قد تشهر دول أخرى حرباً على ما تسميه إرهاباً في مفهومها، وهو ليس كذلك عند الأخرى.

وإن كان لي من كلمةٍ أخيرةٍ لهؤلاء الشباب ففي ثناياها التنويه إلى أنَّ دم المسلم غالٍ عند بارئ النسمات، فحذاري أن يُستثمر تفكير كوادرنا الشبابية في غير موضعه، ولديهم طاقة إيمانية هائلة من الحماس لهذا الدين، وحذاري

---

[١٩٩] إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، ابن قيِّم الجوزية، (٥ / ٨١)، مرجع سابق.

[٢٠٠] كتاب الصلاة وحكم تاركها، ابن قيِّم الجوزية، ص ١٥٩، مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.

ثانيةً أن يستغلَّها أعداء الإسلام وقوداً لمواجهات ليست بذات جدوى للمسلمين؛ ولكن المراد توظيفها في تصفية حسابات دوليةٍ، ومعارك في غير معتركٍ يرضي الله ورسوله، وقد جاء الخطاب القرآني للفئة المؤمنة بخطاب قادتها من الرسل تعليماً لهم وإرشاداً:

﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡ﴾ **الأحقاف: ٣٥.**

وإنِ استعجل الكافرون بإيقاع العذاب، لكن عند الله أجلٌ مسمَّىً وحكمةٌ خفيَّةٌ، فلنتفهَّم سنن الله الثابتة، ولنعلم أنَّ الحق إذا فقد القوة حيناً من الزمن لا ينقلب باطلاً، والباطل إذا آزرته القوة وأسعفته، فلسوف يبقى باطلاً، وله مع الحقِّ جولة وجولات ثمَّ يضمحِّل، وعلى الباغي تدور الدوائر، وإن كنت أنسى فلا أنسى تشبيهاً جميلاً للدكتور القرضاوي، شبَّه فيه الإسلام بالماء القويِّ الدافق، لا بدَّ للدعوة فيه أن تجد لها مجرىً ولو بين الصخور.

وإن قوي الباطل واستفحل فلضعف أهل الحق، وكم خسر الأخير من قضايا لأنَّ أهله كانوا نائمين!!. وسيبقى الإسلام رغم هذا الواقع المؤلم، عالي الجنبات رفيع الذرى، وإنه لكذلك.

ولتكن ثقتنا بالله وبديننا كبيرة، وليستبشر الشباب المسلم حيث كان في أرجاء المعمورة، وعلى وجه هذه البسيطة، بأنَّ الدورة الحضارية القادمة هي لصالح الإسلام، وليتذكروا أنهم وعلى وجه الديمومة بحاجة إلى حكمة الشيوخ

وتنظيرهم، فلعلهما يكونان لهم منارةً هاديةً في طريقٍ حالكٍ مظلمٍ. ومن هؤلاء الشيوخ رجلٌ قضى ردحاً من الزمن في العمل الإسلاميِّ، وهو الدكتور [علي عزت بيجوفيتش][٢٠١] الذي يرى بَعْدَ أن شخَّص واقع الأمَّة:" ولكن هناك

---

[٢٠١] ولد في بوسانسكي (يوغسلافيا السابقة) عام ١٣٤٤هـ، وأكمل دراسته العليا في القانون عام ١٩٦٢م. عمل مستشاراً قانونياً لجهات علمية وتجارية مختلفة وفي مقدمتها جامعة سراييفو.

إلتحق بمنظمة الشباب المسلمين عام ١٩٤٠م، فسُجن لنشاطه فيها عام ١٩٤٦م لمدة ثلاث سنوات، وفي عام ١٩٨٢م كان أول المتهمين في محاكمة سراييفو المشهورة، فحُكم عليه بالسجن لمدة ١٤ عاماً، ولكن أطلق سراحه فيما بعد، وفي عام ١٩٨٩م أنشأ حزب العمل الديمقراطيِّ، وهو حزبٌ إسلاميٌّ سياسيٌّ، وانتخِب رئيساً له عام ١٩٩٠م.

وقد وقف بشجاعةٍ منذ فجر شبابه مدافعاً عن حقوق المسلمين، فسُجن مرتين، ولكن ذلك لم يزده إلا صموداً وتضحيةً، كما كتب كتاباتٍ علميةٍ رصينةٍ، يُبيِّن فيها الدور العالمي للإسلام في تقدم الفرد والمجتمعات، وكان لهذه الكتابات عظيم الأثر لا في يوغسلافيا وحدها؛ بل وخارجها، وفي مقدمة كتبه: البيان الإسلامي، الذي تُرجم إلى العربية والإسبانية والإنجليزية؛ الإسلام بين الشرق والغرب، الذي تُرجم إلى الإنجليزية والتركية والماليزية والهندية، ومشكلات النهضة الإسلامية، ولذلك فإن الرئيس بيجوفيتش يمثل سيرة وعملاً، نموذجاً فريداً بين المسلمين البارزين فكراً وسياسة لخدمة المسلمين. حصل بيجوفيتش على جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٤١٣هـ/١٩٩٣م. المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، ص: ٢٣٨، مرجع سابق.

طريقاً واحداً للخروج من الأزمة، وهو تكوين نخبة جديدة تفكر وتشعر إسلامياً، هذه النخبة سترفع راية النظام الإسلامي مع الجماهير المسلمة، وتتخذ الخطوات العملية لتطبيقه "[٢٠٢]. ويقصد بالنخبة هنا القيادات التي ستصل إلى سدَّة الحكم عن طريق العمل التربويّ، والوسائل السلمية؛ ويؤكِّد رحمه الله في موضعٍ آخرَ على أنَّ " الصحوة الإسلامية إنما هي ثورةٌ في التربية تؤدي إلى ثورةٍ في السياسة، فيجب علينا أن نكون أولاً دعاة ثم بعد ذلك نكون جنوداً مجاهدين، وسلاحنا هو القدوة الشخصية والكتاب والكلمة فمتى تلحق القوة بهذا كله؟ "[٢٠٣].

فلنكن جميعاً على مستوى المسؤولية، وليكن توجهنا إلى الله خالصاً من كلِّ شائبةٍ، والله وحده هو الموفِّق.

---

[٢٠٢] الإعلان الإسلامي، علي عزت بيجوفيتش، ص٦١، ط١، ١٤١٩هـ، دار الشروق، القاهرة.

[٢٠٣] المصدر السابق، ص٨٩.

الفصل الثاني

الآثار السلبية لمسلك تبنِّي العنف في التغيير

كنت قد بحثت في فصلٍ سابقٍ أسباب تبنِّي العنف في التغيير، وهو جانب مهمٌّ في موضوع الغلوِّ، كونه يتعلَّق بإراقة دماءٍ من الناس، ويعمل على تمزيق الأمَّة، وتحويل كيانها طرائق قدداً مختلفة متصارعة يكحمها القانون القرآنيُّ في سياق سورة الأنفال٢٠٤، كما يساهم في إضاعة فرص الإصلاح وإنهاء الظلم الواقع من الطغاة على آحاد المسلمين، تحت ذريعة محاربة الإرهاب، بل يزيد من حدَّته ويبدأ الطاغية بالتواصل مع أمثاله في بلاد شتَّى، ويشرع بأخذ الخطط والوسائل والأساليب الحديثة والمتطورة في إيقاع الأذى بالمعارضين؛ وبأبناء التيَّار الإسلاميِّ على وجه الخصوص، لأنهم أكثر من يدافع عن قضايا الأمَّة المصيرية والمفصلية، وقضية فلسطين وأختها كشمير في تاريخنا الحديث، أوضح مثلٍ يدلِّل على ذلك. ممَّا يؤول هذا الواقع إلى إحكام قبضة الطغاة على حرية الحراك السلميِّ الإصلاحيِّ، ويضيِّق عليه فيراقب حركة طباعة الكتب

---

٢٠٤ قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ٤٦﴾ الأنفال: ٤٦

وعملية تحويل الأموال ولقاء المتدينين بعضهم مع بعض، فتضعف حركة الدعوة وينحسر العمل الخيريُّ وتختفي الكتب التنويرية وتؤمَّم المؤسَّسة الدينية وتُحجَّم النشاطات الدعوية سوى التي تتمُّ تحت جناح السلطة الحاكمة وتوجهاتها النكدة، وومن أجندتها ومراميها وتطبيقاتها التسبيح بالثناء على السلطان، ولو كان فرعون زمانه وطاغية عصره. وأوضح مثال وأقربه لهذا الواقع المرِّ، ما شهدته سوريا في العقدين الأخيرين من القرن الفائت.

والطغاة يرون في مبارزة المعارضة والتنكيل بها زهواً وخيلاء وصلَفاً وغروراً وإرواء لنزعات الشرِّ في نفوسهم ولو على حساب شعوبهم، بينما يرون في عملية الإصلاح والتغيير ضعفاً وتنازلاً في غير مكانه! ومدعاة لحدوث انقلابات وتمرُّد وثورة قد تذهب بعروشهم وكراسيِّهم، التي أدانوا لها بالولاء المطلق فاتخذتهم عبيداً لها. وتأتي ألاعيب السحرة من أصحاب السلطة الرابعة، وتدعمهم بطانة السوء للحاكم مستندين إلى المنافقين من الطابور الخامس، ليرسموا للطغاة أنَّ سبيل القمع الأمنيِّ هو الأنسب والأصلح للشعوب، التي لا يمكن ضبطها إلا من خلال دولةٍ أمنيةٍ تحبس أنفاس الشعوب المستضعفة التي ابتليت بشرذمةٍ من الحكَّام الذين نأوا عن شعوبهم وجلسوا في أبراجهم العاجية.

ومن الملاحظ أنَّ الطغاة لم يعطوا شعوبهم سوى الاستبداد السياسيِّ والفساد الماليِّ والإداريِّ والتحلُّل الخلقيِّ والتخلُّف الحضاريِّ، وهذا كله يشكِّل احتقاناً عند الشباب المتديِّن المشحون تدينه بالحماس.

ثم جاءت على المستوى الدولي تفجيرات برجي التجارة في نيويورك، إذا سلَّمنا بفرضية مسؤولية تنظيم القاعدة عنها، تحت مسوِّغ ضرب الاقتصاد الأميركي، فجاءت شركات التأمين فغطَّت الخسارة الحاصلة وبقيت واقفة على قدميها، ولم تغلق أبوابها، بل تمَّ إغلاق المؤسَّسات الخيرية الإسلامية بدلاً عنها، ولم يتأثَّر الاقتصاد الأميركي البتَّة؛ وأمارة ذلك أنه أتاح احتلال دولتين مسلمتين، كانا يشكِّلان شوكة في أعين أعداء الإسلام، وبدأ مسلسل هدر الطاقات وضياع الإمكانات وتصفية الشباب، الذين هم أمل الأمة وحاملي موروثها الحضاري وصانعوا حاضرها ومستقبلها المشرق ووقودها في حربها وسلمها، كل ذلك يتمُّ مقابل مكاسب وهميةٍ وسرابٍ يلوح للناظر عن بعد، لكنه يبقى سراباً لا يُنتفَع به.

هذا وإن من المحتمل أن تتعاطف منظمات حقوق الإنسان مع بعض من يقع عليهم الظلم، لكن من المؤكَّد أن تدعم الدول جميعها، الحكام الذين يتقنون صناعة التزييف الفكري والتضليل الإعلامي لمجرَّد وقوع حادث إرهاب في بلادهم!.

ومن الضرورة بمكان أن نعتمد نبذ سياسة العنف، مبدأ أصيلاً في نسيجنا الاجتماعي، وليس خطَّةً استراتيجيةً مرحليةً يعتريها الأفول بعد ردحٍ من الزمن. ولمزيدٍ من التوضيح أشرع في بيان التبعات والنتائج التي يفرزها التشدُّد الذي أسدَل أصحابُه ثوب الشرعية عليه!!. وبإمكاني تقرير أهمِّها في النقاط الآتية

التي آثرت أن أفردها كلَّ واحدةٍ على حدة فيسهل فهمَها، وتثبت في ذاكرة القارئ الكريم:

* قتل النفس المعصومة دمُها في بعض الحالات، وليس جميعها؛ وكلُّ ما من شأنه أن يريق دماً، فهو يحتاج لاجتهادٍ جماعيٍّ يُراعى فيه مصلحة المسلمين، وفقه الحالة والواقع، وفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد، ويتَّفق مع فقه المقاصد. ومعلومٌ بالنصوص الشرعية أنَّه يحرُمُ قتل النفس المعصومة سواء كانت نفساً مسلمة، أو كافرة معاهدة، أو ذميَّةً ممَّن قدِموا لإفادة بلاد المسلمين، لا لقتالها أو بغية التجسُّس لحساب الآخرين، قال الله ﷻ:

﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ **النساء: ٩٣.**

وقال أيضاً:

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ **المائدة: ٣٢.**

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:" لا يزال المؤمن في فسحة من دينه، ما لم يصب دماً حراماً "[٢٠٥]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، أن النبيَّ ﷺ قال:" لزوال الدنيا أهون على الله من قتل رجل مسلم "[٢٠٦]. هذا وقد رجَّح الشاطبيُّ رحمه الله نبوة الخضرِ[٢٠٧] لقوله جل جلاله:

﴿ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ الكهف: ٨٢.

إذ لولا نبوته لما أباح قتل الغلام، وإن كان كافراً. ونحن لن نُسأل أمام الله إن لم نكفِّر أحداً من المسلمين، وإن حالفنا الصواب؛ وفي الوقت ذاته سنحاسب إن أخطأنا في تكفير واحدٍ منهم. قال الأستاذ حسن الهضيبي رحمه الله:" ولا يجوز إطلاق اسم الكفر إلا على مَن هذه صفته في الدين، أي على الذي جَحَدَ شيئاً ممَّا افترض الله تعالى الإيمان به، بعد قيام الحجَّة عليه ببلوغ الحقِّ إليه، أو

---

[٢٠٥] أخرجه البخاريُّ: ٩/٢(٦٨٦٢)، وأحمد ٢/٩٤(٥٦٨١).

[٢٠٦] أخرجه الترمذيُّ، وقال في علله الكبير: قال البخاريُّ: الصحيح أنه موقوف على ابن عمرو.

[٢٠٧] الصواب الذي عليه المحققون أنَّ الخضر ميِّت، وأنه لم يدرك الإسلام، وسئل إبراهيم الحربي عن تعمير الخضر وأنه باق، فقال: ما ألقى هذا بين الناس إلا شيطان. وسئل البخاري عن الخضر وإلياس هل هما أحياء؟ فقال: كيف يكون هذا! وقد قال النبيُّ ﷺ:" لا يبقى على رأس مائة سنة ممَّن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ". رواه الشيخان.

الذي عمل عملاً جاء النصُّ بأنه مخرجٌ له عن اسم الإيمان "[٢٠٨]. وزاد في بيان ضوابط الجحود فقال:" فإنه يجب حتى يُعتبرَ الشخصُ جاحداً، أن يكون قد أعلن إعراضه عن شريعة الإسلام جملةً، أو أن يعلم حكم الله تعالى في النازلة المتنازع عليها، ثم يأباه ويستحلُّ خلافه "[٢٠٩].

وقال ابن حزم[٢١٠] رحمه الله:" لا ذنب عند الله ﷻ بعد الشرك، أعظم من شيئين، أحدهما: تعمُّد ترك صلاة فرض حتى يخرج وقتها. والثاني: قتل مؤمن أو مؤمنة عمداً بغير حقٍّ"[٢١١].

وشبابنا الذين نحوا منحى العنف هم بشرٌ لم يحظوا بفرصة العصمة التي خصَّها الله للنبيِّين، وفيهم المتطرِّف المفرِّط وفيهم الغالي، والمتطرِّف ينظر إلى الأمور من

---

[٢٠٨] دعاة لا قضاة، حسن الهضيبي، ص٤٨، بدون دار للنشر، أو تاريخ له.

[٢٠٩] المصدر السابق، ص ٨٠.

[٢١٠] هو عبد الوهاب بن أحمد بن عبد الرحمن ابن سعيد بن حزم، أبو المغيرة. أديب أندلسي، من الكتَّاب. من أهل قرية الزاوية – من قرى أونبة – انتقل إلى بلاد الثغر، وكتب عن عدَّة من الملوك، واتسَّعت ثروته. ألَّف تآليف من أشهرها:" المحلَّى " في الفقه. وهو من أركان المذهب الظاهري الذي انتقِدَ كثيراً من فقهاء أهل السنَّة والجماعة. مات شاباً سنة ٤٣٨ هـ. انظر الأعلام، للزركلي، (٤ / ١٧٩)، مرجع سابق.

[٢١١] المحلَّى بالآثار، ابن حزم الظاهري، (١٠/ ٢١٣)، دار الفكر، بيروت.

زاوية واحدة فيفوته القيام بالقسط، الذي هو من الأدبيات التي يتربَّى عليها المسلم الحق .

وثمَّة أحاديث كثيرة تدلُّ على تحريم قتل الكفار غير المحارِبين من الذمِّيين والمعاهدين والمستأمَنين، ومنها ما ورد عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال :" من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة[٢١٢]، وإنَّ ريحها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً "[٢١٣]. وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال:" ألا من قتل نفساً معاهدة لها ذمَّة الله وذمَّة رسوله، فقد أخفر ذمَّة الله[٢١٤]، فلا يرح رائحة الجنة، وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً "[٢١٥]. وعن أبي بكرة ﷺ قال:

---

[٢١٢] قوله: لم يرح رائحة الجنة. بفتح الأول من يرح، وأصله راح الشيء أي وجد ريحه، ولم يرحه أي: لم يجد ريحه، ورائحة الجنة: نسيمها الطيب. وهذا كناية عن عدم دخول من قتل معاهداً الجنة، لأنه إذا لم يشمَّ نسيمها وهو يوجد من مسيرة أربعين عاماً لم يدخلها.

[٢١٣] رواه البخاري : ٢٩٩٥.

[٢١٤] قوله: فقد أخفر ذمَّة الله بالخاء والفاء والراء أي: نقض عهده وغدر. والحديثان اشتملا على تشديد الوعيد على قاتل المعاهد، لدلالتهما على تخليده في النار وعدم خروجه منها، وتحريم الجنة عليه، مع أنه قد وقع الخلاف بين أهل العلم في قاتل المسلم هل يخلد فيها أم يخرج عنها؟. وقد أجمع العلماء قاطبة على تحريم الغدر، ووردت نصوصٌ كثيرةٌ في الكتاب والسنَّة تنهى عن الغدر، وتتوعَّد فاعله بالخزي والعذاب الأليم.

[٢١٥] رواه الترمذيُّ: ١٤٠٣، وابن ماجة: ٢٦٨٧. وقال الترمذيُّ: حديث حسن صحيح.

قال: قال رسول الله ﷺ:" من قتل معاهداً في غير كنهه[٢١٦] حرَّم الله عليه الجنة "[٢١٧]. وفي رواية للنسائي:" من قتل نفساً معاهدة بغير حلِّها، حرَّم الله عليه الجنة أن يشمَّ ريحها ".

قال العلامة الشوكانيُّ:" المعاهد: هو الرجل من أهل دار الحرب يدخل إلى دار الإسلام بأمان، فيحرم على المسلمين قتله بلا خلاف بين أهل الإسلام حتى يرجع إلى مأمنه "[٢١٨].

لذلك كان الغلوُّ في الدين أعظم من وقوع الإنسان في المعصية، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" الأهواء في الديانات – أي في الدين – أعظم منها في الشهوات "[٢١٩].

* إعطاء الفرصة والمسّوغ لأعداء الإسلام، خاصَّة الأنظمة الشمولية التي تسلَّطت على رقاب المسلمين، مقابل عمالة للقوى العالمية التي جعلت من القوة العسكرية والاقتصادية مركباً وبساطاً ترتع عليه، بغية تنفيذ أجندتها في

---

[٢١٦] أي: في غير وقته الذي يجوز فيه قتله.

[٢١٧] رواه أبو داود:٢٧٦٠، والنسائيُّ:٤٧٤٧، والدارميُّ: ٢٥٠٤، وأحمد: ٣٦/٥، ٣٨، والبيهقيُّ في السنن الكبرى: ٢٣١/٩.

[٢١٨] نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، (٧ / ١٨)، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١، دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

[٢١٩] مجموع الفتاوى لابن تيمية، (٢٨ / ١٣٢)، مرجع سابق.

طول بلاد المسلمين وعرضها، والحالة تماماً كما شخَّصها مالك بن نبي[٢٢٠] رحمه الله حين قال:" إنَّ قبل قصَّة كل استعمار، هناك قصة شعب خفيف يقبل الاستخذاء "، فتقديم هذه الفرصة من أجل إجهاض الحركات الإسلامية التي لها حاضنة من عامَّة الناس، وعلى وجه الخصوص من الطبقة المثقَّفة؛ وينتج عنه نزف الكثير من الطاقات والكفاءات المتميِّزة المهيَّأة إلى تقديم الكثير للوصول إلى نهضة الأمَّة. وأوضحُ مثَلٍ هو ما حدث للحركة الإسلامية في مصر في سنيِّها الأولى بسبب ما عُرِف بالجهاز السرِّي، أو الجهاز الخاص.

ومن أوائل من تنبَّه إلى خطر إعطاء هذا التسويغ لأعداء الأمَّة، هو الداعية الكبير أبو الأعلى المودودي رحمه الله، وسواه آخرون من أمثال زعيم حركة النهضة التونسية راشد الغنُّوشي[٢٢١] الذي أشار إلى أنَّ " الاتجاه الإسلامي لم

---

[٢٢٠] هو مفكر إسلامي جزائري. ولد في مدينة قسنطينة. ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط. وتخرَّج مهندساً ميكانيكياً في معهد الهندسة العالي بباريز. وزار مكَّة، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره. باللغة الفرنسية نحو ثلاثين كتاباً جلُّها مطبوع. ترجم بعضها إلى العربية. وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية، بالقاهرة. تولَّى إدارة التعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي الجزائري سنة ١٩٦٤م، وتوفي ببلده سنة ١٣٩٣هـ. الأعلام، للزركلي، (٥/ ٢٦٦)، مرجع سابق.

[٢٢١] زعيم حزب النهضة التونسي، حكمت سلطات تونس عليه غيابياً بالإعدام، في حين منحته إنجلترا حقَّ اللجوء السياسي ١٩٩٣م، وعندما تقدم الغنُّوشي للحصول على

يتردَّد في إدانة أعمال العنف سواءً التي حصلت في المدارس أو في الكليات أو في المؤسَّسات "[٢٢٢]. وهذا التوصيف ليس بعيداً عن الأدبيات التي تربَّى عليه أمثال هذا الرجل، فقد ورد في البيان التأسيسي لحركة النهضة، وفي بندها الرابع: رفض العنف كأداةٍ للتغيير، وتركيز الصراع على أسسٍ شوريةٍ، تكون هي أسلوب الحسم في مجالات الفكر والثقافة والسياسة. وهكذا نرى أنَّ أولَ ما نواجهه كردَّة فعلٍ للآخرين على مسلك تبنِّي العنف، هو محاربة قيمنا وديننا تحت مسمَّى محاربة الإرهاب.

* حرمان الشعوب المسلمة من الاستقرار السياسيِّ، وخسارتهم للمرجعية الدولية التي من المفترض أن يتمتعوا بها، لولا المسوِّغات التي اصطنعها الغرب لمحاربة الإسلام، وخدَمَها في ذلك وعبَّد لها الطريق، التطرُّف الموجود عند بعض أبناء المسلمين، بعد أن منِيَ المسلمون بهزيمة نفسية إلى درجة أنهم باتوا يحتفلون بعيد رأس السنة الميلادية مع الغرب الذي اختار المواجهة مع المسلمين.

التأشيرة رفضت الإدارة الأمريكية منحه إياها، ثم وافقت بعد زمنٍ يسيرٍ على استضافته، كتبت [لوسيت لاجنادور] في عناوين الصفحة الأولى الرئيسة لجريدة نيويورك اليهودية والمعروفة: باسم (فورد وارد): الشيخ الإرهابي، وآية الله المستقبل، يطلب الدخول إلى أمريكا! وأضافت أن:" الغنوشي أيَّد العنف ضدَّ الأمريكيين وحلفائهم، وحاول إفساد مسيرة السلام في الشرق الأوسط ". المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

٢٢٢ محاور إسلامية، راشد الغنوشي، ص٧٦، دار اقرأ، صنعاء، ١٩٩٢م.

* القضية المركزية لدعاة الأمَّة ومفكريها، هي الوصول إلى تحكيم الشريعة، وإنَّ ثقافة التغيير باليد تحدث تشويشاً عليها نحن في غنىً عنه، وخاصَّة عند شريحةٍ كبيرةٍ من المجتمع، وهي طبقة العوام الذين سيشعرون بوجود حاجز نفسيٍّ بينهم، وبين رموز الدعوة أو فئة الشباب الملتزم؛ ولا يخفى أنَّ هذه الطبقة من السهل التأثير عليها من قِبَل النظام الحاكم، وإعلامه الموجَّه!. قال العزُّ بن عبد السلام[٢٢٣] رحمه الله:" إذا اجتمعت مصالح ومفاسد، فإن أمكن دفع المفاسد

[٢٢٣] هو عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، السلميُّ الدمشقيُّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء: فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد ونشأ في دمشق. وزار بغداد سنة ٥٩٩ هـ فأقام شهراً. وعاد إلى دمشق، فتولَّى الخطابة والتدريس بزاوية الغزاليِّ، ثم الخطابة بالجامع الأموي. ولما سلَّم الصالح إسماعيل ابن العادل، قلعة "صفد" للفرنج اختياراً أنكر عليه ابن عبد السَّلام، ولم يدعُ له في الخطبة، فغضب وحبسه. ثم أطلقه فخرج إلى مصر، فولاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكّنه من الأمر والنهي. ثم اعتزل ولزم بيته. ولما مرض أرسل إليه الملك الظاهر يقول: إن في أولادك من يصلح لو ظائفك. فقال: لا. وتوفي بالقاهرة. من كتبه:" التفسير الكبير "، و " الإلمام في أدلة الأحكام "، و " الفوائد "، و " قواعد الأحكام في إصلاح الأنام " فقه، و " ترغيب أهل الإسلام في سكن الشام "، و " بداية السول في تفضيل الرسول "، و " الفتاوى "، و " الغاية في اختصار النهاية " فقه، و " الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز " في مجاز القرآن، و " مسائل الطريقة " تصوف، و " الفرق بين الإيمان والإسلام " رسالة، و " مقاصد الرعاية "، وغير ذلك. وكان من أمثال مصر: "

وتحصيل المصالح فعلنا ذلك، وإن تعذَّر الجمع، فإن رجحت المصالح حصَّلناها ولا نبالي بارتكاب المفاسد، وإن رجحت المفاسد دفعناها ولا نبالي بفوات المصالح "[٢٢٤].

* انتشار الإرهاب الفكري، ممَّا يؤدي إلى الجمود وعدم التجديد، هذا على مستوى الأنظمة الحاكمة، وعلى مستوى التنظيمات الإسلامية معاً، ممَّا يؤدي إلى غياب منهج النقد، وقيَم الشورى فيها، ويؤدِّي أيضاً إلى استنزاف الوقت في مواجهات تُدْخلنُا في نفقٍ مظلمٍ على حساب العمل التربوي، وبناء القاعدة الصلبة للأمَّة.

هذا وإنَّ الدعوة تحتاج إلى مناخٍ هادئٍ بعيدٍ عن الأفعال وردود الأفعال، وعن التشنُّجات، والانفعالات والتجاذبات التي تفرز نتائجَ، تنعكس سلباً على الدعوة وأصحابها. وهي بأمسّ الحاجة أيضاً إلى أصحاب العقول الكبيرة، التي تحسن ركوب الخيل في مسائل تتعلَّق بأمور الأمَّة وقضاياها الجسام، وإلا وُكِلَت الدعوة إلى شبابٍ متحمِّسٍ فحسب. وفي الصحيحين عن عليٍّ بن أبي طالب ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول:" سيخرج قوم في آخر الزمان حدَثاء

ما أنت إلا من العوام، ولو كنت ابن عبد السَّلام "، وافته المنيَّة سنة ٦٦٠ هـ. الأعلام، للزركلي، (٤/ ٢١)، مرجع سابق.

[٢٢٤] الفوائد في اختصار المقاصد، العزُّ بن عبد السلام، (١/:٤٧)، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٦هـ.

الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإنَّ في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة "[٢٢٥]. قال النووي[٢٢٦] فيما نقله عنه ابن حجر:" يستفاد منه أنَّ التثبت وقوة البصيرة تكون عند كمال السنِّ، وكثرة التجارب وقوة العقل "[٢٢٧].

* تغير المفاهيم، وانقلاب الموازين ممَّا يؤدي إلى انتقاض عرى الدين عروة عروة. والدارس للتاريخ يلحظ كيف تزامن وجود التشدُّد مع انكسار الأمَّة وسقوطها الحضاريِّ، وإذا كانت الجذور الخَّرة، في حال ازدياد عددها في جسم الإنسان تقضي على الحمض النوويِّ، وتعمل على تدمير عددٍ كبيرٍ الخلايا في زمنٍ قياسيٍّ! فإنَّ الغلو في الدين يعمل جاهداً في القضاء على مفاصلَ رئيسةٍ في كيان الأمَّة، وعلى تشويه مبادئها السمحة!.

---

[٢٢٥] أخرجه البخاريُّ [١٣٢١/٣، رقم ٣٤١٥]، ومسلم [٤/ ١٨٢- ١٨٣]، وأبو داود [٤/ ٢٤٤- ٢٤٥].

[٢٢٦] هو يحيى بن شرف، النوويُّ، محيي الدين، علاَّمة بالفقه والحديث. مولده ووفاته في " نوا "من قرى حوران، بسورية، وإليها نسبته. تعلَّم في دمشق، وأقام بها زمناً طويلاً. من كتبه: تهذيب الأسماء واللغات، ومنهاج الطالبين، والدقائق، وتصحيح التنبيه في فقه الشافعية، والمنهاج في شرح صحيح مسلم، و التقريب والتيسير، وروضة الطالبين، وغيرها، وافته المنيَّة سنة ٦٧٦هـ. انظر الأعلام، للزركلي، (٨/ ١٤٩)، مرجع سابق.

[٢٢٧] انظر فتح الباري، ابن حجر، (١٢ / ٢٨٧)، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

إنَّ دورة استعمال العنف عبر التاريخ لها حضورها ونشاطها، إذ لا يحدُّها زمان ولا مكان، وكان خروج السدَّج من المصريين والعراقيين الذين انطلت عليهم ألاعيب عبد الله بن سبأ، على أمير المؤمنين عثمان ذي النورين ﷺ من باكورة هذا المظهر الذي يأباه وحي السماء المتوافق مع توجُّهات الفطرة البشرية السليمة التي تجلَّت صورتها في مقولة هابيل لأخيه:

﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨ ﴾.

المائدة: ٢٨.

إن الأمَّة المسلمة، ولنسمِّ الأسماء بمسمياتها، بعيداً عن الحرج الذي يستشعره البعض ونأياً عن المكابرة على المحسوس؛ شهدت صوراً من الصراعات الدامية وجملةً من الفتن أثيرت عبر تاريخها، وألقت بظلالٍ من آثار الإحباط والاستغراب، تسبَّبت في بعد الكثيرين عن المنهج الإسلاميِّ بسبب قصور فهم سنن الله في الفرد والمجتمع.

يقع الغالي بقصدٍ أو بدونه، في الأنا عندما يتسبَّب في أذى إخوةٍ له من المسلمين، بما يمارسه من سلوكياتٍ مقاصدها غامضةٌ وأدلتها واهيةٌ؛ ويصدُّ عن سبيل الله بحجب منافذ الدعوة في بلاد عطشى لسماعٍ شيءٍ عن الإسلام.

* انحسار قِيَم الحريَّة والشورى والعدل عن حياة المجتمعات، وعدم انتقال العمل الإسلاميِّ إلى مواقع متقدِّمة.

* تقوية فكر الاستبداد السياسيِّ، ونشاطه الاجتماعيِّ. وذلك بإعطائه المسوِّغ له أمام الرأي العام المحليِّ والإقليميِّ والعالميِّ على حدٍّ سواء، وذلك عندما ملَّكتَه أساليب العنف، عكازةً يتعكَّز عليها لتسويغ ظلمه الذي يؤذن بفساد العمران وفق تعبير ابن خلدون[٢٢٨]، ولا يخفى أنَّ في التغيير السلميِّ تماسكٌ للصفِّ الداخليِّ، وفيه توفيرٌ للدماء، وهو أجدى في كسب الجماهير، وفي

---

[٢٢٨] هو عبد الرحمن بن محمَّد بن محمَّد، ابن خلدون أبو زيد، وليُّ الدين، الحضرميُّ الإشبيليُّ، من ولد وائل بن حجر، الفيلسوف المؤرِّخ، العالم الاجتماعيُّ البحَّاثة. أصله من إشبيلية، ومولده ومنشأه بتونس. رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، تولَّى أعمالاً، واعترضته دسائس ووشاياتٌ، وعاد إلى تونس. ثمَّ توجَّه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيَّ بزيِّ القضاة محتفظاً بزيِّ بلاده. وعُزِل، وأعيد. وتوفي فجأة في القاهرة سنة ٨٠٨ هـ.كان فصيحاً، جميل الصورة، عاقلاً، صادق اللهجة، عزوفاً عن الضيم، طامحاً للمراتب العالية. ولما رحل إلى الأندلس اهتزَّ له سلطانها، وأركب خاصَّته لتلقيه، وأجلسه في مجلسه. اشتهر بكتابه: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر، في سبعة مجلَّدات، أوّلها (المقدمة)، وهي تعدُّ من أصول علم الاجتماع، ترجمت هي وأجزاء منه إلى الفرنسية وغيرها. وختم (العبر) بفصل عنوانه: (التعريف بابن خلدون)، ذكر فيه نسبه وسيرته وما يتَّصل به من أحداث زمنه. ثم أفرد هذا الفصل، فتبسَّط فيه، وجعله ذيلاً للعبر، وسمَّاه: (التعريف بابن خلدون، مؤلِّف الكتاب، ورحلته غرباً وشرقاً)، ومن كتبه: (شرح البردة)، وكتاب في (الحساب)، ورسالة في (المنطق)، و (شفاء السائل لتهذيب المسائل)، وله شعر. الأعلام، للزركلي، (٣/ ٣٣٠)، مرجع سابق.

تجارب [مارتن لوثر كينغ]، و[نلسون مانديلا]، و [غاندي]، و[العدالة والتنمية التركي] أوضح دليلٍ لما ذهبت إليه.

ولمزيدٍ من البيان فقد اكتسبت الحركة الإسلامية في تركيا الحديثة أنصاراً، بسبب بعدها عن التعامل مع العلمانية الجائرة بمنطق العنف والعنف المضاد، ولو أنها سلكت ذاك السبيل لما رأينا الآن حزب العدالة والتنمية يحكم تركيا على مدى عقودٍ ويتصدَّر الانتخابات بأشكالها المتعدِّدة.

ثم إننا نلاحظ من خلال الاستقراء العامِّ، أن الدول التي تلجأ في حلِّ خلافاتها السياسية إلى الهيئات الدستورية والمؤسَّسات التشريعية تشهد استقراراً سياسياً يساهم في التقدم والرقيِّ الماديِّ.

* انقلاب الوسائل إلى غاياتٍ، فالوصول إلى الحكم مثلاً، هو وسيلة لتحكيم الشريعة، وليس غايةٌ في ذاته.

وهنا أجد الفرصة سانحةً للإشارة إلى أنَّ تغيير نظام الحكم ليس هو نهاية المطاف، وتغييره لا يعني صلاح السياسة، إذ تستدعي المرحلة الجديدة وجود النخبة التي ستختار حكم الشريعة، وهذا يحتاج لزمنٍ يحتاج إعداد جيلٍ كاملٍ يحمل هموم الأمة بصدقٍ ويأخذ الكتاب بقوةٍ، تماماً كالجيل الذي عمل على إعداده صلاح الدين الأيوبيِّ[٢٢٩] رحمه الله.

---

[٢٢٩] هو يوسف بن أيوب، أبو المظفَّر، صلاح الدين الأيوبيِّ، الملقَّب بالملك الناصر: من أشهر ملوك الإسلام. نشأ في دمشق، وتفقَّه وتأدَّب وروى الحديث بها وبمصر

وهناك أكثر من عقبةٍ كؤودٍ في وجه أيِّ تجديدٍ، من مثل وجود الدولة العميقة، مدعومةٍ بحثالةٍ من الذين تعطَّلت مصالحم، والذين سيجدون من أعداء القيم

والإسكندرية، وحدَّث في القدس. دخل مع أبيه نجم الدين وعمِّه شيركوه، في خدمة نور الدين محمود بن عماد الدين زنكي، واشترك صلاح الدين مع عمِّه شيركوه في حملة وجهها نور الدين للاستيلاء على مصر سنة ٥٥٩ هـ، فكانت وقائع ظهرت فيها مزايا صلاح الدين العسكرية. وتمَّ لشيركوه الظفر أخيراً، فاستولى على زمام الأمور بمصر، واستوزره خليفتها العاضد الفاطميُّ. ولكن شيركوه ما لبث أن مات. فاختار العاضد صلاح الدين للوزارة وقيادة الجيش، ولقبه بالملك الناصر. وهاجم الفرنج دمياط، فصدَّهم صلاح الدين. ثم استقل بملك مصر، مات نور الدين، فاضطربت البلاد الشامية والجزيرة، ودُعى صلاح الدين لضبطها، فأقبل على دمشق فاستقبلته بحفاوة. انصرف إلى عملين: أحدهما الإصلاح الداخليُّ في مصر والشام، والثاني دفع غارات الصليبيين ومهاجمة حصونهم وقلاعهم في بلاد الشام. وكان أعظم انتصار له على الفرنج في فلسطين والساحل الشاميِّ يوم حطين، الّذي تلاه استرداد طبرية وعكَّا ويافا إلى ما بعد بيروت، ثم افتتاح القدس، وانصرف صلاح الدين من القدس، بعد أن بنى فيها مدارس ومستشفيات. ومكث في دمشق مدَّة قصيرةً انتهت بوفاته سنة ٥٨٩ هـ. انظر الأعلام، للزركلي، (٨/ ٢٢٠)، مرجع سابق.

والمبادئ من يستوعبهم ويجهزهم للعب دورٍ غير نظيفٍ ولعبةٍ سياسيةٍ مشوبةٍ، تعمل على إعادة هيكلة وتعويم الفاسدين من جديد.

* يعمد أعداء الإسلام إلى صنع تجمُّعات من الشباب لاستثمارٍ خاطئٍ لعاطفتهم الدينية المتَّقدة، على رأسها قياداتٌ عميلةٌ لأجهزة استخباراتٍ دوليةٍ أو إقليميةٍ أو محليَّةٍ، وعلى سبيل المثال، تنظيم جند الله في تركيا أيام حكم العلمانيين، وتحت لافتةٍ دينيةٍ وُجِد لمحاربة حزب العمال الكردستانيِّ الذي تغلب عليه الإيديولوجية الماركسية، ومن ثَمَّ أخذت الاستخبارات التركية خيار تصفية هؤلاء الشباب اليافع!. وبدمائهم تُصَّفى الحسابات، وأصحابها نزلوا معركةً لا يعلمون أسبابها، ومَن ورائها، ولا يمكن لأيِّ أحدٍ التحكُّم بآثارها!!.

وأنا أسأل أبنائي هؤلاء: هل ترضون على أنفسكم أن تتحولوا إلى لقمةٍ سائغةٍ لأهل الضلالة، الذين يسعون إلى تحقيق مآرب سياسيةٍ وشخصيةٍ، باسم الانتصار للإسلام، فيستخدمونكم سَدَنَةً لديهم؟!. ناهيكم عن أنكم تقدِّمون باجتهادكم الناقص الخاطئ – وأقلُّ ما نقول فيه: خطأٌ يحتمل الصواب؛ فلنخرج من دائرته إلى دائرة يغلب فيها ظنُّنا أنَّها راجحةٌ على غيرها – خدمةً جليلة لأعدائنا فيضرب بعضنا رقاب بعض! وإني سائلكم: إذا لم نكن نحن مقصودون بوصية القائد القدوة ﷺ في حجَّة الوداع فمن غيرنا إذن أولئك؟!.

وليس غريباً أن يحضر اثنا عشر ضابطاً من الموساد الصهيونيِّ، مؤتمراً للحركات الإسلامية في لندن آب١٩٩٤م، وهم يرتدون الثياب القصيرة ويطلقون

اللحى، ثم يختلون بجلسة على هامش المؤتمر. وليس غريباً أن يلجأ البعض ممَّن ينتمون إلى بعض الحركات الإسلامية الراديكالية إلى الكيان الصهيوني، وثمَّة وثائق تثبت وجود ما يزيد على مائة عائلة لمتطرِّفين تعيش في الكيان الصهيوني وتحت حمايتهم!.

" وبالعودة إلى جذور تكوين ظاهرة ما يسمَّى بالإرهاب الإسلاميِّ، سيجد الباحث أو القارئ أنَّ جذوره كانت صناعةً غربيةً. وأن للولايات المتحدة الريادة في تصنيعه منذ أكثر من خمسين عاماً، لمواجهة حركة النهوض القوميِّ العربيِّ التحرريِّ في بداية الخمسينات من القرن الماضي، وخاصَّة في منطقة وادي النيل والمشرق العربيِّ، بغية إجهاضه، ومنعه من تحقيق أهدافه التي تتصادم مع المشروعين الغربيِّ الأمريكيِّ والصهيونيِّ العالميِّ. ومن أجل خدمة مصالح الولايات المتحدة وعلى رأسها استمرارية الهيمنة على النفط والمواقع الاستراتيجية في الشرق الأوسط، ومنع الخصم السوفيتي من الدخول إلى المنطقة، والهدف الرئيسيُّ الثاني حماية الكيان الصهيونيِّ، الذي يُعتبرُ الولاية الأمريكية المدلَّلة في الشرق الأوسط.

ففي عقد الخمسينيات من القرن الماضي تمَّ من قبَل الولايات المتحدة، استخدام الإسلام شعاراً تضليلياً في مواجهة المدِّ القوميِّ التحرريِّ للهيمنة الإمبريالية، والذي رفع شعار بناء وحدة الأمَّة العربية، وتحرير الثروة العربية من الاستغلال النهبوي من الشركات الغربية، وبالعمل لبناء قوة عربية تواجه

التحدِّي الصهيوني المدمِّر للنهوض والتحرر العربيين. شجَّعت تنظيماتٍ وحركاتٍ ذات شعاراتٍ إسلاميةٍ، ودعمت وحمَت أنظمةً مواليةً لها، ترفع شعار الإسلام، وحرَّضت تلك التنظيمات والدول على الدخول في صراعٍ مريرٍ مع أنظمةٍ وأحزابٍ قوميةٍ حاكمةٍ، لإشغالها ومنعها من تحقيق أيٍّ من أهدافها التي أشرنا إليها. ومع الأسف كانت بعض تلك الصراعات والمواجهات عدائيةً ودمويةً أحياناً مع قوىً ودولٍ وتنظيماتٍ قوميةٍ وماركسيةٍ وعلمانيةٍ، تحت شعارات التكفير والإلحاد. من ينظر اليوم إلى خارطة العالم، ويدقِّق في مناطق بؤر التوتُّر والحروب والدمار، يجد معظمها في المناطق التي يسكنها المسلمون! بدءاً من الصحراء في المغرب العربيِّ والجزائر غرباً، وانتهاء بإندونيسيا شرقاً، مروراً طبعاً بالسودان وفلسطين والصومال والعراق وباكستان والبوسنة وكوسوفو وألبانيا والشيشان ومناطق الاتحاد السوفييتي السابق وأفغانستان وكشمير، ويتساءل لماذا؟

ومن بحث من خلال الأبواب الخلفية عن أسباب وغايات هذا التوتر، سيجد أولى تلك المسبِّبات حرب الهيمنة على ثروات تلك البلدان، وفي مقدمتها النفط والغاز والموقع الاستراتيجيِّ. ويَعرِف أنَّ الأصابع الأمريكية هي التي تحرِّك أدوات الصراع، كدمى مسرح العرائس. ويتَّخذ هذا الصراع ألواناً بين قومياتٍ مختلفةٍ، أو ديانتين، أو نزاعاً حول حدودٍ، أو نزاعاً بين قوىً علمانيةٍ وقوىً دينيةٍ، أو صراعاً عشائرياً، أو حركةً ضدَّ نظام حكمٍ.

ومثلٌ بسيطٌ أسوقه هو ما حدث في الجزائر بتفجير سيارة مفخَّخة في حيٍّ شعبيٍّ في العاصمة الجزائرية قبل عيد الفطر السعيد، وذهب ضحيته العشرات من المدنيين البسطاء دون أيِّ ذنب، لإلباس الإسلام جريمة الحدث، فكيف يتبنَّى الحادث أنور هدَّام باسم جبهة الإنقاذ الإسلامية، في بيان يصدر من الولايات المتحدة، حيث هو يقيم لاجئاً؟ في حين تنفيه قيادة الجبهة في الجزائر. وحين تبحث عن شكل الانفجار وطريقة تنفيذه، لوجدته لا يختلف عن الانفجار الذي قامت به المخابرات المركزية في بيروت في الحيِّ الشعبيِّ في بئر العبد في بيروت قبل شهرٍ من الحادثة المذكورة!!... لعبت المخابرات المركزية دوراً هاماً في تصنيع ما تسميه الإرهابيين الإسلاميين في أفغانستان، سواء من تنظيمات أمراء الحرب في الحقبة السوفيتية، أو في عهد الرئيس الأسبق نجيب الله الشيوعي، وحتى بعد انتهاء الحكم الشيوعي، كان للولايات المتحدة وجهاز المخابرات [سي. آي. إي] الدور في بناء تلك التنظيمات، وتدريبها وتسليحها، بما فيها ما يسمَّى بتنظيم القاعدة.

يقول [نعوم تشومسكي] عن التنظيمات التي تشكَّلت أثناء الاحتلال السوفييتيِّ لأفغانستان، والتي أطلِق عليها: المجاهدون المسلمون:" إنني لم أشكُّ لحظة، في أنَّ هذه المجموعات نُظمت بواسطة المخابرات المركزية والمخابرات الباكستانية والمصرية وحلفاء آخرين للولايات المتحدة. وهم منظَّمون ومجتهدون ومدربون ومسلَّحون لخوض معركةٍ مقدَّسةٍ ضدَّ الروس، والتي خاضوها بالفعل.

ولكنهم بدؤوا مباشرة بأعمالٍ إرهابيةٍ منذ عشرين سنةٍ، حين قاموا باغتيال الرئيس المصريِّ، ومنذ ذلك الحين هم يقومون بأعمالٍ إرهابيةٍ. وإن المجموعة التي نظمتها المخابرات المركزية، تمَّ تشكيلها من المجموعات الإسلامية المتطرِّفة الراديكالية، والتي كان لديهم أعمالٌ خاصَّةٌ بهم، قاموا بما طلبته منهم وكالة المخابرات المركزية "[٢٣٠].

وقبل ما يربو على عقدٍ من الزمن تمَّ تدمير مقدَّرات العراق على يد الأميركيين وحلفائهم، وصاحبه تهميشٌ لأهل السنَّة، مما مهَّد لظهور تيَّارات متشدِّدة، لعبت أميركا في صناعتها وبرمجتها، وألبستها رداء الدين، انساق بعض الشباب وراءها تحت ذريعة الانتصار لأهل السنَّة!!.

* انغلاق بعض التنظيمات الإسلامية التي نهجت نهج الغلوِّ على نفسها، فانفصلت عن قضايا الأمَّة، وتقاصرت جهودها عن التجديد ممَّا أدى إلى عشعشة نوازع التعصب الحزبيِّ، وتضييق معاني الأخوة الإسلامية، وإعطاء الولاء للتنظيم لا للفكرة.

ومن معالم هذا التوجُّه عدم السماح لمن خالف فكر هذه التنظيمات، بالعمل في المناطق التي يحكمون سيطرتهم عليها، في دائرة النشاطات الدعوية والثقافية، حتى في مجال وضع المناهج التعليمية، وذهبوا إلى أكثر من ذلك فمنعوا

---

[٢٣٠] الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، زبير سلطان قدوري، ص ١٢٣وما بعدها.

مخالفيهم من العمل في ساحة القضاء، حتى وإن امتلكوا أدوات العمل في هذا القطاَّع المهمِّ في المجتمع.

* ظهور هواجسَ أمنيةٍ التي تؤدِّي بدورها إلى تعزيز فكر المواجهة مع القيادات الحاكمة، وإلى ابتعاد الدعاة المتبصِّرين والمخلصين عن مواقع البلاغ، وعلى رأسها المنابر في المساجد، ليكون البديل هو الاعتقال! وفي أجواء الإرهاب والاستبداد السياسيِّ، لا مكان للطاقات المبدعة، بل هي داعيةٌ إلى هجرة العقول والسواعد معاً إلى بلادٍ غربيةٍ عن الإسلام.

* إقصاء الرأي الآخر عن الساحة الذي يؤدِّي بدوره إلى إلغاء المناظرة والحوار، وهذا يعني بوجهٍ أو بآخرَ إبطال قواعد التعايش بين الفرقاء في مجتمعٍ واحدٍ. وعلى المغالي أن يراعي تحقيق مصلحة المجتمع، وأن يخرج من مربَّع الذات إلى مربَّع الآخر، وإن الله ﷻ أناط بنا أمانة التكليف ليس لتحقيق العبودية له فحسب؛ بل للقيام بمهمة الاستخلاف على أفضل وجهٍ، وبغية عمارة الأرض أيضاً، فالمسلم لا يعيش لوحده في جزيرة بعيداً عن عالم الخلق ودنيا الناس. وفي هذا الصدد يذكر الدكتور السباعي[٢٣١] رحمه الله في كتابه: من روائع

[٢٣١] هو مصطفى بن حسني، أبو حسَّان السباعي: عالمٌ إسلاميٌّ، مجاهدٌ. ولد بحمص في سورية، وتعلم بها وبالأزهر، واعتقله الإنكليز في مصر وفلسطين ستَّة أشهر، وأسلموه إلى الفرنسيين فسجنوه في لبنان ثلاثين شهراً. وانطلق فكان على رأس كتيبة في الدفاع عن بيت المقدس سنة ١٩٤٨م، وأحرز شهادة دكتور في التشريع الإسلامي وتاريخه

حضارتنا، أنَّ الأطباء النصارى في العهدين الأمويِّ والعباسيِّ ظلُّوا محلَّ الرعاية لدى الخلفاء، وكان لهم الإشراف على مدارس الطبِّ في بغداد ودمشق زمناً طويلاً.

يقول العالم الألمانيُّ [آدم ميتز]:" إنَّ أكبر فرقٍ بين الإمبراطورية الإسلامية وبين أوروبا التي كانت كلها على عهد المسيحية في العصور الوسطى، وجود عددٍ هائلٍ من أهل الديانات الأخرى بين المسلمين، وأولئك هم أهل الذمَّة، الذين كان وجودهم من أول الأمر حائلاً بين شعوب الإسلام وبين تكوين وحدةٍ سياسيةٍ، وقد ظلَّت كنائس اليهود والنصارى وأديرتهم أجزاءً غريبةً. واستند أهل الذمَّة إلى ما كان بينهم وبين المسلمين من عهود، وما منحوه من حقوقٍ،

من الأزهر سنة ١٩٤٩م، واستقرَّ في دمشق، أستاذاً بكلية الحقوق سنة ١٩٥٠م، وعميداً لكلية الشريعة سنة ١٩٥٥م، وقام برحلاتٍ. وأنشأ مجلة حضارة الإسلام، وأصيب بشللٍ نصفيٍّ سنة ١٩٥٧م، ونشر من تآليفه ٢١ كتاباً ورسالة، منها:" السنة ومكانتها في التشريع الإسلاميِّ "، وهو كتاب أطروحته، و" اشتراكية الإسلام "، و" شرح قانون الأحوال الشخصية " ثلاثة أجزاء، و" الدين والدولة في الإسلام "، و" المرأة بين الفقه والقانون "، و" منهجنا في الإصلاح "، وهيأ للنشر سبعة منها:" السيرة النبويّة، تاريخها ودروسها "، و" النظام الاجتماعي في الإسلام "، و" العلاقات بين المسلمين والمسيحيين في التاريخ ". توفِّي بدمشق سنة ١٣٨٤للهجرة النبوية. انظر الأعلام، للزركلي، (٧/ ٢٣١)، مرجع سابق.

فلم يرضوا بالاندماج في المسلمين. وقد كان حرص اليهود والنصارى على أن تظلَّ دار الإسلام دائماً غير تامَّة التكوين "[٢٣٢].

أما توماس.أرنولد فيقول:" ويمكننا أن نُحكِم من الصلات الودِّية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب، بأنَّ القوة لم تكن عاملاً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام. فمحمَّد نفسه قد عقد حلفاً مع بعض القبائل المسيحية، وأخذ على عاتقه حمايتهم ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن وطمأنينة "[٢٣٣]. وتاريخياً فإنَّ أهل الذمَّة بقيت لهم محاكمهم المذهبية التي تفصل في النزاع بينهم في مختلف أمور الأحوال الشخصية، وفي غيرها من الخصومات الطائفية الصرفة التي لا تهمُّ المسلمين، ولا تمسُّ كيان الدولة، وقد كان للبطريرك في دمشق، سجنٌ متصلٌ بالكنيسة يَحبسُ فيه من يستحقُّ التأديب من النصارى. وممَّن تعرَّض لهذا الحبس: شاعر بني أميَّة – أعني الأخطل[٢٣٤] – وذلك بسبب سكره، ولم يُطلق سراحه إلا بشفاعة خليفة المسلمين بشخصه!.

---

[٢٣٢] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز، ترجمة محمَّد عبد الهادي أبو ريدة، ج ١، ص: ٥٥، القاهرة.

[٢٣٣] الدعوة إلى الإسلام The Preaching of Islam "، توماس. أرنولد، ص ٤٨ من الترجمة العربية لحسن إبراهيم حسن وزملاؤه.

[٢٣٤] هو غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة ابن عمرو، من بني تغلب، أبو مالك: شاعر، مصقول الألفاظ، حسن الديباجة، في شعره إبداع. اشتهر في عهد بني أمية

حتى المؤرِّخ الإسرائيلي [أبا إيبان] قال بشيءٍ من الموضوعية في كتابه قصَّة اليهود:" إنَّ اليهود لم يعرفوا درجةً من الازدهار وتحقيق الذات طوال التاريخ كله إلا مرتين: مرَّة في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم، ومرة في الأندلس الإسلامية منذ قرون ".

ومن جديدٍ يتأكَّد لدينا كيف أنَّ الإسلام يحترم التعددية الثقافية والدينية والحضارية، وينبذ العنصرية. حتى أنَّ الملتزمين بمبادئه يرفضون إقصاء الآخر عن مقاليد الحكم، ومن هنا فقد جاء في البيان التأسيسيِّ لحركة النهضة التونسية، وفي بندها الخامس: رفض مبدأ الانفراد بالسلطة الأحادية.

يقول الأستاذ الغنوشي، وهو من الرعيل الأول لحركة النهضة:" ... ما زلت أؤكد أنَّ تحقيق أهدافنا يجب أن يمرَّ عبر الجماهير التي تصوِّت لبرنامجنا، كما

بالشام، وأكثر من مدح ملوكهم. وهو أحد الثلاثة المتفَّق على أنهم أشعر أهل عصرهم: جرير، والفرزدق، والأخطل. نشأ على المسيحية، في أطراف الحيرة بالعراق، واتصل بالأمويين فكان شاعرهم، وتهاجى مع جرير والفرزدق، فتناقل الرواة شعره. وكان معجباً بأدبه، تيّاها، كثير العناية بشعره، ينظم القصيدة ويسقط ثلثيها ثم يظهر مختارها. وكانت إقامته طوراً في دمشق مقرَّ الخلفاء من بني أمية، وحيناً في الجزيرةُ حيث يقيم بنو تغلب قومه، وأخباره مع الشعراء والخلفاء كثيرة. كانت وفاته سنة ٩٠هـ الأعلام، للزركلي، (٥/ ١٢٣)، مرجع سابق.

يجب أن نحترم إرادة الجماهير إذا اختارت منهجاً غير منهجنا؛ فنحن لا نمثِّل وصايةً على المجتمع، فإذا اختار مجتمعنا أن يكون يوماً ملحداً أو شيوعياً فماذا نملك نحن؟. ولأول وهلةٍ قد يقول قائلٌ: غريب من السيد الغنوشي! كيف أن يرضى، وهو مسلم عزيز أن يحكمه شيوعيٌّ ملحدٌ؟!. والجواب عليه، أنَّ مجتمعاً يفرز أمثال هذا الشيوعي الأحمر، هو بأمسِّ الحاجة لإعادة صياغته من جديد لإعادته إلى الجادَّة، ابتداءً من تصحيح مساره في عالم التصورات، ليقبل فيما بعد أن تحكمه التشريعات الإسلامية.

أما التجمُّع اليمنيُّ للإصلاح فقد حدَّد في نظامه الأساسيِّ، أهداف المجتمع ووسائله في الباب الأول، وكان على رأسها:" تعميق مبدأ الشورى والممارسة الديمقراطية في المجتمع لضمان تداول السلطة سلمياً ". وبالطبع هم يعنون بالديمقراطية تلك التي تتفِّق مع الرؤية الإسلامية، وليست تلك الشوهاء المستوردة من الغرب المنافق.

* عدم الاستفادة من الفرص المتاحة لتحقيق مكاسب للدعوة ضمن إطار التدرُّج في تنزيل الأحكام على حياة الناس، و لا بدَّ من العمل على تربية الأفراد ونشر المبادئ، تفادياً لخطورة حرق المراحل على يدِ أصحابها، وقد حدث أن نادى الفيلسوف إقبال[٢٣٥] بقيام دولة باكستان سنة ١٩٣٠م،

[٢٣٥] هو فيلسوفٌ وشاعرٌ مسلمٌ من الهند، من مواليد سنة ١٨٧٧م، قال عنه الأستاذ الكبير المودوديُّ رحمه الله:" إن العمل العظيم الذي أدَّاه الدكتور محمَّد إقبال في مجال

وباءت بالفشل لغياب القاعدة الشعبية اللازمة لقيامها. ثم قامت سنة ١٩٤٧م، على غير ما كان يرنو نظر الفيلسوف لها.

* الحكم على المجتمعات بأنَّها جاهلية، مع أنَّها لا تتنكَّر للإسلام، ولكن انتقض فيها بعض عرى الإسلام[٢٣٦]، مع أنَّ الأوْلى هو سلوك طريق الدعوة لتحويل مجتمعات المسلمين هذه إلى مجتمعات إسلامية بهذه الحرفية، وبهذه الدقَّة في اللفظ. وممَّا ورد في أدبيات الرافعي رحمه الله:" ليس لمصباح الطريق أن يقول: إنَّ الطريق مظلم، إنما قوله إذا أراد كلاماً أن يقول: ها أنذا أضيء

الإصلاح، له قيمةٌ كبرى لا ينساها التاريخ الإسلاميُّ، والعمل المهمُّ الذي أنجزه محمَّد إقبال، هو أنه أعلن حرباً لا هوادة فيها ضدَّ الغرب وحضارته المادية، فقد كان الرجل الوحيد في عصره الذي لا يدانيه أحد في تعمقه في فلسفة الغرب، ومعرفته بحضارته وحياته، فلما نهض يفنِّد فلسفته وأفكاره المادية، بدأ يذوب سحر الحضارة الغربية الذي كان يبهر القلوب ويستولي على النفوس "، وهو صاحب كتاب: تجديد الفكر الدينيُّ في الإسلام، ومن أشهر دواوينه: شكوى وجواب شكوى، وافته المنيَّة سنة ١٩٣٨م. المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

[٢٣٦] قال رسول الله ﷺ:" من صلَّى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا؛ فذلك المسلم الذي له ذمَّة الله وذمَّة رسوله، فلا تخفروا الله في ذمته ". أخرجه البخاريُّ: (٣٩١)، والنسائيُّ في السنن الكبرى: (٢/٥٣٠/ ١١٧٢٨)، دون جملة الذمَّة. قال أبو حنيفة رحمه الله: أهل القبلة كلهم مؤمنون، ولا يخرجهم من الإيمان ترك شيءٍ من الفرائض.

"[٢٣٧]. وأخرج ابن جرير بسندٍ حسنٍ عن الحسن، أنَّ ناساً لقوا عبد الله بن عمرو ﷺ بمصر فقالوا: نرى أشياء من كتاب الله، أُمِر أن يُعمل بها لا يُعمَل بها، وأردنا أن نلقى أمير المؤمنين في ذلك. فقدِم وقدموا معه، فلقيه عمر ﷺ فقال: متى قدمت؟ قال: منذ كذا وكذا، قال: أبإذنٍ قدمتَ؟ قال: فلا أدري كيف ردَّ عليه، فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ ناساً لقوني بمصر فقالوا: إنَّا نرى أشياء من كتاب الله تبارك وتعالى أمَرَ أن يُعمل بها لا يُعمل بها، فأحبُّوا أن يلقوك في ذلك. فقال: اجمعهم لي، قال: فجمعتهم له. قال ابن عون: أظنُّه قال في نهر[٢٣٨] فأخذ أدناهم رجلاً فقال: أنشدك بالله، وبحقِّ الإسلام عليك، أقرأت القرآن كلَّه؟ قال: نعم. قال: فهل أحصيته في نفسك؟ قال: اللهم لا. قال: ولو قال: نعم لخصِمَه، قال: فهل أحصيته في بصرك؟ هل أحصيته في لفظك؟ هل أحصيته في أثرِك؟ قال: ثم تتبَّعهم حتى أتى على آخرهم فقال: ثكلت عمر أمَّه! أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله، قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئاتٌ قال: وتلا:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ **النساء: ٣١.**

---

[٢٣٧] وحي القلم، للرافعي، (٢ / ٧٠)، مرجع سابق.

[٢٣٨] في المطبوعة والمخطوطة: "في نهر"، والصواب من تفسير ابن كثير: في بهوٍ، و"البهو": هو البيت المقدَّم أمام البيوت. وكل هواء أو فجوة، فهو عند العرب"بهو".

ثم قال: هل علم أهل المدينة؟ أو قال: هل علم أحدٌ بما قدمتم؟ قالوا: لا قال: لو علموا لوعظت بكم[٢٣٩].

وإلى متى نسمع من بعض دعاتنا وخطباء منابرنا الحديث والتركيز على جلد الذات! ومتى يا تُرى ننتقل من مرحلة ذرف الدموع إلى مرحلة إضاءة الشموع؟.

هذا ومن اللزام علينا مع استشعارنا لهذه المعاني، لا بدَّ أن تنكر قلوبنا مظاهر النأي عن تعاليم الشريعة الغرَّاء، ونصوصُ الوحي أشارت إلى تنكُّب البشرية عن المنهج الربانيِّ. وإلى حرقةٍ من استشعرت قلوبهم محبَّة المولى تبارك في علاه.

ذكر الأوزاعيُّ عن حسان بن أبي عطية أنَّ النبيَّ ﷺ قال:" ستظهر شرار أمتي على خيارها حتى يستخفي المؤمن فيهم كما يستخفي المنافق فينا اليوم ".

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تحدَّث عن طبيعة التعامل مع المنكر فقال:" وأصل هذا أن تكون محبة الإنسان للمعروف وبغضه للمنكر، وإرادته لهذا وكراهته لهذا موافقة لحب الله وبغضه، وإرادته وكراهته الشرعيين؛ وأن يكون فعله للمحبوب ودفعه للمكروه بحسب قوته وقدرته، فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، وقد قال:

﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ **التغابن: ١٦.**

---

[٢٣٩] جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، (٨ / ٢٥٥)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

فأما حبُّ القلب وبغضه وإرادته وكراهيته، فينبغي أن تكون كاملةً جازمةً لا يوجب نقص ذلك إلا نقص الإيمان. وأما فعل البدن فهو بحسب قدرته. ومتى كانت إرادة القلب وكراهته كاملةً تامَّةً، وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفاعل الكامل ".[٢٤٠]

وعلى الدعاة أن يدركوا أن ليس ثَمَّة حصانة شرعية لسريرة الآخر، ومكنونات ذاته؛ وممَّن أصَّل لهذا المعنى ابن قيِّم الجوزية رحمه الله، وذلك في قوله:" وقد ظهر بهذا أنَّ ما جاء به الرسول هو أكمل ما تأتي به شريعة، فإنه ﷺ أمر أن يقاتل الناس حتى يدخلوا في الإسلام، ويلتزموا طاعة لله ورسوله؛ ولم يؤمر أن ينقِّب عن قلوبهم ولا أن يشقَّ بطونَهم، بل يُجرِي عليهم أحكام الله في الدنيا إذا دخلوا في دينه، ويُجرِي أحكامه في الآخرة على قلوبهم ونياتهم، فأحكام الدنيا على الإسلام، وأحكام الآخرة على الإيمان. ولهذا قبِلَ إسلام الأعراب، ونفى عنهم أن يكونوا مؤمنين، وأخبر أنه لا ينقصهم مع ذلك من ثواب طاعتهم لله ورسوله شيئاً، وقبِلَ إسلام المنافقين ظاهراً، وأخبر أنه لا ينفعهم يوم القيامة شيئاً وأنهم في الدرك الأسفل من النار ".[٢٤١]

ولعلَّ أكثر من ينتبه لخطورة التكفير وآثاره، هم العلماء، قال العلامة الشوكانيُّ رحمه الله:" هاهنا تُسكب العبرات، ويُناح على الإسلام وأهله، بما جناه

---

[٢٤٠] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٨ / ١٣١)، مرجع سابق.

[٢٤١] إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، (٣ / ١٥٣)، مرجع سابق.

التعصُّب في الدين على غالب المسلمين من الترامي بالكفر، لا لسُنَّة ولا لقرآن، ولا لبيان من الله ولا لبرهان، بل لما غلت مراجل العصبية في الدين، وتمكَّن الشيطان الرجيم من تفريق كلمة المسلمين! لقَّنهم إلزامات بعضهم لبعض، بما هو شبيه الهباء في الهواء والسراب بالقِيعة، فيا لله وللمسلمين من هذه الفاقرة التي هي من أعظم فواقر الدين! والرزيَّة التي ما رزئ بمثلها سبيل المؤمنين! "[٢٤٢].

ومن هنا فقد وصف ابن قيِّم الجوزية، أهل العلم والعدل والقسط بكونهم:" زاهدين في التعصُّب للرجال، واقفين مع الحجَّة والاستدلال، يسيرون مع الحقِّ أين سارت ركائبه، ويستقلِّون مع الصواب حيث استقلَّت مضاربه، إذا بدا لهم الدليل بأخذته[٢٤٣]، طاروا إليه زرافات ووحداناً، وإذا دعاهم الرسول إلى أمرٍ انتدبوا إليه، ولا يسألونه عمَّا قال برهاناً، ونصوصه أجلُّ في صدورهم وأعظم في نفوسهم؛ من أن يقدِّموا عليها قولَ أحدٍ من الناس، أو يعارضوها برأي أو قياس "[٢٤٤].

---

[٢٤٢] السيل الجرار المتدفِّق على حدائق الأزهار، ص:٩٨١، ط١، دار ابن حزم.

[٢٤٣] الأخذة – بضمِّ الهمزة – رقيةٌ كالسحر، يريد أنهم يهرعون إلى الدلالة القوية التي تأخذ بمجامع القلوب.

[٢٤٤] إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، (١/ ٥) مرجع سابق.

ولا يمكن للدعاة، وأهل العلم أن يضعوا الناس في سلَّة واحدة فلا بدَّ لفقه الحالة من تبيُّنها. قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله:" أما أهل البدع الموافقون لأهل الإسلام، ولكنهم مخالفون في بعض الأصول كالرافضة[٢٤٥] والقدرية[٢٤٦] والجهمية[٢٤٧] وغلاة المرجئة[٢٤٨]، ونحوهم فهؤلاء أقسام:

---

[٢٤٥] الرافضة : اسم فاعل من رفض الشيء إذا استبعده، وسمُّوا بذلك لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب حين سألوه:" ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما، وقال: هما وزيرا جدَّي ". فرفضوه وتركوه ، وكانوا في السابق معه، لكن لما قال الحق المخالف لأهوائهم؛ نفروا منه ، فسمُّوا رافضة. وأصل مذهبهم من عبد الله بن سبأ، وهو يهودي تلبَّس بالإسلام، فأظهر التشيع لآل البيت، والغلو فيهم ليشغل الناس عن دين الإسلام. وأول ما أظهر ابن سبأ بدعته في عهد علي بن أبي طالب، حتى إنه جاءه وقال: أنت الله حقاً، والعياذ بالله. فأمر علي بالأخدود فحفرت، وأمر بالحطب فجُمِع، وبالنار فأوقدت، ثم أحرقهم بها؛ إلا أنه يقال: إن عبد الله بن سبأ هرب، وذهب إلى مصر ونشر بدعته؛ والله أعلم. المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

[٢٤٦] القدرية هم الذين قالوا بالقدَر، وقالوا: إن الله جلَّ وعلا لم يخلق أفعال العباد، بل العباد هم الذين يخلقون أفعال أنفسهم. المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

[٢٤٧] الجهمية: هم الذين ينتسبون إلى الجهم بن صفوان، وهم أهل بدعةٍ وضلالةٍ، وهم درجاتٌ: منهم الغلاة، ومنهم دون ذلك، ويطلق هذا الوصف على المعتزلة؛ لأنَّ المعتزلة في كثيرٍ من أقوالهم جهمية. المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

أحدها: الجاهل المقلِّد الذي لا بصيرة له فهذا لا يكفَّر ولا يفسَّق ولا تردُّ شهادته إذا لم يكن قادراً على تعلُّم الهدى، وحكمه حكم المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، الذين لا يستطيعون حيلةً ولا يهتدون سبيلاً فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً .

القسم الثاني: المتمكِّن من السؤال وطلب الهداية ومعرفة الحقِّ، ولكن يترك ذلك اشتغالاً بدنياه ورياسته ولذَّته ومعاشه وغير ذلك، فهذا مفرِّط مستحِقٌ للوعيد، آثمٌ بترك ما وجَبَ عليه من تقوى الله بحسب استطاعته؛ فهذا حكمه حكم أمثاله من تاركي بعض الواجبات، فإن غلب ما فيه من البدعة والهوى على ما فيه من السنَّة والهدى رُدَّت شهادته، وإن غلب ما فيه من السنَّة والهدى قُبِلت شهادته.

القسم الثالث: أن يسألَ ويطلب ويتبيَّن له الهدى ويتركه تقليداً وتعصباً أو بغضاً أو معاداة لأصحابه، فهذا أقلُّ درجاته أن يكون فاسقاً وتكفيره محلُّ اجتهادٍ وتفصيلٍ، فإن كان معلناً داعية رُدَّت شهادته وفتاويه وأحكامه مع القدرة على ذلك، ولم تُقبل له شهادةٌ ولا فتوى ولا حكمٌ إلا عند الضرورة،

---

[٢٤٨] المرجئة: هم الذين قالوا: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهم يقولون: إن الإيمان مُجرَّد التصديق بالقلب. فمرتكب الكبيرة عندهم كامل الإيمان، ولا يستحق دخول النار. فعلى هذا يكون إيمان أفسق الناس كإيمان أكمل الناس. المرجع: أرشيف الباحث الخاص.

كحال غلبة هؤلاء واستيلائهم وكون القضاة والمفتين والشهود منهم، ففي ردِّ شهادتهم وأحكامهم إذ ذاك فسادٌ كثيرٌ، ولا يمكن ذلك فتُقبَلُ للضرورة. وقد نصَّ مالكٌ رحمه الله، على أنَّ شهادة أهل البدع كالقدرية والرافضة ونحوهم لا تُقبَل، وإن صلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا "[٢٤٩].

ويتعيَّن علينا أن نعلم أنَّ القليل من الفقه عند الفرد المسلم يبصِّرُه بأنَّ كلَّ ما ليس قطعياً من الأحكام هو أمرٌ قابلٌ للاجتهاد، وإذا كان يقبل الاجتهاد فهو يقبل الاختلاف، وعلى الرغم من أنَّ الرعيل الأول من الصحابة ﷺ هم نموذج يُحتذَى به، فقد ظهر فيهم الخوارج الذين قالوا بكفر صاحب الكبيرة، وتخليده في النار؛ والمرجئة الذين قالوا: لا يضرُّ مع الإيمان ذنبٌ. ولعل السرَّ في ذلك أن الله ﷻ جعل الخلاف في هذه الأمَّة سنَّة ابتلاء واختبار لها فإما أن تتجاوزه، وإما أن تسقط في براثنه. وليس فيه معنى الإجبار، وليس سمتاً لازماً يشمل الأزمنة والأحوال جميعاً، فالمعوَّل عليه هنا هو مدى استجابة الأمَّة لجمع الشمل، ولو كان قدَرُ هذه الأمَّة أن تختلف لكان نداء الله لها بالوحدة نوعاً من العبث تعالى الله عنه علواً كبيراً. ودليلنا على أنَّ الخلاف هو موضع امتحان للأمَّة ما رواه مسلم في صحيحه، وذكره الحافظ ابن كثير بين يدي تفسيره للبيان الخامس والستِّين من سورة الأنعام، فعن عامر بن سعد عن أبيه

---

[٢٤٩] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيِّم الجوزية، (١ / ١٤٧)، مكتبة دار البيان.

أنَّ رسول الله ﷺ أقبل ذات يومٍ من العالية حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا به طويلاً، ثم انصرف إلينا فقال ﷺ:" سألت ربي ثلاثاً فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة. سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها ". أما حديث افتراق الأمَّة[٢٥٠] إلى ثلاث وسبعين فرقة، فهو تشخيص، وتوصيف لواقع الأمَّة في فترة خلَت من تاريخها لا نبقى أسارى له.

* الغبن والهلاك والخسارة للغالي في الحياة الدنيا ثمَّ الدار الآخرة، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة، وهو على راحلته:" هاتِ، ألقط لي"، فلقطت حصيَّات من حصى الخذف، فلما وضعهنَّ في يده، قال بأمثال هؤلاء،" وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من

[٢٥٠] عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال:" تَفَرَّقَتِ اليهودُ على إحدى وسبعين فِرْقَة، أو اثنتين وسبعين، والنصارى مثل ذلك، وستفترق أُمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة ". أخرجه الترمذي. وفي رواية أبي داود قال:" وتفرَّقَت النصارى على إحدى وسبعين، أو اثنتين وسبعين فرقة ... ". وذكر الحديث . رواه أبو داود رقم (٤٥٩٦) في السنة، باب شرح السنة، والترمذي رقم (٢٦٤٢) في الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة، وقال الترمذي: حديث أبي هريرة حسن صحيح، وفي الباب عن سعد، وعبد الله بن عمرو، وعوف بن مالك.

كان قبلكم الغلو في الدين "[٢٥١]. قلت: ونحن نلمس هذا من خلال واقع حياة هؤلاء، ونأسف لذلك كونهم محسوبون على الأمَّة المسلمة.

* اعتبار بعض التنظيمات الإسلامية لذواتها على أنها هي جماعة المسلمين – وهو مجانب للصواب – والحقُّ الذي لا مراء فيه، والتأصيل العلميُّ المنهجيُّ، يقرِّر أنها جماعة من جماعات المسلمين، وعلى كل حركةٍ رفعت لافتة العمل لهذا الدين، أن تسعى جاهدةً لتحقيق جماعة المسلمين.

* تجاوز رأي الثقات من العلماء والمفكرين والغيورين على قضايا الإسلام والدعوة، والضرب بآرائهم – رغم قوتها – عرض الحائط ممَّا يؤدي إلى الفرقة، وتعذُّر الاجتماع على رأيٍ واحدٍ. والبديل عن هذا الخيار، وفي حال غياب الإمام أو الحاكم المسلم الذي تنعقد راية الجهاد بإذنه، فثمَّة أناسٌ من قيادات الحركات الإسلامية المعاصرة، وليس حركة واحدة من المشهود لهم بالصلاح والثقة بعلمهم وسلوكهم وولائهم للإسلام فحسب، يمكننا أن ننظر إليهم على أنهم بمثابة مجلس شورى أو أهل حلٍّ وعَقْدٍ نرجع إلى رأيهم في مسألة التغيير باليد، ويكون تأصيلهم في حكم اجتهادٍ جماعيٍّ مبنيٍّ على فقه الحالة[٢٥٢]، وفقه

---

[٢٥١] أخرجه "أحمد": ١/٢١٥ (١٨٥١). و"ابن ماجة": ٣٠٢٩. و"النسائيُّ": ٥/٢٦٨ ، وفي "الكبرى" ٤٠٤٩.

[٢٥٢] قال ابن حزم رحمه الله:" وذهبت طوائف من أهل السنَّة وجميع المعتزلة وجميع الخوارج والزيدية إلى أنَّ سلَّ السيوف في الأمر المعروف والنهي عن المنكر واجب إذا لم يكن دفع

المنكر إلا بذلك، قال: فإذا كان أهل الحقِّ في عصابة يمكنهم الدفع، ولا ييئسون من الظفر ففرض عليهم ذلك، وإن كانوا في عددٍ لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفَر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد؛ وهذا قول علي بن أبي طالب ﷺ، وكل من معه من الصحابة وقول أمِّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها وطلحة والزبير وكل من كان معهم من الصحابة، وقول معاوية وعمرو والنعمان بن بشير وغيرهم ممن معهم من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، وهو قول عبد الله بن الزبير ومحمَّد والحسن بن عليٍّ، وبقية الصحابة من المهاجرين والأنصار القائمين يوم الحرَّة رضي الله عن جميعهم أجمعين، وقول كل من أقام على الفاسق الحجَّاج ومن والاه من الصحابة رضي الله عن جميعهم كأنس بن مالك، وكل من كان ممَّن ذكرنا من أفاضل التابعين كعبد الرحمن ابن أبي ليلى وسعيد بن جبير وابن البحتري الطائيِّ وعطاء السلميِّ الأزديِّ والحسن البصريِّ ومالك بن دينار ومسلم بن بشار وأبي الحوراء والشعبي وعبد الله بن غالب وعقبة بن عبد الغافر بن صهبان وماهان والمطرف بن المغيرة ابن شعبة وأبي المعد وحنظلة بن عبد الله وأبي سح الهنائي وطلق بن حبيب والمطرف بن عبد الله ابن السخير والنصر بن أنس وعطاء بن السائب وإبراهيم بن يزيد التيمي وأبي الحوسا وجبلة بن زحر وغيرهم؛ ثم من بعد هؤلاء من تابعي التابعين ومن بعدهم كعبد الله بن عبد العزيز ابن عبد الله بن عمر وكعبد الله بن عمر ومحمَّد بن عجلان ومن خرج مع محمَّد بن عبد الله بن الحسن وهاشم بن بشر ومطر الوراق، ومن خرج مع إبراهيم بن عبد الله؛ وهو الذي تدلُّ عليه أقوال الفقهاء كأبي حنيفة والحسن بن حي وشريك ومالك والشافعي وداود وأصحابهم، فإن كل من ذكرنا من قديم وحديث إما ناطق بذلك في فتواه، وإما فاعل لذلك بسلِّ سيفه في إنكار

الموازنات؛ وبهذا الذي أثبته آنفاً لم يعد بمقدور أيِّ فصيلٍ من فصائل العمل الإسلاميِّ، أن يستقلَّ باتِّخاذ قرارٍ يودي إلى مواجهةٍ شاملةٍ غير محسوبة النتائج.

قال الشوكانيُّ رحمه الله في تفسير الآية الكريمة:

﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴾

الأنعام: ١٠٨.

" وفي هذه الآية دليل على أنَّ الداعي إلى الحقِّ والناهي عن الباطل، إذا خشي أن يتسبَّب عن ذلك ما هو أشدُّ منه، من انتهاك حرام ومخالفة حقٍّ ووقوع في باطلٍ أشدُّ، كان الترك أولى به، بل كان واجباً عليه..."[٢٥٣].

وفي حال عدم توفُّر أسباب وشروط مشروعية التغيير باليد، " فالموقف الصحيح في مواجهة المكر الجاهلي، هو الصبر على هذا المكر عندما يكون له أثر في الواقع، وإمهال الكافرين رويداً حتى ترى الفعل الإلهي ردّاً على هذا المكر؛ لأننا كطرف من الدعوة خارجين فعلاً من دائرة المكر بين الله وأعدائه، وهو المأخوذ من قوله سبحانه:

ما رأوه منكراً ". الفصل في الملل والأهواء والنحل، (٤ / ١٣٢)، مكتبة الخانجي، القاهرة.

[٢٥٣] تفسير فتح القدير، (١٧١/٢)، مرجع سابق.

﴿ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾ ﴾

الطارق: ١٥ ـ ١٧.

ولذلك تكون أول صيغ الفعل الإلهي في ردِّ المكر الجاهليِّ، هو ارتداد أثره على مدبريه، وهو المأخوذ من قول الله:

﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ **فاطر: ٤٣.**

ذلك أننا غير قادرين على وجه الحقيقة على صدِّ المكر الجاهليِّ؛ لأنه مكرٌ دائمٌ لا يتوقَّف لحظةً، وهو المأخوذ من قوله سبحانه:

﴿ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ﴾ **سبأ: ٣٣.**

ولا يكون زمن إلا ليل أو نهار "[٢٥٤].

* هذا الفكر الذي نحن بصدد دراسته، وتقويمه قد يؤدي إلى إلى تنصيب شخصٍ، والالتفاف حوله، وبالتالي إلى تأطير الولاء والبراء ضمن هذا الشخص، وفكره، وجماعته. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" وليس لأحدٍ أن ينصِّب للأمَّة شخصاً يدعو إلى طريقته ويوالي ويعادي عليها غير النبيِّ، ولا ينصِّب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي، غير كلام الله ورسوله وما اجتمعت عليه الأمَّة؛ بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصِّبون لهم شخصاً أو كلاماً، يفرِّقون به بين الأمَّة يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون "[٢٥٥]. ويقول في

---

[٢٥٤] التصور السياسيُّ للحركة الإسلامية، رفاعي سرور، ص ٨٧، مرجع سابق.

[٢٥٥] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٠ / ١٦٤)، مرجع سابق.

موضعٍ آخر:" وأمَّا الاختلاف في الأحكام فأكثر من أن ينضبط، ولو كان كل ما اختلف مسلمان في شيء تهاجرا، لم يبق بين المسلمين عصمةٌ ولا أخوةٌ، ولقد كان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما سيِّدا المسلمين يتنازعان في أشياء لا يقصدان إلا الخير "[٢٥٦].

* غياب فكرة واقعية وجود المسافة بين الدعوة والدولة، بسبب القراءة السطحية لأحداث السيرة النبوية، وعدم وضوح أبعاد خطاب التكليف، ومراحله، ومسؤوليته، فما دام المسلم فرداً فهو في دائرة الالتزام والتبليغ، وليس في موقع تطبيق الحدود والتعزيرات، ولم يأت وقت تحكيم الشريعة بعدُ.

* التيَّارات التي تبنَّت هذا النهج في مسيرتها، عندما تفلس من وجود جهةٍ توجِّه له العنف، فإنها ستعمد إلى توجيهه إلى رفاق الطريق، وأصدقاء الأمس، واقتتال الأشقَّاء في أفغانستان ليس عنا ببعيد!

* مآل هذا المسلك مخالفة الفطرة الإنسانية الرافضة لأسلوب العنف في التغيير، وكذا معارضته لروح الشريعة، ومرونتها.

* إعطاء الآخرين صورة مشوَّهة عن الدين الحنيف، والله ﷻ أراد منا أن ندعوه بـ:

﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ﴾

الممتحنة: ٥.

---

[٢٥٦] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٤ / ١٧٣)، مرجع سابق.

وقال أيوب بن سويدٍ[٢٥٧]:" سمعت الأوزاعيَّ[٢٥٨] يقول: كان يقال: ما من مسلم إلا وهو قائم على ثغرة من ثغر الإسلام، فمن استطاع ألا يؤتى الإسلام من ثغرته فليفعل ".

---

[٢٥٧] هو أيوب بن سويد الرملي، حدَّث عن: ابن جريج، ويونس الأيلي، وأسامة بن زيد الليثي، ويحيى بن أبي عمرو السيباني، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر، والأوزاعي، وطائفة. وعنه: أبو الطاهر أحمد بن السرح، وعبد الرحمن بن إبراهيم دحيم، وكثير بن عبيد الحمصي، والربيع المرادي، وبحر بن نصر، ومحمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم، وآخرون. قال عباس عن ابن معين: ليس بشيء، يسرق الأحاديث. وقال النسائي: ليس بثقة. وقال أبو حاتم: ليِّن الحديث. وقال إبراهيم بن عبد الله الختلي: سألت ابن معين عن أيوب بن سويد، فقال: ليس بشيء، حدَّثهم بالرملة بأحاديث عن ابن المبارك، ثم جعلها بعد عن نفسه عن شيوخ ابن المبارك. وقال ابن عدي: يكتب حديثه في جملة الضعفاء. وذكره ابن حبَّان في "الثقات"، لكن قال: كان رديء الحفظ. وقال البخاريُّ: يتكلمون فيه. قلت: وروى عنه من القدماء: الشافعي، ومن المتأخرين إبراهيم بن محمَّد بن يوسف الفريابي، ومحمَّد بن أبي السري العسقلاني ". قال ابن أبي عاصم: توفي سنة اثنتين ومائتين. وقال البخاريُّ: قال لي محمَّد بن إسحاق: سمعت عبد الله بن أيوب يقول: غرق أيوب بن سويد في البحر سنة ثلاث وتسعين، يعني: ومائة. قلت: الأول أصح. تاريخ الإسلام، الذهبي، (٥/ ٣٧)، مرجع سابق.

[٢٥٨] هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، الأوزاعيُّ، من قبيلة الأوزاع، أبو عمرو إمام الديار الشامية في الفقه، والزهد. أحد الكتَّاب المترسلين. ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وسكن بيروت، وتوفي بها. عُرِض عليه القضاء فامتنع. قال صالح بن يحيى:" كان

* انطلاقاً من قوله ﷻ:

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ البقرة: ٢٥٦.

فإنَّ طبيعة هذا الدين تأبى حمل الناس على الدخول في الإسلام، ومن يراجع تاريخ الفتوحات الإسلامية يرى كيف أنَّ الإسلام انتشر بالقرآن، وكان السيف حامياً له.

إذن عندما يقف الحكام من غير المسلمين، حجر عثرة أمام شعوبهم في اختيار عقيدتهم! يتدخل الإسلام ولو بالقوة من خلال نظام الحكم، وليس على مستوى أفرادٍ أو جماعاتٍ لتحرير هذه الشعوب، والعمل على نيل حريتها كاملةً غير منقوصة.

ومتى كانت الدعوة إلى الإسلام، تحتاج إلى مزيدٍ من الدماء، والأصل هو القوة الذاتية والجاذبية التي يمتلكها المنهج الإسلاميُّ ذو الصبغة الربانية. وعلى امتداد الدعوة في مهدها الأول في عصر النبوة لم يتجاوز عدد قتلى المشركين سقف ألفي قتيل!. ومن يفكر على غير هذا النحو فليلتمس عنده ضحالةً في التفكير وسطحيةً في التحليل وسوءاً في التقدير!.

الأوزاعيُّ عظيم الشأن بالشام، وكان أمره فيهم أعزُّ من أمر السلطان، وقد جعلت له كتاباً يتضمَن ترجمته ". له كتاب:" السنن" في الفقه، و"المسائل"، ويُقدَّر ما سُئِل عنه بسبعين ألف مسألة أجاب عليها كلها. وافته المنيَّة سنة١٥٧هـ. انظر الأعلام للزركلي، (٣ / ٣٢٠)، مرجع سابق.

* يساهم الغلوُّ بتدهور أيِّ عملية تنموية، حيث أن أهم عناصر التنمية هو الإنسان، إذ هو العامل الأساسي في انتعاش التنمية البشرية، والتي تعتمد على تطوير قدراته العقلية، بحيث يكون قادراً على الإبداع والتجديد، فإذا ما انتقل إلى دائرة الإنغلاق على الذات، وبدأ ينظر إلى من حوله نظرةً سلبيةً، مما يزيد من عزلته عن المحيط الذي يعيش فيه، وبالتالي نفقد عنصراً أساسياً في التنمية.

* إذا شعر العلمانيون الغلاة أو سواهم، أنَّهم مستهدفون من قبَلِ شريحةٍ من الإسلاميين، فيكون قد تشكَّل أمامهم سورٌ يحجبُهُم عن الالتزام بالإسلام، ومن هنا ندرك الحكمة من وراء قبوله ﷺ بشروط صلح الحديبية، وكذا من معاملته المرنة لأهل النفاق.

* الظروف الخاصَّة والصعبة التي عاشها بعض أبناء الحركات الإسلامية، قد تقودهم إلى خيار العنف، كردَّة فعل تساويه في القوة تخالفه في الاتجاه؛ ويرى المراقبون والمتابعون لشؤون هذه الحركات أنَّ " الجماعات الراديكالية التي تشكَّلت على ضفاف الجماعات الأمِّ، هي التي أنتجت ظاهرة العنف، وهي التي توسَّلت بوسيلة الاغتيالات للوصول إلى أهدافها.

ومنذ اللحظات الأولى لبروز ظاهرة العنف الدينيِّ، ترفَّعت الجماعات الأمُّ عن الدخول في مماحكاتٍ أيدلوجيةٍ أو تنظيميةٍ مع الجماعات الراديكالية.

ولكن على المستوى الواقعي فإنَّ الجماعات الأمَّ دفعت في الكثير من الحالات، ثمن انزلاق الجماعات الراديكالية نحو العنف. وتعاملت السلطات السياسية مع

العنف الراديكاليِّ، وكأنه مغطًّى حركياً وسياسياً من الجماعات الأمّ، لذلك فهي من أكثر الجماعات الإسلامية التي دفعت الأثمان السياسية والبشرية لممارسة العنف من قبَل مجموعاتٍ أو جماعاتٍ محسوبةٍ على التيَّارات الإسلامية الموجودة في الساحتين العربية والإسلامية.

ولعلنا بعد هذه التجربة المريرة، نتمكن من القول إنَّ صمت الجماعات الأمِّ على العنف الراديكاليِّ شجَّعهم، أي الراديكاليين والعنفيين على الاستمرار لتوريط الجماعات الأمِّ، وكأنها هي بوابةُ انخراط هذه الجماعات في الخيار الثوريِّ أو العنفيِّ.

ولا بدَّ في هذا السياق من ذكر أنَّ طبيعة التعامل الخشن في المعتقلات والسجون مع الراديكاليين، كان بمثابة الشرارة التي أوقدت لدى كل المجموعات الحركية الصغيرة، شعلة الثورة أو ممارسة العنف. وكأنه في أحد جوانبه، هو ردَّة فعل عميقة على ما تتعرَّض إليه كوادر المجموعات الثورية الصغيرة من تعذيبٍ وإعدامٍ في المعتقلات والسجون "[٢٥٩].

* في حال مارست الأنظمة الحاكمة أنواعاً من الضغط على تيَّارات العنف، ولمدَّة قد تطول، فيمسي الخيار الأهمُّ عندهم هو الحفاظ على وجودهم، ويمسي الهدف المرجوُّ عندهم في زوايا النسيان، وفي هذه المرحلة قد يحتاجون إلى التوسُّع

[٢٥٩] من مقال للكاتب محمَّد محفوظ بعنوان: الإسلام السياسيُّ والعنف، على الشبكة العكبوتية.

في فهم النصوص، وأحياناً إلى ليِّ عنقها! ومنذ زمنٍ قال الشيخ الغزاليُّ رحمه الله:" وكلمة الخروج على الحاكم كانت قديماً تعني شَهْر السلاح في وجهه، ولا أظنُّ أحداً ينتظر من الإسلام أن يبيح هذا الحقَّ لمن يشاء متى تشاء! وكل ما ذكره الإسلام في إطفاء بذور الحرب الأهلية قول الرسول الكريم ﷺ:" ستكون من بعدي هنات وهنات.[٢٦٠] فمن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأمة، وهي جميعٌ فاضربوه بالسيف كائناً من كان "[٢٦١]، وهذا حديث لا غبار عليه"[٢٦٢].

* الانصراف عن عملية بناء المجتمع بناء قوياً بسبب الانشغال بالفروع، ومسائل الخلاف، وفي ذات الوقت فإن تبنِّي هذا الأسلوب في التغيير يعمل، وعلى أرض الواقع على تعزيز ثقافة الفرقة بين المسلمين، ممَّا يؤدي إلى تفتيت عضدها، وذهاب ريحها وفق التعبير القرآني.

* غياب الشمولية عند أهل التشدُّد في التزامهم بضوابط الشريعة الغرَّاء، فمثلاً الدين يدعو إلى الرفق قي التعامل مع الآخرين، وهم بعيدون عنه!!. وهم في الغالب يتخذون موقفاً عدائياً من إخوانهم الذين يخالفون رأيهم!. وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول:" لا أحبُّ أن يُؤذى أحدٌ من عموم المسلمين، فضلاً عن أصحابنا بشيءٍ أصلاً، لا باطناً ولا ظاهراً، ولا عندي عتبٌ على أحدٍ

---

[٢٦٠] الهنات: الشرور والفساد، والشدائد والأمور العظام.

[٢٦١] مسلم: (١٨٥٢)، وأبو داود: (٤٧٦٢)، والنسائيُّ: ٧/ ٩٣.

[٢٦٢] من هنا نعلم، محمَّد الغزالي، ص٦٣، مرجع سابق.

منهم، ولا لومٌ أصلاً بل لهم عندي من الكرامة والإجلال والمحبة والتعظيم أضعاف أضعاف ما كان كلٌ بحسبه، ولا يخلو الرجل إمَّا أن يكون مجتهداً مصيباً أو مخطئاً أو مذنباً، فالأول مأجور مشكور، والثاني مع أجره على الاجتهاد فمعفوٌ عنه مغفورٌ له، والثالث فالله يغفر لنا وله ولسائر المؤمنين "[٢٦٣].

وإن كان لي من كلمةٍ أخيرةٍ، فهي تحمل على متنها تذكيراً لإخواني جميعاً بدراسة فقه الأولويات، ودراسة المرحلة المكيَّة من حياة الدعوة، وليستحضروا معي أننا أصحاب هوية ومبادئ؛ ومن أمَّة متميِّزة تمتلك في حسِّها وروحها ثوابت لا تحيد عنها أبداً قيد أنملة طالما كنَّا مسلمين، ولا يمكن لأحدٍ بعد الذي أثبته أن يزايد علينا، أو أن يعتبرها ثقافة هزيمةٍ فكريةٍ، أو داخليـةٍ نفسيةٍ، بل هي تزاوجٌ بين الوعي والعاطفة، وبين الإخلاص والصواب، أحسبه كذلك، والله وحده أعلم وأحكم، وهو الموفِّق، وهو وحده من وراء القصد.

[٢٦٣] مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (٢٨ / ٥٢)، مرجع سابق.

الفصل الثالث

المعالجة والحلول

كنت قد كتبت في فصلين سابقين عن هذا المسلك من جهة أسبابه، ومن جهة التنويه إلى آثاره، والآن أشرع في بيان المعالجة لهذه الظاهرة التي شغلت الكثير من الأوساط العالمية والإقليمية والمحلية، وتفرَّغت مؤسَّسات موسومةٌ بالمنهج العلميِّ، وأخرى تتبع دوائر استخبارتية لدراستها؛ سائلاً المولى تباركت أسماؤه أن أوفَّق إلى ما يفي بالغرض، وهو من وراء القصد، وهو وحده الهادي إلى سواء السبيل.

إنَّ تقويض الظلم بخسائر وضريبة أقل من استعمال العنف، يتمُّ عن طريق المقاومة السلمية والسياسية والعصيان المدنيِّ والعودة إلى الإصلاح، الذي من المفترض إن أُطِّر بشكلٍ صحيحٍ أن يساهم في عملية تقويم الخلل السياسيِّ، قال الله ﷻ:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾

آل عمران: ١١٠.

مع ملاحظة ضرورة أن يكون الخطاب السياسيُّ الإسلاميُّ ذو نزعةٍ إصلاحيةٍ معبِّرٍ عن ضمير الأمَّة مراعياً مصلحتها العليا، بعيداً عن لغة الوعيد والاستعلاء والفردية وخارج دائرة المشروع الخاص.

أخرج أصحاب السنن وأحمد وابن حبان في صحيحه، وغيرهم بسندٍ صحيحٍ عن أبي بكر الصديق ﷺ أنه قام فحمد الله، ثم قال: يا أيها الناس، إنكم تقرأون هذه الآية:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥ ﴾ **المائدة: ١٠٥.**

وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول:" إنَّ الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه يوشك أن يعمَّهم بعقابه ".

إنَّ ردع الحاكم عن ظلمه للشعوب، هو من مهمّة مجاميع الأمَّة وأهل الرأي فيها، وعليهم وضع الأمور في نصابها، فإذا أفلت القرار من أيديهم أمسى المجتمع يدور في دائرة العنف، والله وحده يعلم حجم المأساة التي ستحدث وتكبُرُ، تماماً ككرة الثلج المتدحرجة !.

إنَّ تأطير استعمال العنف ضدَّ أعداء الأمة فحسب، يعمل على وحدة وتماسك أبناء الأمَّة ضدهم، وفي تبنِّي العنف منهجاً في التغيير، تمزيقٌ لصفوف الأمَّة وهدرٌ للطاقات وإشاعةٌ للتناقضات بين أفراد المجتمع الواحد.

ثم إنَّ الصبر والثبات على التغيير السلميِّ المدنيِّ ضدَّ الطغيان من خلال الحركات الإصلاحية، ومن خلال أهل الشورى وقادة الفكر في الأمَّة هو أوفر بكثيرٍ من الدخول في دوامة العنف.

كما أنَّ تضاؤل فرص الحلول السياسية، وعدم توفُّر الإرادة لتبنِّيها كطريقٍ للخلاص وسبيلٍ للخروج من أزمةٍ ترخي بسدولها وسط ليلٍ بهيمٍ!. كلُّ ذلك يساهم في تعزيز سياسات العنف الغريبة على البيئة الإسلامية، أساساً وطبيعةً ومنهجاً وثقافةً وتنظيماً، مما يشكِّل ذلك عقبة كؤوداً في طريق الإصلاح المأمول.

ومن الأهمية بمكانٍ أن نسترشد الخطوات التي تمَّ اتخاذها في المسيرة الحركية لمواقف الرسول ﷺ المسدَّد بالوحي في إدارة أيَّ صراع أخذ يطلُّ برأسه على مجتمع المسلمين، وذلك من خلال خططٍ استراتيجيةٍ ورؤىً مستقبليةٍ وحلولٍ لأزماتٍ ستقع بين يدي فتنٍ ستعصف في وجه آحاد ومجاميع المسلمين.

وواجب على آحاد الأمَّة ومجاميعها أن تضع حدَّاً لدوامة العنف وأن تعمل على الحيلولة أن يفرِّخ في دوائر مغلقة يدع الديار بلاقع!.

ولا شكَّ أن هذه الحلول التي سأعرِّج عليها، ستعمل وتسهم على الأقلِّ في تقليص أحداث العنف، هذا ويظنُّ البعض أنَّ التطرُّف هو أصل المشكلة، وأنا أرى أنَّ غياب الحدِّ الأدنى من هامش الحرية، ومن هامش الشورى هو أسُّ المعضلة وجوهرُها.

وكعادتي فإني أوثر أن أفرد أفكار البحث، علَّ هذا الإفراد يعين القارئ على استيعاب مضامين ما سأثبته بين ثنايا هذا المحور من البحث.

* تحكيم الشريعة على مستوى الأنظمة،[٢٦٤] وعلى سبيل التدرُّج بعد تشكيل هيئةٍ علميةٍ استشاريةٍ متخصِّصةٍ قد استكملت دراسة فقه الموازنات[٢٦٥]، وفقه

---

[٢٦٤] من اللافت أن ثَمَّة أستاذٌ جامعيٌّ من أقباط مصر طالب بتطبيق الإسلام، وقال:" الشريعة الإسلامية من بيئتي، ومطالبتي بهذا يعتبر واجباً وطنياً وقومياً "، في الوقت الذي يذهب بعض أبناء جلدتنا إلى استبعاد الشريعة عن الحكم!.

[٢٦٥] قال العزُّ بن عبد السلام رحمه الله:" إذا اجتمعت مصالح ومفاسد، فإن أمكن تحصيل المصالح ودرء المفاسد فعلنا ذلك. وإن تعذَّر الدرء والتحصيل، فإن كانت المفسدة أعظم من المصلحة درأنا المفسدة، ولا نبالي بفوات المصلحة. وإن كانت المصلحة أعظم من المفسدة حصَّلنا المصلحة مع التزام المفسدة. وإن استوت المصالح والمفاسد فقد يُتخيَّر بينهما، وقد يُتوقَّف فيهما، وقد يقع الاختلاف في تفاوت المفاسد ". – قواعد الأحكام في مصالح الأنام ٩٨/١، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة –.

ومثال فقه الموازنات: قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله:" سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله روحه ونوَّر ضريحه يقول: مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقومٍ منهم، يشربون الخمر فأنكر عليهم من كان معي فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصدُّ عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصدُّهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم ".– إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، (٣ / ٣) –.

الأولويات[٢٦٦]، وفقه المقاصد[٢٦٧]، وفقه الواقع[٢٦٨]، وتعمقَّت في تحقيق المناط، وسبرت أغوار المصالح المرسلة[٢٦٩]. وقبل هذا وذاك قد ألمت بفقه الدعوة

---

[٢٦٦] ومثاله: قال ابن قيِّم الجوزية رحمه الله:" إنَّ النبي ﷺ:" نهى أن تُقطَّع الأيدي في الغزو " رواه أبو داود، فهذا حدٌّ من حدود الله تعالى، وقد نهى عن إقامته في الغزو خشية أن يترتَّب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره من لحوق صاحبه بالمشركين حميَّة وغضباً، كما قاله عمرو أبو الدرداء وحذيفة وغيرهم ". المصدر السابق، وذات الصفحة.

[٢٦٧] أو ما يتفرَّع عن هذا الفقه، ومثاله: قال الشاطبيُّ رحمه الله:" النظر في مآلات الأفعال معتبَرٌ مقصودٌ شرعاً، كانت الأفعال موافقةً أو مخالفةً. وذلك أنَّ المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلَّفين بالإقدام أو بالإحجام إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل، فقد يكون مشروعاً لمصلحةٍ فيه تُستجلَب، أو لمفسدةٍ تُدرأ، ولكن له مآلٌ على خلاف ما قصد فيه. وقد يكون غير مشروعٍ لمفسدةٍ تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآلٌ على خلاف ذلك. فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية فربما أدَّى استجلاب المصلحة فيه إلى مفسدةٍ تساوي المصلحة أوتزيد عليها، فيكون هذا مانعاً من إطلاق القول بالمشروعية. وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم المشروعية ربما أدَّى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أوتزيد، فلا يصحُّ إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجالٌ للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب المذاق، محمود الغبِّ، جارٍ على مقاصد الشريعة ". – الموافقات ١٧٨/٥-.

[٢٦٨] ومثاله: قال العزُّ بن عبد السلام: إنَّ أيَّ قتالٍ للكفَّار لا يتحقَّق به نكاية بالعدو فإنه يجب تركه، لأنَّ المخاطرة بالنفوس إنما جازت لما فيها من مصلحة إعزاز الدين

للمرحلة المكيَّة.[٢٧٠]؛ على أن لا تغفل الحقوق والواجبات الخاصَّة لشركاء المسلمين في المواطنة. ومسؤولية كل ما تقدم على الحاكم الذي يملك بقيَّة من انتسابه للإسلام، ولا أقول ملتزماً حقَّ الالتزام. قال الماورديُّ مبيِّناً واجبات وليِّ الأمر:" والذي يلزمه من الأمور العامَّة عشرة أشياء: أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقِّرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجَمَ مبتدع، أو زاغ ذو شبهةٍ عنه أوضح له الحجَّة، وبيَّن له الصواب، وأخذه بما يلزم من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروساً من خللٍ، والأمَّة ممنوعة من زللٍ "[٢٧١]. فتشكيل هكذا هيئة، هي من واجبات هذا الحاكم الذي أشار إليه الماورديُّ[٢٧٢] رحمه الله.

والنكاية بالمشركين، فإذا لم يحصل ذلك وجب ترك القتال، لما فيه من فوات النفوس، وشفاء صدور الكفار، وإرغام أهل الإسلام، وبذا صار مفسدة محضة ليس في طيها مصلحة. – قواعد الأحكام في مصالح الأنام ١/٩٥- .

[٢٦٩] المصالح المرسلة: هي التي لم يأت في الشرع اعتبار لها، ولا إلغاء لها. انظر: نظم القواعد الفقهية، الشيخ عبد الرحمن السعدي (ص: ٦٤).

[٢٧٠] ومن دواعي التعرُّف على هذا النوع من الفقه أن أشير إلى أنَّ بعض الصحابة جهر بالدعوة لعلَّة وجود قبيلة تحميه مستثمراً لهذه الميزة، بينما أسرَّ بها آخرون لانتفاء هذه الميزة بين أيديهم.

[٢٧١] الأحكام السلطانية والولايات الدينية، للماورديِّ، (ص: ٤٠)، دار الحديث، القاهرة.

[٢٧٢] هو عليُّ بن محمَّد حبيب، أبو الحسن الماوردي. أقضى قضاة عصره. من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة النافعة. ولِدَ في البصرة، وانتقل إلى بغداد. وولي

أنا أقرُّ هنا، أن ثمَّة إجماع لعلماء الأمَّة على وجوب عزل الحاكم المعطِّل للشريعة، وكلُّ طلاب العلم الشرعيِّ، يعلمون أنَّ القتال من أجل إقامة الدين واجبٌ أيضاً؛ بيْد أن الحكم ليس هكذا على عواهنه، ولكن لا بدَّ أن يقرن كلٌ من هذين الحكمين بضوابط الحكم الشرعيِّ، مع النظر إلى المقاصد الكلية وإلى المآلات، وهنا يتدخل لزوماً فقه الموازنات، وبالطبع لا يقوم على العمل به، وتقليب وجوهه شباب متحمِّس! بل هو من تخصُّص الراسخين في العلم، من أهل الاستنباط الذين أومأت إليهم آية سورة النساء. وما على هؤلاء الشباب سوى الالتزام بقاعدة: وعلى ألا ننازع الأمر أهله.

* صياغة تربية الفرد وفق المنظور الإسلاميِّ؛ تتبلور من خلال هذه العملية شخصيةٌ فريدةٌ مميَّزةٌ توجِّهُها المبادئ، وتعصمها القيَم، ويكون للحلال والحرام

القضاء في بلدانٍ كثيرةٍ، ثم جُعِل " أقضى القضاة " في أيام القائم بأمر الله العباسي. كان يميل إلى مذهب الاعتزال، وله المكانة الرفيعة عند الخلفاء، وربما توسَّط بينهم، وبين الملوك وكبار الأمراء في ما يصلح به خللاً، أو يزيل خلافاً. نسبته إلى بيع ماء الورد، ووفاته ببغداد. من كتبه:" أدب الدنيا والدين "، و " الأحكام السلطانية "، و "النكت والعيون " وهو في تفسر القرآن، و " الحاوي " في فقه الشافعية، نيِّف وعشرون جزءاً، و " نصيحة الملوك "، و " تسهيل النظر " في سياسة الحكومات، و " أعلام النبوة "، و " معرفة الفضائل "، و " الأمثال والحكَم "، و " الإقناع " في الفقه، و " قانون الوزارة "، ولعلَّه المطبوع بعنوان: " أدب الوزير " قاله عبيد. و " سياسة الملك "، وغير ذلك. وافته المنيَّة سنة ٤٥٠هـ.

حضورٌ في جزئيات حياتها اليومية. ومن مستلزمات ذلك إعادة صياغة البرامج التعليمية بصورةٍ مناسبةٍ للعصر، وتتناغم مع مكونات الشخصية السويَّة.

وتربية النشء وفق ما جاء في الكتاب والسنَّة مطلب مهمٌّ، والنبيُّ ﷺ يقول:" ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أوينصِّرانه أو يمجسَّانه "[٢٧٣]. فالمولود يولد على فطرة الإسلام إلى أن يأتي مَن يؤثر فيه، إما بتهويدٍ أو تنصيرٍ أو تمجيسٍ، أو غير ذلك، ولذلك لم يذكر النبيُّ ﷺ: أو يسلمانه.

وبرأيي المتواضع فإنّ عملية التربية الاجتماعية المنشودة على نشر ثقافة الحوار، تتطلَّب منظومةً متكاملةً، تؤدِّي فيها الأسرة دورها المنوط بها، جنباً إلى جنبٍ مع المدرسة ووسائل الإعلام ومواقع التواصل الاجتماعي والمؤسَّسة الدينية.

* التحصين الثقافيُّ لأجيال الأمَّة ضدَّ الغزو الفكري، الذي يعمل جاهداً على صناعة التطرُّف، للحيلولة دون النهوض الحضاريِّ لصالح الإسلام على يد أبناءٍ له، سِمَتُهُم المعرفة والتجرُّد.

* توسعة صدور العلماء والمفكِّرين لعامَّة الشباب المسلم، لأنهم مصدر تنويرٍ لأفهامهم، وأصحاب تجربةٍ يحتاجها الشباب المتعطِّش للنظر البعيد في معالجة المعضلات التي تطرأ على حياتهم، ومن هؤلاء الشباب من يرى مشروعية

[٢٧٣] أخرجه البخاريُّ: ٤٥٦/١، رقم ١٢٩٢، ومسلم: ٢٠٤٧/٤ رقم ٢٦٥٨.

الاغتيالات في المجتمع استناداً لأمر منه ﷺ في اغتيال كعب بن الأشرف[٢٧٤]، وسلام بن حقيق[٢٧٥]، ويردُّ على هذا الفهم حسن دوح[٢٧٦]، معتمداً لتنظيرٍ

---

[٢٧٤] هو كعب بن الأشرف الطائي، من بني نبهان: شاعرٌ جاهليٌّ. كانت أمُّه من بني النضير، دان باليهودية. وكان سيِّداً في أخواله. يقيم في حصنٍ له قريبٍ من المدينة، ما زالت بقاياه إلى اليوم، يبيع فيه التمر والطعام. أدرك الإسلام، ولم يسلم، وأكثَرَ من هجو النبيِّ ﷺ وأصحابه، وتحريض القبائل عليهم وإيذائهم، والتشبيب بنسائهم. وخرج إلى مكَّة بعد وقعة " بدر " فندب قتلى قريش فيها، وحضَّ على الأخذ بثأرهم. وعاد إلى المدينة. أمر النبيُّ ﷺ بقتله، فانطلق إليه خمسةٌ من الأنصار، فقتلوه في ظاهر حصنه، وحملوا رأسه في مخلاة إلى المدينة، مات سنة ٣هـ الأعلام، للزركلي، (٥/ ٢٢٥)، مرجع سابق.

[٢٧٥] هو سلام بن أبي الحقيق، وكنيته أبو رافع، من أكابر مجرمي اليهود الذين حزَّبوا الأحزاب ضدَّ المسلمين، وأعانهم بالمؤن والأموال الكثيرة، وكان يؤذي رسول الله ﷺ، فلما فرغ المسلمون من أمر قريظة استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتله. وكان قتل كعب بن الأشرف على أيدي رجال من الأوس، فرغبت الخزرج في إحراز فضيلة مثل فضيلتهم، فلذلك أسرعوا إلى هذا الاستئذان. وأذن رسول الله ﷺ في قتله ونهى عن قتل النساء والصبيان، فخرجت مفرزةٌ قوامها خمسة رجال، كلهم من بني سلمة من الخزرج، قائدهم عبد الله بن عَتِيك، وكان مقتل سلام على يديه. كان مبعث هذه السرية في ذي القعدة أو ذي الحجة في السنة الخامسة للهجرة. انظر السيرة النبوية، د.علي الصلابي، ص٢٧٣، ج٢، ط٦، ١٤٣٤هـ، دار ابن كثير، لبنان. ١٤٣٤هـ. وصحيح البخاري: كتاب المغازي، باب قتل أبي رافع.

فقهيٍّ من أهله:" مقتل هذا الرجل كان بأمر رسول الله ﷺ وهو علاوة على أنَّه ملهم فإنَّه كان قائد جيش المسلمين ضدَّ اليهود، فالحرب كانت معلنَةً بين الفريقين، وكان كعب بن الأشرف من قادتها، فالرسول لم يقتل مسلماً ولا ذميَّاً ولا مشركاً، ولكنه أمر بقتل عدوٍّ محاربٍ "[٢٧٧].

* إذا كانت أمريكا قد وضعت مشروعاً للإصلاح[٢٧٨]، فإنَّ أجندتها غريبة عن بيئتنا الفكرية التي تأبى التلوث؛ والبديل هو المنهج الإسلاميُّ، كما يراه أصحاب الفكر الصافي من مثقفينا، وفيه تتمُّ دراسة استراتيجية التغيير، والقاعدة أو الأرضية العقدية والأيديولوجية له.

* ضرورة توحيد الرؤى لدى المؤسَّسات، والهيئات المتخصِّصة من مثل المجامع الفقهية، ومجامع البحوث الإسلامية، والهيئات والكليات الشرعية على ميثاقٍ بشأن الإفتاء، ومعالجة الفتاوى الفردية في القضايا الساخنة، ووضع ضوابط للفتاوى غير المسؤولة، والتركيز في برامجها على تحديد مفهوم بعض

---

[٢٧٦] ولد حسن محمَّد حسن إبراهيم دوح في أكتوبر سنة ١٩٢٩م، في قرية طفنيس المطاعنة مركز إسنا محافظة قنا، حفظ القرآن الكريم بكتَّاب قريته، ثمَّ التحق بكلية الحقوق جامعة القاهرة سنة ١٩٤٤م، وافتتح مكتباً للمحاماة بالقاهرة، سافر للحرب في فلسطين سنة ١٩٤٨م، واشترك في حرب القنال. المرجع: الأرشيف الخاص للباحث.

[٢٧٧] الإرهاب المرفوض والإرهاب المفروض، حسن دوح، ص ٧٨.

[٢٧٨] انظره في مجلَّة التسامح، العدد العاشر، ص٤٨.

المصطلحات الشرعية كالبيعة، ووليِّ الأمر، وجماعة المسلمين، ومصطلحي الولاء والبراء، والجهاد، والطائفة المنصورة، وأرى تضمين ذلك في كتاب يُطبع ويوزع مجاناً.

* تنظيم لقاءاتٍ لشخصيات الهيئات العلمية المشار إليها آنفاً، لدراسة التحّديات المعاصرة التي تواجه ثوابت الأمَّة، وتحديد الآليات الإجرائية للوقوف أمامها.

* فضح تيَّار العلمانية الذي ينادي بفصل الدين عن الحياة وعن السياسة، فضحاً كاملاً، على يد مفكري الأمَّة وعلمائها الربانيين، الذين يُناط بهم أيضاً القيام بتوجيه بياناتٍ إلى حكَّام العالم الإسلاميِّ، يحثُّون فيها على ضرورة الإسراع بتطبيق الشريعة، ولهم في شيخ الدولة العثمانية[٢٧٩] سابقاً منارة ورمزاً

[٢٧٩] هو الشيخ مصطفى صبري، من علماء الحنفية. فقيهٌ باحثٌ. تركيُّ الأصل والمولد والمنشأ. ولد في (توقات)، وتعلم بقيصرية (في الأناضول)، وعيِّن مدرساً في جامع محمَّد الفاتح، باستنبول، وهو في الثانية والعشرين من عمره. ثم تولَّى مشيخة الإسلام في الدولة العثمانية. وقاوم الحركة (الكمالية) بعد الحرب العالمية الأولى. هاجر إلى مصر، بأسرته وأولاده (سنة ١٩٢٢) فألف كتبا بالعربية، منها: (موقف العقل والعلم والعالم من ربِّ العالمين وعباده المرسلين) أربعة مجلدات، قال في مقدمته، مخاطباً روح أبيه: (لو رأيتني وأنا أكافح سياسة الظلم والهدم والفسوق والمروق في مجلس النواب وفي الصحف والمجلات قبل عهد المشيخة والنيابة وبعدهما، وأدافع عن دين الأمة وأخلاقها وآدابها وسائر مشخصاتها، وأقضي ثلث قرن في حياة الكفاح، معانياً في خلاله ألوان

لاقتفاء أثره، فلننظر قوله رحمه الله:" إن هذا الفصل مؤامرة بالدين للقضاء عليه، ولقد كان في كلِّ بدعةٍ أحدثها العصريون المتفرنجون في البلاد الإسلامية كيدٌ للدين ومحاولةٌ للخروج عليه، لكن كيدهم في فصله عن السياسة أدهى وأشدُّ من كل كيدٍ، فهو ثورةٌ حكوميةٌ على دين الشعب، في حين أن العادة أن تكون الثورات من الشعب على الحكومة وشقٌّ عصا الطاعة منها، أي من الحكومة لأحكام الإسلام؛ بل ارتدادٌ عنه من الحكومة أولاً ومن الأمَّة ثانياً، وهو أقصر طريق إلى الكفر "[٢٨٠].

وكذا توجيه بياناتٍ أخرى إلى القنوات الإعلامية المختلفة، وأنا أتفَّهم أنَّ الكثير منها تتعرَّض لمقصِّ الرقيب، أو لتمويل بعض رجال الأعمال الذين ارتبطت مصالحهم بالأنظمة الشمولية، أو رضعوا من لُبان الثقافة الغربية!. يكون

الشدائد والمصائب، ومغادراً المال والوطن مرتين في سبيل عدم مغادرة المبادئ، مع اعتقال فيما وقع بين الهجرتين، وغير محسٍّ يوماً بالندامة على ما ضحيَّت به في هذه السبيل من حظوظ الدنيا ومرافقها، لأوليتني إعجابك ورضاك)، ومن كتبه بالعربية أيضاً: (موقف البشر تحت سلطان القدر) و (النكير على منكري النعمة في الدين والخلافة والأمَّة) و (مسألة ترجمة القرآن) و (القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون)، وله مؤلفات بالتركية طبع بعضها. وفاته بالقاهرة سنة ١٣٧٣ هـ/ ١٩٥٤ م. الأعلام، للزركلي، (٧/ ٢٣٦)، مرجع سابق.

[٢٨٠] موقف العلم والعقل والعالم من ربِّ العالمين، مصطفى صبري، ج٤ ص٢٨١، المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

الهدف من توجيهها مراعاة أحكام الشريعة الغرَّاء، واستضافة المثقَّف الغيور على قضايا الأمَّة فحسب.

* توجيه مناهج التدريس الوجهة الصحيحة التي تحارب التطرُّف الدينيَّ، وفي الوقت ذاته التطرُّف المضادُّ، والتركيز فيها على التفريق بين خطاب الإسلام المقدَّس، وبين خطاب المسلمين غير المقدَّس، كونه اجتهاداً، ولا بدَّ فيه من التبصُّر للأهداف والمقاصد، ومعرفة أحوال المخاطَبين، واختبار الوسائل ومشروعيتها وفاعليتها وضوابطها ومعرفة بالزمان والمكان والواقع. وعلى الفصل بين إسلام النَّص وإسلام التاريخ، إذ لا سلطان له علينا، أو بين الدين وبين أشكال التديُّن؛ والعمل على تفعيل الخطاب الدينيِّ الصافي من الشوائب في المؤسَّسات التعليمية. ومن خلال هذا الخطاب المسدَّد تمتلك الأجيال حسَّاً وميزاناً، يستنكر محاور الغلو ومراكب التشدُّد، وتنمِّي عندهم شعور وحدة المسلمين وتآخيهم. كما يعمل على توجيههم بضرورة الجمع بين حماس الشباب وحكمة الشيوخ من خلال استشارتهم، وتبادل أطراف الحوار معهم.

* ضرورة تبادل أطراف الحوار مع الشباب الناشئ من قِبَل علماء ومفكري الأمَّة المتنورين[٢٨١]، وتوفير السبُل المختلفة لإملاء فراغهم من أنشطةٍ جماعيةٍ علميةٍ

[٢٨١] وأقصد بالمتنورين هنا: الذين فهموا الدين فهماً صحيحاً متوافقاً مع أصالته، وهذا النعت الآن ينصرف في بعض الأوساط التي لبست لبوس الحداثة، إلى الذين يجاملون العلمانيين، ويتنازلون عن بعض ثوابت الشريعة!!.

وترفيهيةٍ مشروعةٍ من سياحيةٍ ورياضيةٍ وسواهما، وفنيَّةٍ كالمسرح، ومباريات الشعر وغير ذلك. مع ضرورة منحهم الثقة بأنفسهم، واستثمار نوازعهم الفطرية وعاطفتهم الدينية في الطريق السويِّ. وفي ذات السياق والحديث عن تواصل النخبة مع الفئة الشبابية، ينبغي التنويه إلى وجوب التعامل مع من تبنَّى العنف منهجاً، تعاملاً يتَّفق مع هديه ﷺ كالنصيحة والبيان والحوار والدلالة والإرشاد والإنكار، وهذا الأخير قد يصل إلى القتال من قِبَل حاكمٍ مسلمٍ، لا يدَّعي الإسلام ادِّعاءً فقط – فقد كثروا في زماننا هذا بعد أن مُنِيَت الأمَّة بهزائم نفسية وفكرية شتَّى وترى! – وصاحب عقيدة صافية معتمداً على اجتهادٍ جماعيٍّ ملتزم بالضوابط المقيِّدة للفتوى.

أخرج النسائيُّ في سننه مرفوعاً:" يخرج في آخر الزمان قوم كأنَّ هذا منهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع المسيح الدجال، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم هم شرُّ الخلق والخليقة "[٢٨٢]. ومقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان ﷺ هو وجهٌ من وجوه الممارسات الخاطئة في التاريخ الإسلاميِّ، ثم ما حصل من القتال بين المسلمين بعد ذلك، والمعضلة أنَّ ذلك كلَّه تمَّ تحت مظلَّة الحفاظ على الدين!.

[٢٨٢] سنن النسائيِّ: ٢ / ٣٥٣٢، وضعَّفه المحدِّث الألباني.

* تأسيس أكاديميةٍ خاصَّةٍ في بعض الدول الإسلامية الداعمة لدراسة الإسلام الوسطيِّ، ذات موقعٍ على الإنترنت، وتكفل إحدى الفضائيات شرح برامجها ومناهجها، ولها مجلَّة فصليةٌ على أدنى تقدير تدعو إلى الوسطية، وتدرس التحدِّيات المعاصرة للأمَّة، والسبل الصحيحة للوقوف أمامها، وتجدُرُ الإشارة هنا إلى أنَّ السبق إلى هذا كان لوزارة الأوقاف الكويتية، على أمل أن تحذو بعض الدول الأخرى ذات الخطوة. كما أقترح إنشاء مجمعٍ فكريٍ، فيه نخبةٌ من أهل الفكر لدراسة المذاهب المعاصرة والأفكار الدخيلة من لدن الآخر، والأفكار التي نبتت نشازاً في عقليتنا المسلمة وبيئتنا الحاضرة. والعمل على تأسيس فكرٍ متنورٍ يؤول إلى مشروعٍ نهضويٍّ يعود بالأمَّة إلى سالف عهدها من السؤدد والرفعة. ويتعيَّن علينا أن ندرك جميعاً أنَّ هذا المجمع هو بمثابة مرجعية للأمَّة في القضايا التي هي من اختصاص هذا المجمع المنشود، قال عبد الله بن مسعود ﷺ :" عليكم بتقوى الله وهذه الجماعة، فإن الله لا يجمع أمَّة محمَّد ﷺ على ضلالةٍ أبداً، وعليكم بالصبر حتى يستريح برٌّ أو يستراح من فاجرٍ "[٢٨٣].

* ملاحظة تفعيل مشاركة أهل الفكر والمعرفة في الندوات الحوارية، والمداخلات الإعلامية، وفي حال اعتذر هؤلاء فإنَّ الساحة قد حازها أناسٌ سواهم ممَّن لا

[٢٨٣] رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى، (١ / ٣١٣)، ط دار الراية، الرياض.

خَلاق لهم من الثقافة والفقه، وهذا الموقف السلبي لا يُحسدون عليه!. بيد أن ثمَّة ملاحظة هي من الأهمية بمكان، تجدر الإشارة من خلالها إلى الفخِّ الذي يقع فيه بعض رموز الفكر الإسلامي المعاصر، بين يدي استضافة قناة فضائية له في مناسبة ما، للحديث عن موضوع يدور حول مسألة الغلو، فغالباً تكون محاور اللقاء تدور حول أصل هذه المشكلة وصلتها بالخوارج، وأسباب هذه المشكلة، ومدى خطرها على الأمَّة، وما هي أهم الوسائل للحدِّ منها، وفي ذات الوقت فإنَّ محاوره الذي ينتمي لأسرة هذه الوسيلة الإعلامية، ملتزمٌ بالخطِّ العام للفكر المتوافق مع الجهة الداعمة للقناة، وهو بالطبع لا ينشغل البتَّة بمنهج أهل السنَّة والجماعة، بل تشغله أمورٌ أخرى يريد تثبيتها في مسامع المتابعين لحواره، ومستفيداً من حديث العالِم الرمز، ومستثمراً كلامه في تنفيذ أجندات الجهة التي تتبع لها القناة من مثل: أن معارضي النظام العلمانيِّ الحاكم من الإسلاميين يكفِّرون المسلمين، ولو كان الواقع غير ذلك. وتيَّار المعارضة هم من خوارج هذا الزمان، وأنهم هزيلو الخلق، ساقطة سلوكياتهم يتوجَّب على المسلمين استئصال شأفتهم!. وفي نهاية المطاف يجد هذا الرمزُ الضيفُ على البرنامج، أنه قد أدَّى خدمةً جليلةً للنظام العلماني، وأضفى صفة الشرعية على حاكم مستبدٍّ، وذلك من خلال الكليَّات الشرعية التي تحدَّث بها هذا العالِم الضيف على البرنامج. وهنا تبرز مكاسب للنظام الحاكم، فهو يرضي جمهرة المتدينين باستضافة رمز من رموزهم، ويلبس لبوس الديموقراطية

الشمطاء، وُيشغِل الملتزمين بالمنهج الإسلامي بقضايا جزئية تصرفهم عن الحقائق الشرعية الكبيرة!. لكن هذه اللعبة لا تنطلي على الشريحة الواعية من الشباب المسلم، فتحدث فجوة بينهم وبين الرمز المشارك على الشاشة المرئية، وتُحدِث خلافاً فكرياً بين محبِّي هذا الرمز، مرشحاً أن يودي هذا الخلاف بهم إلى صراع لا تحدُّه حدود. وهذا ما يتطلَّع إليه النظام العلمانيُّ الحاكم، فليتنبَّه إلى فداحة هذا الخطأ المسلكيِّ عند أهل الدعوة، والذي من خلاله يجد بعض الدعاة أنَّ لهم نصيباً من التضليل الفكري لأفراد الأمَّة أثبتوا ذلك أم نفوه، فلا محيص من وجوده على أرض الواقع!!.

من المفترض أن يكون علماء الأمَّة الذين رفضوا المهادنة والمداهنة للسلطة وأبنائها، هم القادة الدائمون للأمَّة فكراً وتقويماً للمسار، وأن يتمتعوا بالسلطة وبالقرار النافذ المعبِّر عن رأي الأمة وضميرها، وأقلُّ ما يقال فيها أنها سلطةٌ أدبيةٌ، على القادة المؤقتين الذين أمسكوا بزمام القيادة السياسية. وفي حال عجزوا عن أن يمسكوا بتلابيب الدخول إلى دوائر اتخاذ القرار، فإن مسؤوليتهم في هذه المرحلة توجيه الفرد المسلم توجيهاً متناغماً مع أحكام الشريعة ومقاصدها؛ وصولاً إلى ترسيخ الانضباط المنهجيِّ على أنه جزء أصيل من نسيج حياة الفرد المسلم.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أتاه رجلان فى فتنة ابن الزبير فقالا: إنَّ الناس قد ضيعوا، وأنت ابن عمر وصاحب النبيِّ ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟! فقال: يمنعني أن الله حرَّم دمَ أخي. فقالا: ألم يقل الله:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾ **البقرة: ١٩٣.**

فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة، وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة، ويكون الدين لغير الله[٢٨٤].

* إنعاش الثقافة الإسلامية، وليس كما اقترح بعض [بني علمان] على الأنظمة إضعافها، والواقع أثبت لنا خطأ ما أشاروا إليه، ولنأخذ مصر مثلاً، فإنَّ قلَّةً ممَّن انتهج مسلك العنف هم من خريجي الجامعات الإسلامية، فثمَّة توازن معرفيٌّ إسلاميٌّ يحجب الآخرين عن طريق العنف. ومن دواعي هذا الإنعاش معرفة ما يتوجَّب على المسلم معرفته، وأضرب مثلاً من تأصيلات رجلٍ له باعٌ طويلٌ في تخريج وتحرير المسائل الشرعية، وهو الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وذلك في قوله:" فليُعلَم أنَّ الخروج على السلطة لا يجوز إلا بشروط بيَّنها النبيُّ ﷺ كما في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:" بايعنا رسول الله على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله"، قال:" إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان ". والخروج على السلطة له شروط، وهي:

---

[٢٨٤] أخرجه البخاريُّ، (٨/ ١٨٣ رقم ٤٥١٣).

الشرط الأول: أن تروا وأن تعلموا علماً يقيناً بأنَّ السلطة ارتكبت كفراً.
الشرط الثاني: أن يكون الذي ارتكبته السلطة كفراً، فأمَّا الفسقُ فلا يجوز الخروج عليهم بسببه مهما عظُم.
الشرط الثالث: بواحاً معلناً صريحاً لا يحتمل التأويل.
الشرط الرابع: عندكم فيه من الله برهان، أي مبنيٌّ على برهانٍ قاطعٍ من دلالة الكتاب والسنَّة أو إجماع الأمة. فهذه أربعة شروط.
والشرط الخامس يؤخذ من الأصول العامَّة للدين الإسلامي، وهو قدرة هؤلاء المعارضين على إسقاط السلطة.
وقال أيضاً رحمه الله:" فالذي أرى ألا نتعجَّل في هذه الأمور، ولا نثير، ولا نُفَجِّرَ ثورةً شعبيةً غالبها غوغائية لا تثبت على شيء، لو تأتي القوات إلى حيٍّ من الأحياء، وتقضي على بعضه لكان كل الآخرين يتراجعون عمَّا هم عليه ". انتهى كلامه يرحمه الله.
ويتعيَّن علينا في هذا المقام أن نعلم أنَّ الخروج على الحاكم، مسألة تكتنفها الكثير من المخاطر والمفاسد إن لم تنضبط بتأصيلٍ شرعيٍّ، ينصُّ على أنَّ الخروج على الحاكم لا يصحُّ من آحاد الناس، أو من مجموعةٍ من عامَّة الناس، بل هو من حقِّ أهل الحلِّ والعقد، فهم الجهة الوحيدة المخوَّلة بعزل الحاكم. وفي مسائل فقهيةٍ هي في المقام الأدنى ليس لآحاد المسلمين ولوج باب الحسبة فيها، فكيف بالخروج على رأس الهرم في المجتمع!!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية:" وليس لأحدٍ أن يزيل المنكر بما هو أنكر منه، مثل أن يقوم واحد من الناس يريد أن يقطع يد السارق أو يجلد الشارب ويقيم الحدود؛ لأنه لو فعل ذلك لأفضى إلى الهرج والفساد، لأنَّ كلَّ واحدٍ يضرب غيره يدَّعي أنه يستحق ذلك، فهذا ينبغي أن يُقتصَرَ فيه على وليِّ الأمر"[٢٨٥].

" روى الدّارميُّ من طريق سليمان بن يسار، قال: قدم المدينة رجل يقال له صبيغ ابن عسل، [بوزن عظيم وآخره مهملة]، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فأرسل إليه عمر فأعدَّ له عراجين النخل، فقال: من أنت؟ قال: أنا عبد اللَّه صبيغ، قال: وأنا عبد الله عمر، فضربه حتى أدمى رأسه، فقال: حسبك يا أمير المؤمنين، قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي. وأخرجه من طريق نافع أتمّ منه، قال: ثم نفاه إلى البصرة، وأخرجه الخطيب وابن عساكر من طريق أنس، والسائب بن زيد، وأبي عثمان النهدي مطولاً ومختصراً. وفي رواية أبي عثمان: وكتب إلينا عمر: لا تجالسوه. قال: فلو جاء ونحن مائة لتفرَّقنا.

[٢٨٥] انظر مقال: قواعد مهمَّة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د. حمُّود بن أحمد الرحيلي، مجلَّة جامعة أمِّ القرى، (٤ / ٢٨).

وروى إسماعيل القاضي في الأحكام، من طريق هشام عن محمَّد بن سيرين[٢٨٦]، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى: لا تجالس صبيغاً واحرمه عطاءه. وروى الدارميُّ في حديث نافع أنَّ أبا موسى كتب إلى عمر أنه صلُح حاله فعفا عنه "[٢٨٧].

ومن ناحية أخرى فنحن نقرُّ بلا ريب أنَّ طريق المسلم تكتنفه المخاوف، وفي البيان السابع عشر من سورة لقمان إشارةٌ على لسان لقمان الحكيم وبين يدي توجيهه لابنه، أنَّ المصاب سينزل مع إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويأتي تأصيل أسلافنا العلماء من أهل التحقيق على أنه مع وجود الأذى الخفيف لا يمنع المسلم من إزالة منكر يشهده، لكن مع تجاوز هذا الحدَّ من الأذى فيسقط التكليف به. قال رسول الله ﷺ:" لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه يتعرَّض للبلاء لما لا يطيق "[٢٨٨]. وعن أبي إسحاق، قال:

---

[٢٨٦] هو محمَّد بن سيرين، البصريُّ، الأنصاريُّ بالولاء، أبو بكر، إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. تابعيٌّ. من أشراف الكتَّاب. مولده، ووفاته في البصرة. نشأ بزَّازاً، في أذنه صممٌ. وتفقَّه، وروى الحديث، واشتهر بالورع، وتعبير الرؤيا. واستكتبه أنس بن مالك بفارس. وكان أبوه مولى لأنس. ينسب له كتاب:" تعبير الرؤيا "، وهو غير " منتخب الكلام في تفسير الأحلام " المنسوب إليه أيضاً، وليس له. وافته المنيَّة سنة ١١٠ هـ. انظر الأعلام، للزركلي، (٦ / ١٥٤)، مرجع سابق.

[٢٨٧] الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (٣/ ٣٧١)، مرجع سابق.

[٢٨٨] صحيح الجامع الصغير، (٢ / ١٦٩).

حدَّثني عمرو بن ميمون، أنَّ عبد الله بن مسعود ﷺ حدَّثه أنَّ النبيَّ ﷺ كان يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، إذ قال بعضهم لبعض: أيُّكم يجيءُ بسلى جزور بني فلان، فيضعُه على ظهر محمَّد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجاء به، فنظر حتى سجد النبيُّ ﷺ، وضعه على ظهره بين كتفيه، وأنا أنظر لا أغني شيئاً، لو كان لي منعة، قال: فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم على بعض، ورسول الله ﷺ ساجدٌ لا يرفع رأسه، حتى جاءته فاطمة، فطرحت عن ظهره، فرفع رسول الله ﷺ رأسه ثم قال: اللهم عليك بقريش، ثلاث مرات، فشقَّ عليهم إذ دعا عليهم، قال: وكانوا يرون أنَّ الدعوة في ذلك البلد مستجابةٌ، ثم سمَّى: اللهم عليك بأبي جهل، وعليك بعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وعدَّ السابع فلم يُحفَظ، قال: فو الذي نفسي بيده، لقد رأيت الذين عدَّ رسول الله ﷺ صرعى، في القليب، قليب بدر "[٢٨٩]. قلت: في الحديث دليلُ على أنَّ العاجز عن دفع الظلم معذور، لأنَّ ابن مسعود ﷺ عَّبر عن نفسه بأنَّه ينظر إلى هذه المظلمة ولا يستطيع دفعها. وتغدو المخاطرة بالنفس المشار إليها في حديث: أفضل الجهاد كلمة عدلٍ[٢٩٠]، وفي رواية: حقٍّ عند

[٢٨٩] أخرجه مسلم في الجهاد والسيَر، رقم ١٧٩٤.

[٢٩٠] السلسلة الصحيحة للألباني، (١ / ٨٨٦).

سلطان جائر. وحديث:" سيِّد الشهداء حمزة[٢٩١] بن عبد المطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله "[٢٩٢]. تغدو على سبيل الندب. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" والحجَّة على العباد إنما تقوم بشيئين: بشرط التمكُّن من العلم بما أنزل الله، والقدرة على العمل به، فأمَّا العاجز عن العلم كالمجنون أو العاجز عن العمل، فلا أمر عليه ولا نهي "[٢٩٣]. وقال القرطبيُّ رحمه الله:" أجمع المسلمون فيما ذكر ابن عبد البرِّ، أنَّ المنكر واجبٌ تغييرُهُ على كلِّ من قدِرَ عليه، وإنه إذا لم يلحقه بتغييره إلا اللوم الذي لا يتعدَّى إلى الأذى، فإنَّ ذلك لا يجب أن يمنعه من تغييره؛ فإن لم يقدر فبلسانه، فإن لم يقدر

---

[٢٩١] هو حمزة بن عبد المطلب بن هاشم. أبو عمارة، من قريش: عمُّ النبيِّ ﷺ، وأحد صناديد قريش وسادتهم في الجاهلية والإسلام. ولد ونشأ بمكَّة. وكان أعزَّ قريش وأشدَّها شكيمةً. ولما ظهر الإسلام تردَّد في اعتناقه، ثم علم أنَّ أبا جهل تعرَّض للنبيِّ ﷺ، ونال منه، فقصده الحمزة وضربه وأظهر إسلامه، فقالت العرب: اليوم عزَّ محمَّد، وإن حمزة سيمنعه. وكفُّوا عن بعض ما كانوا يسيئون به إلى المسلمين. وهاجر حمزة مع النبيِّ ﷺ إلى المدينة، وحضر وقعة بدر وغيرها. قال المدائنيُّ: أول لواء عقده رسول الله ﷺ كان لحمزة. وكان شعار حمزة في الحرب: ريشة نعامة يضعها على صدره، ولما كان يوم بدر قاتل بسيفين، وفعل الأفاعيل، وقتِل يوم أحد فدفنه المسلمون في المدينة، وكان ذلك سنة ٣هـ، وانقرض عقِبُهُ. انظر الأعلام، للزركلي، (٢/ ٢٧٨)، مرجع سابق.

[٢٩٢] السلسلة الصحيحة للألباني، (١ / ٧١٦).

[٢٩٣] مجموع الفتاوى لابن تيمية، (٢٠ / ٥٩)، مرجع سابق.

فبقلبه ليس عليه أكثر من ذلك. وإذا أنكر بقلبه فقد أدَّى ما عليه إذا لم يستطع سوى ذلك. قال: والأحاديث عن النبيِّ ﷺ في تأكيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً، ولكنها مقيَّدة بالاستطاعة "[٢٩٤]. ومثل ما يخاف يخاف المحتسب على نفسه من تبعات الإنكار باليد فيسقط التكليف عنه، فإنَّ ذات الخوف يندرج إلى أهله وجيرانه. فيسقط التكليف عن المحتسب أيضاً. قال السفاريني[٢٩٥] رحمه الله:" فإن خاف على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال، ونحو ذلك من الأذى، أو خاف مثل ذلك على أهله وجيرانه سقط وجوب الإنكار، وقد نصَّ على ذلك

---

[٢٩٤] تفسير القرطبي، (٤ / ٤٨)، مرجع سابق.

[٢٩٥] هو محمَّد بن أحمد بن سالم، السفارينيُّ، شمس الدين، أبو العون: عالمٌ بالحديث والأصول والأدب، محقِّقٌ. ولد في سفارين (من قرى نابلس)، ورحل إلى دمشق فأخذ عن علمائها. وعاد إلى نابلس فدرَّس وأفتى، وتوفي فيها سنة ١١٨٨هـ. من كتبه:(الدراري المصنوعات في اختصار الموضوعات)، و (كشف اللثام، شرح عمدة الأحكام)، و (القول العليُّ لشرح أثر الإمام عليٍّ)، و (الملَحُ الغراميةُ) في شرح قصيدة: غرامي صحيح، و (غذاء الألباب، شرح منظومة الآداب)، و (لوائح الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية المضية في عقد أهل الفرقة المرضية)، شرح منظومة له في عقيدة السلف، و (تحبير الوفا في سيرة المصطفى)، و (التحقيق في بطلان التلفيق)، و (فتاوى متفرِّقة). الأعلام، للزركلي، (٦/ ١٤)، مرجع سابق.

الأئمة منهم: مالك بن أنس وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه[٢٩٦]، وغيرهم. قال الإمام أحمد: لا يُتعرَّض للسلطان فإنَّ سيفَه مسلولٌ. وقال ابن شبرمة[٢٩٧]: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد، يجب على الواحد أن

---

[٢٩٦] هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلَّد، الحنظليُّ التميميُّ المروزيُّ، أبو يعقوب ابن راهويه عالم خراسان في عصره. من سكان مرو – قاعدة خراسان – وهو أحد كبار الحفَّاظ. طاف البلاد لجمع الحديث، وأخذ عنه الإمام أحمد ابن حنبل، والبخاريُّ، ومسلمٌ، والترمذيُّ، والنسائيُّ، وغيرهم. وقيل في سبب تلقيبه " ابن راهويه " أنَّ أباه ولد في طريق مكَّة فقال أهل مرو: راهويه. أي:" ولد في الطريق ". وكان إسحاق ثقةً في الحديث. قال الدراميُّ: ساد إسحاق أهل المشرق، والمغرب بصدقه. وقال فيه الخطيب البغداديُّ: اجتمع له الحديث، والفقه، والحفظ، والصدق، والورع، والزهد. ورحل إلى العراق، والحجاز، والشام، واليمن. له تصانيف منها: " المسند ". استوطن نيسابور وتوفِّي بها سنة ٢٣٨ هـ. انظر الأعلام للزركلي، (١ / ٢٩٢)، مرجع سابق.

[٢٩٧] هو محمَّد بن عبد العزيز بن محمَّد بن عبد الله بن محمَّد بن إبراهيم بن مانع ابن شبرمة، الوهيبيُّ التميميُّ: فقيه، غزير المعرفة بالأدب، ملمٌّ بتاريخ نجد الحديث. ولد ونشأ في (عنيزة) من القصيم بنجد. ورحل في طلب العلم إلى (بريدة) فالبصرة سنة ١٣١٨هـ، فبغداد، واستقرَّ في الأزهر، بمصر فلازم دروس الشيخ محمد عبده، وعاد بعد وفاة الشيخ إلى دمشق فقرأ على شيخنا جمال الدين القاسمي. وانتقل إلى بغداد، فأكثر من ملازمة محمود شكري الآلوسي. ورجع إلى بلده (عنيزة) سنة ١٣٢٩هـ. ودعي للتدريس في البحرين سنة ١٣٣١هـ فأجاب. واستدعاه أمير قطر فولَّاه الإفتاء والوعظ والقضاء. ودعاه الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٣٥٨هـ فدَّرس في الحرم

يصابر فيه الاثنين، ويحرم عليه الفرار منهما، ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك. وأما مجرَّد خوف السبِّ أو سماع الكلام السيئ فلا يُسقِط الإنكار، نصَّ عليه الإمام أحمد، وإن احتمل الأذى، وقويَ عليه فهو أفضل ". ٢٩٨. فلا بدَّ هنا من النظر في المآلات، وتدبُّرٍ في العواقب.

قال سليمان بن علي الربعي[٢٩٩]: لما كانت فتنة ابن الأشعث[٣٠٠]، إذ قاتل الحجَّاج[٣٠١]، انطلق عقبة بن عبد الغافر، وأبو الجوزاء، وعبد الله بن غالب في

المكيِّ، وولِّي رئاسة محكمة التمييز بمكَّة. ثم عُيِّن مديراً للمعارف بها، ورئيساً لهيئة تمييز القضاء الشرعيِّ. وطلب حاكم قطر من السعودية انتدابه للعمل فيها سنة ١٣٧٧هـ، ونقل إلى قطر فأقام فيها إلى أن مرض وسافر إلى بيروت، مستشفياً فتوفي بها سنة ١٣٨٣ هـ- ١٩٦٥م. له كتب مختصرة، منها مختصر عنوان المجد في تاريخ نجد، وسبل الهدى في شرح شواهد شرح قطر الندى، والكواكب الدرية على الدرَّة المضيَّة للسفاريني، في التوحيد، ورسالة في تحريم الإجارة على تلاوة القرآن، وإرشاد الطلاب إلى فضيلة العلم والعمل والآداب. انظر الأعلام، للزركلي، (٦/ ٢٠٩)، مرجع سابق.

[٢٩٨] لوامع الأنوار البهيَّة، (٢/ ٤٣٤)، السفارينيُّ الحنبليُّ، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، مؤسَّسة الخافقين ومكتبتها، دمشق.

[٢٩٩] هو سُلَيْمان بن عليٍّ، الربعيُّ الأزديُّ، أَبُو عكاشة البَصْرِيُّ. رَوَى عَن أنس بْن مالك، وأبي الجوزاء أوس بْن عَبد اللَّهِ الربعي، وبَكْر بن عَبد اللَّهِ المزني، والحسن البَصْرِيِّ وأَبِي المتوكل الناجي. روَى عَنه: حماد بْن زيد، وخالد بْن الحارث، وروح بْن عبادة، وسلام بْن مسكين، وسلام بْن أَبي مطيع، وعباد بْن العوام، وعبد الله بْن المبارك، ونوح بْن قيس الحداني الأزدي، ووكيع بْن الجراح، ويحيى بْن سَعِيد القطان، ويزيد بْن هارون،

وابنه أَبُو ذر بْن سُلَيْمان بْن علي الربعي. قال إسحاق بْن منصور، عَنْ يحيى بْن مَعِين: ثقة. وَقَال النسائيُّ: ليس به بأس. وذكره ابنُ حِبَّان في كتاب "الثقات". روى له مسلم، والنسائيُّ، وابن مَاجَهْ. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، (١٢/ ٤٧)، المزِّي، تحقيق: د. بشار عواد معروف، ط١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، مؤسَّسة الرسالة، بيروت.

[٣٠٠] هو محمَّد بن الأشعث بن قيسٍ، الكنديُّ، أبو القاسم: قائد من أصحاب مصعب بن الزبير. شهد معه أكثر وقائعه، وكان هو وعبيد الله بن علي بن أبي طالب، على مقدمة جيش مصعب، في حربه مع المختار الثقفي. وقتِل مع عبيد الله، قبل مقتل المختار بأيام، وكان ذلك سنة ٦٧هـ. وله رواية للحديث عن عائشة. الأعلام، للزركلي، (٦/ ٣٩)، مرجع سابق.

[٣٠١] هو الحجَّاج بن يوسف بن الحكم، الثقفيُّ، أبو محمَّد: قائد، داهية، سفَّاك، خطيب. ولد ونشأ في الطائف، وانتقل إلى الشام فلحق بروح بن زنباع فكان في عديد شرطته، ثم ما زال يظهر حتى قلَّده عبد الملك أمر عسكره، وأمره بقتال عبد الله بن الزبير، فزحف إلى الحجاز بجيشٍ كبيرٍ، وقتل عبد الله وفرَّق جموعه، فولاه عبد الملك مكَّة والمدينة والطائف، ثم أضاف إليها العراق، والثورة قائمةٌ فيه، فانصرف إلى بغداد في ثمانية أو تسعة رجال على النجائب، فقمَعَ الثورة وثبتت له الإمارة عشرين سنة؛ وبنى مدينة واسط بين الكوفة والبصرة. وكان سفَّاكاً سفَّاحاً باتفاق معظم المؤرخين. قال عبد بن شوذب: ما رؤي مثل الحجَّاج لمن أطاعه، ولا مثله لمن عصاه. وقال أبو عمرو ابن العلاء: ما رأيت أحداً أفصح من الحسن البصري والحجَّاج. وقال ياقوت في معجم البلدان: ذكِر الحجَّاج عند عبد الوهاب الثقفيِّ بسوء، فغضب وقال:" إنما تذكرون

طائفةٍ فدخلوا على الحسن، فقالوا: يا أبا سعيد ما تقول في قتال هذا الطاغية الذي سفك الدم الحرام، وأخذ المال الحرام، وترك الصلاة وفعل وفعل؟ قال: أرى أن لا تقاتلوه فإنها إن تكن عقوبةً من الله، فما أنتم برادِّي عقوبة الله بأسيافكم، وإن يكن بلاءً فاصبروا حتى يحكم الله، فخرجوا وهم يقولون: نطرح هذا العلج، قال: وهم قومٌ عرب، وخرجوا مع ابن الأشعث فقُتِلُوا[٣٠٢].

وعن الزبير بن عديٍّ[٣٠٣] قال:" أتينا أنس بن مالك ﷺ فشكونا إليه ما يلقون من الحجاج، فقال: اصبروا، فإنه لا يأتي زمان إلا والذي بعده أشرُّ منه حتى

المساوئ! أو ما تعلمون!: إنه أولُّ من ضرب درهما عليه: (لا إله إلا الله محمَّد رسول الله)، وأول من بنى مدينة بعد الصحابة في الإسلام، وأول من اتخذ المحامل، وأنَّ امرأة من المسلمين سبيت في الهند فنادت ياحجَّاجاه، فاتصل به ذلك فجعل يقول: لبيك لبيك! وأنفق سبعة آلاف درهم حتى أنقذ المرأة، واتخذ (المناظر) بينه وبين قزوين، فكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر إن كان نهاراً، وإن كان ليلاً أشعلوا نيراناً فتجرَّد الخيل إليهم، فكانت المناظر متصلةً بين قزوين وواسط، وأصبحت قزوين ثغراً حينئذٍ". وأخبار الحجَّاج كثيرة. مات بواسط، وأجري على قبره الماء، فاندرس. كانت وفاته سنة ٩٥هـ. الأعلام، للزركلي، (٢/ ١٦٨)، مرجع سابق.

[٣٠٢] تاريخ الإسلام للذهبي، (٢ / ٢٩٧)، مرجع سابق.

[٣٠٣] هو الزبير بن عديٍّ، العلامة، الثقة، أبو عديٍّ، الهمدانيُّ، اليماميُّ، الكوفيُّ، قاضي الريِّ. حدَّث عن: أنس بن مالك، وأبي وائل شقيق، والحارث الأعور، وإبراهيم النخعي، ومصعب بن سعد. وحدَّث عنه: مالك بن مغول، ومسعر، وسفيان الثوري،

تلقوا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ وقد فسَّر الشريَّة المطلقة في الحديث ابن مسعود ﷺ بأنَّها قلة العلم بذهاب العلماء ، فذكر ابن حجر في شرحه للحديث في فتحه عن زيد بن وهب، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول:" لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شرٌّ من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاء من العيش يصيبه ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقلُّ علماً من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر فعند ذلك يهلكون "[٣٠٤].

قال أحمد بن حنبل لقومٍ أخذوا على الواثق بالله[٣٠٥] لاستظهاره مقولة خلق القرآن! فقال لهم بعد أن ناظرهم ساعةً:" عليكم بالنكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا

وبشر بن الحسين، وجماعة. وثَّقه: أحمد، وكان فاضلاً، صاحب سنَّة. قال العجلي: ثقة، ثبت، من أصحاب إبراهيم. يقال: مات سنة إحدى وثلاثين ومائة. سير أعلام النبلاء، (٦/ ١٥٧)، مرجع سابق.

[٣٠٤] فتح الباري شرح صحيح البخاريِّ، ابن حجر العسقلاني، (١٣ / ٢١)، مرجع سابق.

[٣٠٥] هو هارون الواثق باللَّه، ابن محمَّد المعتصم باللَّه، ابن هارون الرشيد العباسي، أبو جعفر: من خلفاء الدولة العباسية بالعراق. ولد ببغداد، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٢٢٧هـ، فامتحن الناسَ في خلق القرآن. وسجَنَ جماعةً، وقتل في ذلك أحمدَ بن نصر الخزاعيَّ بيده، سنة ٢٣١؛ قال أحد مؤرخيه: كان في كثيرٍ من أموره يذهب مذهب المأمون، وشغل نفسه بمحنة الناس في الدين، فأفسد قلوبهم. ومات في سامرا، قيل بعلّة

يداً من طاعة، ولا تشقُّوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم واصبروا حتى يستريح برٌّ أو يستراح من فاجر "[٣٠٦]. وقال في موضع آخر عندما سأله أبو الحارث الصائغ[٣٠٧]:" يا أبا عبد الله، ما تقول في الخروج مع هؤلاء القوم الذين همُّوا بالخروج في أمر كان قد حدث في بغداد؟ فأنكر ذلك عليهم، وجعل يقول: سبحان الله! الدماء

الاستسقاء سنة ٢٣٢هـ. وقال ابن دحية: كان مسرفاً في حبِّ النساء، ووصف له دواء للتقوية، فمرض منه، وعولج بالنار، فمات محترقاً. وأورد (في النبراس) تفصيل احتراقه، وخلافته خمس سنين وتسعة (أو ستَّة) أيام. وكان كريماً عارفاً بالآداب والأنساب، طروباً يميل إلى السماع، عالماً بالموسيقى، وكان كثير الإحسان لأهل الحرمين، حتى قيل: إنه لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل ". الأعلام، للزركلي، (٨/ ٦٢)، مرجع سابق.

[٣٠٦] انظر سنوات الحنابلة لعلي آل بابطين، (١ / ٦٠).

[٣٠٧] هو أحمد بن محمَّد، أبو الحارث الصائغ: من أصحاب أحمد بن حنبل. أكثرَ روايةَ المسائل عنه. حدَّث عن عبد العزيز بن جعفر قال: أخبرنا أبو بكر الخلال، قال: وأبو الحارث الصائغ أحمد بن محمَّد من أصحاب أبي عبد الله، كان أبو عبد الله يأنس به، وكان يقدمه، ويكرِّمه، وكان له عنده موضع جليل. وروى عن أبي عبد الله مسائل كثيرة جدًّاً، بضعة عشر جزءاً، وجود الرواية عن أبي عبد الله. تاريخ بغداد وذيوله، (٥/ ٣٣٦)، الخطيب البغداديُّ، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١، ١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

الدماء، لا أرى ذلك ولا آمر به، الصبر على ما نحن فيه خيرٌ من الفتنة، يُسفك فيها الدماء، ويُستباح فيها الأموال، ويُنتهَك فيها المحارم ".

والدولة الإسلامية هي التي تقوم على حراسة الدين وسياسة الدنيا به، وحظُّها من الشرعية بقدَر ما تطبِّق من الدين وتحمل الأمَّة عليه؛ وفي حال افترق السلطان عن القرآن فهذا منكر عظيم للمسلم موقف منه، بيد أنَّ هذا الموقف منضبطٌ بأحكام الشريعة وفقه الموازنات والمقاصد والمآلات من حاد عنها وتجاهل فقه الحسبة فهو من أهل الغلوِّ بلا منازع.

ومن هنا فإنَّ من واجب الدعاة المجاهدين الملتزمين بفقه الحسبة، ومن واجب العلماء الربانيين، الصدع بالحقِّ، ودعوة أولي الأمر إلى نبذ القوانين المخالفة للشريعة، ودعوة المتحمِّسين والمتعجِّلين من شبابنا المسلم الالتزام بضوابط الشريعة التي تدرأ مفسدة كبرى وتردُّ منكراً هو أكبر من المنكر القائم والمستهدف بالمحاربة.

* على التيَّارات الإسلامية التي ركبت مركب العنف، أن تدرك أنَّ خيارهم هو في المكان الخطأ، خاصَّة في ظلِّ اختلال موازين القوة بينها وبين الأنظمة الحاكمة. ولقد " صبر المسلمون على إيذاء قريش، فما ردَّ المسلمون على حادث تعذيب المجاهدة سميَّة[٣٠٨] وعائلتها، بينما جهَّز الرسول الكريم ﷺ

[٣٠٨] هي سميَّة بنت خبَّاط: صحابية. كانت من أوائل الذين أظهروا الإسلام بمكَّة، قيل: هم: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وبلال، وخباب، وصهيب، وياسر، وزوجته سميَّة،

جيشاً كاملاً بعد اعتداء اليهود على حرمة المرأة المسلمة في المدينة المنورة، ذلك لأنَّ الحدث الأول كان والمسلمون ليس لهم دولة تحميهم، فمن الضرر المحتَّم إشعال الصدام مع المجتمع الجاهلي، بينما كانت الحالة الثانية بعد وجود دولةٍ إسلاميةٍ ذات مؤسَّساتٍ عسكريةٍ وإعلاميةٍ، فكان التنادي للجهاد وإنجاز الهدف، والأمَّة الإسلامية وأجيالها الناشئة عندما لا تفرِّق بين المراحل فتتَّخذ لكل مرحلةٍ فقهاً سياسياً محدَّداً عندها ستحدث الكارثة، وما تعيشه الساحة الفكرية الإسلامية لشاهدٌ عمليٌّ على هذا الارتباك، فقد سعى كثيرون لتطبيق فقه الدولة على مجموعاتٍ لا تمثِّل بالنسبة للإسلام إلا اجتهاداتٌ ووسائل مرحلية مع مجهوداتها المعتبرة، إلا أنَّ الإسلام يبقى أعظم وأسمى من كلِّ اجتهادٍ مرحليٍّ أو تجديدٍ زمنيٍّ، ومن أراد أن يجعل اجتهاده هو الإسلام، فقد نقله من

وابنهما عمار بن ياسر، وكانت في الجاهلية مولاة لأبي حذيفة ابن المغيرة، عمِّ أبي جهل، وكان أبو حذيفة حليفاً لياسر بن عامر، الكنانيُّ المذحجيُّ، فزوَّجه بها، فولدت له عماراً، على الرقِّ، فأعتقه ياسر. ولما كان بدء الدعوة إلى الإسلام، كانت سميَّة عجوزاً كبيرة، فأسلمت سراً، هي وزوجها وابنها، ثم جاهروا بإسلامهم، ولم يكن لهم من يحميهم، فعذَّبهم مشركو قريش، بأن ألبسوهم دراع الحديد، وأقاموهم في الشمس! وجاء أبو جهل، فطعن سمية بحربة!! فقتلها، وذلك نحو ٧ ق هـ، فكانت أول شهيدٍ في الإسلام. الأعلام، للزركلي، (٣/ ١٤٠)، مرجع سابق.

العالمية إلى الزمنية "[٣٠٩]. فهذا الخيار لجماعات العنف في الوقت الخطأ ينعكس على المبادئ ذاتها التي يحملونها. ويجعل من قطار الدعوة متأخراً عن الانطلاق، ولفترة طويلة كما حدَثَ في كثيرٍ من بلدان المسلمين فتعطَّلت أدنى مظاهر الالتزام بالإسلام خوفاً من بطش كلاب السلطان!!.

* تشكيل جبهةٍ فكريةٍ معرفيةٍ تشارك فيها أطراف القوى الوطنية، من أهل السياسة والفكر والإعلام والثقافة والفنِّ، على أن تتَّسم بصفة الاعتدال والنزاهة من الارتباط بقوىً خارجيةً، وتكون مرجعيتها هويَّة هذه الأمة، ولأفراد هذه الجبهة التي هي غالبية أطياف المجتمع المدنيِّ صلة بأصحاب القرار في المجتمع. مع ضرورة منح هذه الجبهة صلاحياتٍ كاملة في اتِّخاذ مواقفَ إزاء القضايا الساخنة في العالم، بعد سلسلةٍ من الحوارات الهادئة، على أن يكون الهدف الأسمى من هذه النشاطات، هو استنقاذ الأمَّة من وقوعها في الهاوية. وتعاضداً مع هذا العمل أشير هنا إلى ضرورة تبنِّي الأحزاب السياسية برامج لمعالجة قضية الإرهاب، والإرهاب المضادِّ.

* استقلالية المؤسَّسة الدينية عن الدولة التي تبنَّت العلمانية منهجاً في حكمها، والعلَّة في ذلك خروجها من أسر التبعية للسلطان، وللجهة المانحة للرواتب والحوافز والعلاوات. فتُتخذ المواقف تبَعاً للنصوص على طبيعتها، لا

---

[٣٠٩] الفقه السياسيُّ الإسلاميُّ، د. خالد سليمان الفهداوي، ص٢٢٥، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٥م.

حاجة حينئذٍ للليِّ أعناقها كما هو الحال الآن في كثير من بلدان المسلمين. وتعود هذه المؤسَّسة بمثابة مرجعية دينية موثوقة من قبَل الجماهير، وبالتالي تعمل هذه المرجعية على تخريج دعاة ناشطين متفهمين لدينهم، وذلك من خلال دورات تأهيلية.

* إنفاذ المصالحة بين الأنظمة وبين التيَّارات الإسلامية، بعد إعطائها هامشاً مقبولاً من الحريات، وإلا فالبديل هو العمل السريُّ، الذي غالباً ما يكون مصاحباً معه المتاعب للتنظيم وللسلطة في آنٍ واحدٍ. ومن المفارقة اللافتة أنَّ بعض الأنظمة العربية تستجدي الآخرين لفتح بابٍ من الحوار مع إسرائيل، ومع بعض المغالين من الليبراليين الذين لا يألون جهداً في تشويه القيَم والمعتقدات، ومع رموز الإنجيليين الجدد في أميركا[٣١٠]، وفي الوقت ذاته يضعون خطَّاً أحمر أمام الحوار مع المتطرفين من المسلمين! وحتى مع الإسلاميين المعتدلين! خوفاً من إثارة حفيظة القوى الغربية الحاقدة على الإسلام وأهله!!. مع العلم ومن خلال الواقع التاريخيِّ فقد كان الحوار مجدياً وفعَّالاً؛ شريطة أن

[٣١٠] هم معروفون الآن أكثر باسم: المحافظون الجدد، وهم مسيحيون متعصِّبون ومتأثِّرون بآراء القسيس[بيلي غراهام]، ويتحكَّمون بقرارات الدولة. هم بالأصل بروتستانت، ويشكِّلون ربع أعضاء الكونغرس. يعملون على توفير المساعدات الخارجية، وعلى دعم إسرائيل، ويتشدَّقون بحقوق الإنسان، وإن كان لهم من صفةٍ إيجابيةٍ فهي دعمهم لبعض حركات التحرُّر في العالم.

يكون في الهواء الطلق، وليس من وراء القضبان كما هو الواقع في بعض الدول العربية التي ترفع راية الديمقراطية شعاراً لها!!. فكثيرٌ من الخوارج الأُوَل رجعوا عن بدعتهم بالمناظرة، ففي عهد عمر بن عبد العزيز ﷺ نوقشوا فرجع منهم ما يزيد على ألفي إنسان في مجلسٍ واحدٍ. وقبلهم رجع منهم على يد عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما لما أرسله عليُّ بن طالب للمناظرة، وفي مجلسٍ واحدٍ أكثر من أربعة آلاف إنسان؛ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:" لما اعتزلت حروراء، وكانوا في دار على حدتهم، قلت لعلي: يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة، لعلي آتي هؤلاء القوم فأكلمهم. قال: فإني أتخوفهم عليك، قال: قلت: كلا إن شاء الله، قال: فلبست أحسن ما أقدر عليه من هذه اليمانية، ثم دخلت عليهم، وهم قائلون في حرِّ الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قطُّ أشدَّ اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل، ووجوههم معلمة من آثار السجود، قال: فدخلت فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس، ما جاء بك؟ قال: جئت أحدِّثكم عن أصحاب رسول الله ﷺ، نزل الوحي وهم أعلم بتأويله، فقال بعضهم: لا تحدثوه، وقال بعضهم لنحدثنَّه. قال: قلت: أخبروني، ما تنقمون على ابن عمِّ رسول الله ﷺ وختَنِه وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله ﷺ معه؟ قالوا ننقم عليه ثلاثاً قلت: ما هنَّ؟ قالوا: أولهن أنه حكَّم الرجال في دين الله، وقد قال الله:

﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ﴾ الأنعام: ٥٧.

قال: قلت: وماذا؟ قالوا: وقاتل ولم يسْبِ ولم يغنم، لئن كانوا كفَّاراً لقد حلَّت له أموالهم، ولئن كانوا مؤمنين لقد حرِّمت عليه دماؤهم، قال: قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين! قال: قلت: أرأيتم إن قرأت عليكم من كتاب الله المحكم، وحدثتكم من سنَّة نبيكم ﷺ ما لا تنكرون أترجعون؟ قالوا: نعم. قال: قلت: أما قولكم إنه حكَّم الرجال في دين الله فإنه يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ ﴾ **المائدة: ٩٥.**

وقال في المرأة وزوجها:

﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ شِقَاقَ بَيۡنِهِمَا فَٱبۡعَثُواْ حَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهِۦ وَحَكَمٗا مِّنۡ أَهۡلِهَآ ﴾

النساء: ٣٥.

أنشدكم الله أحكم الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم، أحقُّ أم في أرنبٍ ثمنها ربع درهم؟ قالوا: اللهم في حقن دمائهم وصلاح ذات بينهم. قال: خرجتُ من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. وأما قولكم: إنه قاتل ولم يسْبِ ولم يغنم أتسبُون أمَّكم، أم تستحلِّون منها ما تستحلِّون من غيرها فقد

كفرتم، وإن زعمتم أنها ليست بأمِّكم فقد كفرتم، وخرجتم من الإسلام، إن الله ﷻ يقول:

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾ **الأحزاب: ٦.**

فأنتم تتردُّدون بين ضلالتين فاختاروا أيهما شئتم؟ أخرجتُ من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. قال: وأما قولكم: إنه محى نفسه من أمير المؤمنين، فإنَّ رسول الله ﷺ دعا قريشاً يوم الحديبية على أن يكتب بينه وبينهم كتاباً فقال: اكتب: هذا ما قاضى عليه محمَّد رسول الله. فقالوا: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب محمَّد بن عبد الله فقال: والله إني لرسول الله، وإن كذبتموني، اكتب يا علي: محمَّد بن عبد الله؛ فرسول الله ﷺ كان أفضل من عليٍّ، أخرجتُ من هذه؟ قالوا: اللهم نعم. فرجع منهم عشرون ألفاً، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا "[٣١١].

---

[٣١١] الموسوعة العقدية، ٧/ ٤٧٩، موقع الدرر السنية على الشبكة العنكبوتية، والحديث رواه النسائيُّ في السنن الكبرى: (٥/ ١٦٥) (٨٥٧٥)، والطبرانيُّ: (١٠/ ٢٥٧) (١٠٦٢٠)، والحاكم: (٢/ ١٦٢)، والبيهقي: (٨/ ١٧٩) (١٦٥١٧). قال الحاكم: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبيُّ، وقال ابن تيمية في منهاج السنَّة: (٨/ ٥٣٠): إسناده صحيحٌ، وقال الهيثميُّ في مجمع الزوائد: (٦/ ٢٤٢): رواه الطبرانيُّ وأحمد ببعضه، ورجالهما رجال الصحيح.

* التعرُّف على أدبيات أهل الغلو، وتفنيد آرائهم، والردِّ على شبهاتهم، وأصحابها وبكل تأكيد قد قفزوا على الحواجز، فلم يتبينوا الأبيض من الأحوى، ولم يميِّزوا المنطوق من الفحوى! والردُّ يكون من أهل الاختصاص حملة الدراسات الشرعية، الذين اشتهروا بين المسلمين على أنَّ لهم باعاً كبيراً في فهم النصوص وتحقيق المناط، ومقتضيات الألفاظ كما هي عند محمَّد بن إدريس[٣١٢] والخليل[٣١٣] وسيبويه[٣١٤]، مع النظر إلى المقاصد كما دونها الشاطبيُّ

---

[٣١٢] هو محمَّد بن إدريس، الشافعيُّ القرشيُّ المطَّلبيُّ، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد في غزة، وحُمِل منها إلى مكَّة، وهو ابن سنتين. وزار بغداد مرتين. وقصد مصر سنة ١٩٩هـ فتوفي بها سنة ٢٠٤ هـ، وقبره معروف في القاهرة، قال الإمام ابن حنبل:" ما أحدٌ ممَّن بيده محبرةٌ، أو ورقٌ إلا وللشافعيِّ في رقبته منَّةٌ ". وكان من أحذق قريشٍ بالرمي، برع في ذلك أولاً كما برع في الشعر، واللغة، وأيام العرب، ثم أقبل على الفقه، والحديث، وأفتى وهو ابن عشرين سنة. له تصانيفُ كثيرةٌ، أشهرها كتاب:" الأم " في الفقه، و" المسند " في الحديث، و " الرسالة "في أصول الفقه، وغيرها. انظر الأعلام، للزركلي، (٦ / ٢٦)، مرجع سابق.

[٣١٣] هو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، الفراهيديُّ الأزديُّ اليحمديُّ، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى، وكان عارفاً بها. وهو أستاذ سيبويه النحويِّ. ولد ومات في البصرة، وعاش فقيراً صابراً. كان شعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغموراً في الناس لايعرف. قال النَّضْر بن شُمَيْل: ما رأى الراءون مثل الخليل، ولا رأى الخليل مثل نفسه. له كتاب (العين) في اللغة، و (معاني الحروف)، و (جملة آلات العرب)، و

وابن عاشور[٣١٥]؛ ومن هنا نلاحظ ردود علماء السلف على من شذَّ عن الجادَّة، ثمَّ إنَّ التوافق في المنهج وفي قواعد الاستدلال، هو السبب في التقاء

(تفسير حروف اللغة)، وكتاب (العروض)، و (النقط والشكل)، و (النغم)، وفكَّر في ابتكار طريقة في الحساب تسهله على العامة، فدخل المسجد وهو يعمل فكره، فصدمته سارية وهو غافل، فكانت سبب موته. والفراهيدي نسبة إلى بطن من الأزد، وكذلك اليحمدي. وافته المنيَّة سنة ١٧٠ هـ. انظر الأعلام، للزركلي، (٢/ ٣١٤)، مرجع سابق.

[٣١٤] هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقّب سيبويه. إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. ولد في إحدى قرى شيراز، وقدِمَ البصرة ، فلزم الخليل بن أحمد ففاقهُ. صنَّف كتابه المسمَّى: " كتاب سيبويه " في النحو، لم يصنع قبله ، ولا بعده مثله. ورحل إلى بغداد ، فناظر الكسائي. وأجازه الرشيد بعشرة آلاف درهم. وعاد إلى الأهواز فتوفي بها. كان في لسانه حبسةٌ. و " سيبويه " بالفارسية رائحة التفاح. وكان أنيقاً جميلاً، توفي شابَّاً سنة ١٨٠هـ. الأعلام، للزركلي، (٥/ ٨١).

[٣١٥] هو محمَّد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عيِّن عام ١٩٣٢م، شيخاً للإسلام مالكياً. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنَّفات مطبوعة، من أشهرها:(مقاصد الشريعة الإسلامية)، و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، صدر منه عشرة أجزاء، و (الوقف وآثاره في الإسلام)، و (أصول الإنشاء والخطابة)، و (موجز البلاغة)، ومما عني بتحقيقه ونشره:

الخوارج السابقين مع أقرانهم في عصرنا الراهن، مع ضرورة التنبُّه إلى دراسة نشأة الجماعة التي تأثَّر أبناؤها بالغلو، والظروف التي رافقت باكورة وجودها على أرض الواقع، والبيئة الحاضنة لها، والتي كانت مصدراً لها في تصوراتها؛ قال الله ﷻ: ﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ **النمل: ٤٣.**

ممَّا يساعدنا كثيراً على معرفة الأسباب الحقيقية وراء ظهور هذا النوع من الفكر المتشدِّد! وكذا دراسة السياق التاريخي لأيِّ حدَثٍ يقع، يفيدنا في امتلاك تصور كامل عن موضوع الدراسة؛ وعلماء المنطق والأصوليون يقولون: الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره، وفي بيان سورة يونس ما يدلِّل على هذا المعنى، قال الله ﷻ:

﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ **يونس: ٣٩.**

لقد عنِيَ القرآن الكريم بالاعتبار لما آل إليه حال الأمم السابقة، وسنن الله تعالى ثابتةٌ، لا تتبدَّل، ولا تتغيَّر، ولا تتخلَّف، ولا تحابي أحداً، يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه:" إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة، إذا نشأ في الإسلام مَن لا يعرف الجاهلية "[٣١٦].

(ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيراً في المجلات. وافته المنيَّة سنة ١٣٩٣هـ. الأعلام، للزركلي، (٦/ ١٧٤).

[٣١٦] مدارج السالكين، ابن قيِّم الجوزية، (١/ ٣٤٣)، مرجع سابق.

ولا يمكننا في حالٍ من الأحوال أن نعيب على الآخرين عدم امتلاكهم منهجاً علمياً منضبطاً، ثمَّ نقع بين يدي الردِّ عليهم في ذات الإشكال.

* تحسين العلاقة بين المؤسَّسات الدينية، وبين الحركات الإسلامية، وبناء جسورٍ من الثقة، والتعاون بينهما، مع ملاحظة أن يعلم كلُّ طرفٍ أنه مستكملٌ لما يقوم به الطرف الآخر، في جوٍّ من الاحترام والتقدير، وعدم منازعة الأمر أهله. والكلُّ يعمل جاهداً بالقاعدة الذهبية، للسيِّد محمَّد رشيد رضا: نعمل فيما اتفَّقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، وأضاف بعض الأفاضل عليها: ونتحاور فيما اختلفنا فيه. وقد ورد في البيان التأسيسيِّ لحركة النهضة التونسية، وفي بندها الثاني عشر: توثيق علاقات الأخوة والتعاون مع المسلمين كافَّة.

* قراءة الكتابات التي تتميَّز بالعمق والأصالة، والتي ألقت الضوء على مستوى التحرير والتنوير، والدراسة والتحليل، لهذه المشكلة، وتوسَّعت توسعاً شاقولياً في تفنيدها، أو عالجت بعض جوانبها، وكذا بعض مظاهرها، ومقومات وجودها، لمعرفة سبل الخروج منها، وطرق التحصين منها. وليس من نافلة القول أن أشير إلى ضرورة الإستفادة من علماء النفس، ومن الدراسات السيكولوجية لبعض أصحابها، خاصَّة ممَّن وقعوا في شباك فكر الغلو، للكشف عن المؤثِّرات النفسية التي أفرزت جانب الغلوِّ عند أصحابه.

* ضرورة العمل من قِبَل حكام المسلمين، على إيجاد كتلةٍ اقتصاديةٍ واحدةٍ، تتحرَّر بعدها من الهيمنة للقوى الكبرى، والتي بدورها تُحدِث احتقاناً عند الإسلاميين، قد يسحب من أيديهم المِقوَد والمكابح معاً.

* تفعيل نظام الحسبة على الغلاة، على أن تنضبط بضوابط الشريعة، ووفق محاكمَ شرعيةٍ بإشراف الثقات من العلماء، بعد إقامة الحجَّة عليهم من خلال توعيتهم وحوارهم ومنحهم فرصةً للنظر في مآلات أفعالهم، وكذا دحض الشبهات التي أشربت بها أفكارهم، وتزويدهم بالكتب التي تنير طريق السالكين إلى الله جلَّ وعلا[٣١٧].

* على الأنظمة الحاكمة العملُ على إلغاء حالة القابلية للعنف، بمعنى ملاحقة أسبابه في مكامنها ومحاضنها، والتدليل على أنَّ معالجة العنف بالعنف ليس إلا صبَّاً للزيت على النار، أو على أحسن تقدير وألطفه، هو دوران في حلقة مفرغة كمن يريد أن يحصل على ماء من سراب، والتجربة تلو أختها، وعلى مدى المنظور القريب دلَّت على ذلك[٣١٨].

---

[٣١٧] شأن السلف ﷺ أنهم كانوا يناصحون المبتدعة، وينكرون عليهم أفعالهم، ولنا فيهم أسوةٌ حسنةٌ.

[٣١٨] أكَّد[ستيفن فلين] كبير خبراء الأمن الداخليِّ، لمجلس العلاقات الخارجية الأميركي:" أنَّ الحرب على الإرهاب أكَّد فشل خطط مواجهة الإرهاب ". وهو يعني المواجهة العسكرية.

* صلاح الحكام واقترابهم من شعوبهم، والنزول من بروجهم العاجية إلى قواعدهم، وعدم الثقة بالتقارير التي تصل إليهم من موظفيهم، أو على الأقل التحقُّق من محتواها، يقلِّل من العنف. عن عبد الله بن صالح قال: سمعت الليث بن سعد[٣١٩] يقول: لما قدمت على هارون الرشيد[٣٢٠] قال لي: يا ليث

---

[٣١٩] هو الليث بن سعد ابن عبد الرحمن، الفهميُّ بالولاء، أبو الحارث: إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقهاً. قال ابن تغري بردي:" كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته ". أصله من خراسان، ومولده في قلقشندة، ووفاته في القاهرة سنة ١٧٥ هـ. وكان من الكرماء الأجواد. قال الإمام الشافعيُّ:" الليث أفقه من مالك، إلا أن أصحابه لم يقوموا به". أخباره كثيرة، وله تصانيف. ولابن حجر العسقلاني، كتاب:" الرحمة الغيثية في الترجمة الليثية " في سيرته. الأعلام، للزركلي، (٥/ ٢٤٨)، مرجع سابق.

[٣٢٠] هو هارون الرشيد ابن محمَّد، المهديُّ ابن المنصور العبَّاسي، خامس خلفاء الدولة العبَّاسية في العراق، وأشهرهم. ولد بالريِّ، ونشأ في دار الخلافة ببغداد. وولاَّه أبوه غزو الروم في القسطنطينية، فصالحته الملكة [إيريني] وافتدت منه مملكتها بسبعين ألف دينار، تُبعَث له إلى خزانة الخليفة في كلِّ عام. بويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي، وازدهرت الدولة في أيامه. كان الرشيد عالماً بالأدب وأخبار العرب والحديث والفقه، فصيحاً، له شعر أورد صاحب " الديارات " نماذج منه، له محاضرات مع علماء عصره، شجاعاً كثير الغزوات، يحجُّ سنةً ويغزو سنةً، لم يُرَ خليفة أجودَ منه، وكان يطوف أكثر الليالي متنكِّراً؛ كانت وفاته رحمه الله سنة ١٩٣هـ. الأعلام للزركلي، (٨/ ٦٢)، مرجع سابق.

ما صلاح بلدكم؟ قلت: يا أمير المؤمنين صلاح بلدنا بإجراء النيل وإصلاح أميرها، ومن رأس العين يأتي الكرم، فإذا صفا رأس العين صفت السواقي، فقال: صدقت يا أبا الحارث! وهذا كقول عمر بن عبد العزيز: السوق يؤتى إليها ما يَنفُقُ فيها "[٣٢١].

والعدل كما يقول ابن تيمية رحمه الله:" واجب لكلِّ أحدٍ، على كلِّ أحدٍ، في كلِّ حالٍ، وإنما

أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب، ليقوم الناس بالقسط. قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ **الحديد: ٢٥.**

وقال تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾ **الشورى: ١٧.**

وقال تعالى:

﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ۝٧﴾ **الرحمن: ٧**."[٣٢٢].

---

[٣٢١] من أعلام السلف، أحمد فريد، (١٢/ ٧)، موقع الشبكة الإسلامية، على الشبكة العنكبوتية.

[٣٢٢] الصفدية، ابن تيمية، (٢/ ٣٢٧)، تحقيق: محمَّد رشاد سالم، ط٢، ١٤٠٦هـ، مكتبة ابن تيمية، مصر.

* إضفاء الشرعية على الحضور الاجتماعيِّ لرموز التيَّار المعتدل، وإلا فالبديل هو العمل السريُّ، الذي قد يفرز عناصر شبابيةً متحمِّسةً؛ لها اجتهاداتها الشخصية، التي لو عرضت على قياداتها الواعية، التي تحسِبُ لعواقب الأمور، وتمتنع عن عبور الجسر قبل بلوغه، والعالمة بحال الزمان والمكان، لكان مصير هذه الاجتهادات سلَّة المهملات!.

* التأكيد على قيَم التعايش، وحقِّ المواطنة وتعزيزها بكل الوسائل والسبُل، وللإعلام دورٌ هام في تقويتها ونشرها. قال الإمام الشهيد حسن البنَّا رحمه الله[٣٢٣]:" نحن قوم لا يزيدنا جهل الجاهل علينا إلا حلماً، ولا يخرجنا عدوان

[٣٢٣] هو حسن بن أحمد بن عبد الرحمن البنَّا: مؤسِّس جمعية (الإخوان المسلمين) بمصر، وصاحب دعوتهم. ولد في المحمودية (قرب الإسكندرية)، وتخرَّج بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، واشتغل بالتعليم، فتنقَّل في بعض البلدان متعرفاً إلى أهلها، مختبراً طباعهم وعاداتهم، واستقر مدرساً في مدينة الإسماعيلية، وخشي رجال السياسة في مصر اصطدامهم بهم، فحاولوا إبعادهم عن (السياسة)، فقام الشيخ يعرِّف الإسلام في إحدى خطبه الكثيرة، بأنه (عقيدة وعبادة ووطن وجنسية وسماحة وقوة وخلق ومادة وثقافة وقانون)، وحدثت كارثة فلسطين، فكانت (كتيبة) الإخوان المسلمين فيها، من أنشط الكتائب المتطوعة. لجأ رئيس الوزارة (محمود فهمي النقراشي) إلى إقفال أندية (الإخوان)، ومطاردة البارزين منهم، واعتقال الكثيرين، والتضييق على زعيمهم (البنَّا)، ثم اغتياله سنة ١٩٤٩ م، أمام مركز (جمعية الشبان المسلمين) في القاهرة، ليلاً فأطلقوا عليه رصاصهم وفرُّوا. ولم يجد البنا من يضمِّد جراحة، فتوفي بعد ساعتين. وكان خطيباً

الناس عن خطَّة الأناة والتشبث بالرفق، ونحن لا نكشف من ستر عنَّا خصومَته، ولا نهاجم إلا من أبدى صفحته، فعسى أن يثوب إلى رشده من قريب أو بعيد "[٣٢٤].

* تأسيس جهاز للرقابة على الإعلام الذي يمتلك أبواقاً تبالغ في توصيف الواقع، وتكيل بمكيالين أحياناً، ولديها خبرة وحذاقة في صنع أخبارَ تفتقر إلى الأمانة في النقل، وتعمل على توسيع دائرة الإرهاب، والواقع يثبت غير ذلك، وتوحي إلى أفراد المجتمع على أنَّ حصون الدولة مخترَقةٌ، وثمَّة مؤامرة تُحاك ضدَّها، ومن خارجها!. ومن المفارقة أنَّ هيئة الإذاعة البريطانية أجرت مقابلةً في فترةٍ سابقةٍ مع أحد زعماء الجماعة الإسلامية في مصر، وسجلت أجوبته وآرائه وبثَّتها للناس؛ ثم بعد ذلك بفترة أجرت مقابلة مع زعيم الأقباط البابا [شنودة] حول التطرُّف وقضايا أخرى. أما الإعلام العربي فمقصُّ الرقيب قد سلَّط سيفه على كل من اصطبغ بصبغة الإسلام!. فيأخذ جهاز الرقابة المنشود

فياضاً، ينحو منحى الوعظ والإرشاد، في خطبه، وتدور آيات القرآن الكريم على لسانه، منظَّماً، يعمل في هدوءٍ ويبني في اطمئنانٍ. له مذكِّرات نشرت بعد وفاته باسم: مذكرات الدعوة والداعية؛ وكُتب في سيرته: روح وريحان، من حياة داع ودعوة، لأحمد أنس الحجاجي. انظر الأعلام، للزركلي، (٢/ ١٨٣)، مرجع سابق.

[٣٢٤] حسن البنا، أنور الجندي، ص٨٣، دار القلم، بيروت.

بالعمل على تقويم هذا الاعوجاج القائم، وعلى تفنيد هذه الشبُهَات المطروحة بمنهجٍ علميٍّ بعيدٍ عن التقريع والتشهير.

* سنُّ قوانين صارمة في حقِّ الذين يتعدُّون على الثوابت الدينية، وفي حقِّ الذين يعملون على شقِّ الصفِّ، وإيجاد الشرخ بين أهل المعرفة والبيان، وبين صنَّاع القرار.

* لئن كانت التجارب التاريخية المكلفة قد أنهت، أو على الأقل قد حجَّمت العنف في أوربا، فينبغي أن يكون العقل وضوابط الشريعة، هما المؤثران في إنهائه عندنا. وأنا أهيب بالشابِّ المسلم الملتزم، والغيور على قضايا الدين أن يتحفَّظ عصمة لدينه ودمه ودماء إخوانه، على أن يقوده فهمه إلى أن يمثِّل الأمَّة، أو يكون بديلاً لمن يمثِّل الأمَّة، ولو كان ضمن مجموعة تتبنَّى العنف في أدبياتها، ظنَّاً منه أنَّه يعمل ضمن مشروعٍ يخدم نهضة الأمَّة!. وإذا به يتسبَّب في مشاكل لا يعلم مداها إلا الله.

* اختيار كوكبة من النخَب الثقافية التي تتَّمتع بمهارات الحوار، لإجراء مناظرات معلنة مع أصحاب الفكر المتشدِّد، وتجدر الإشارة إلى ضرورة بناء الحوار على القاعدة القرآنية:

﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ **سبأ: ٢٤.**

قال عبد الرحمن حبنَّكة رحمه الله معلِّقاً:" وفي هذا غاية التخلِّي عن التعصُّب لأمرٍ سابقٍ، وكمالُ إعلان الرغبة، نُشدانُ الحقيقة أنَّى كانت "[٣٢٥]. وينطلق هذا الحوار من أرضية تقييم الأجهزة الأمنية، على أنَّ المتطرِّفين مخطئين لا مجرمين، ومقولة عليٍّ ﷺ من الشهرة بمكان:" إخواننا بَغَوا علينا "، وكما أسلَفت، فعندما أرسل إليهم ابن عباس رضي الله عنهما ليحاورهم تقلَّص عددهم إلى النصف.

* التأكيد على معنى التسامح، وتعميقه في نفوس الشعوب برمَّتها، ومنهم المسلمون على أنَّه موقفٌ إيجابيٌّ، وثقافةٌ ساميةٌ تتلخَّص في الاعتراف بالحريِّات الأساسية للآخرين، وبالتالي لا يحقُّ لأيٍّ كان أن يفرض ثقافته وقناعاته على الآخرين، ممَّا يؤدي بدوره إلى التعايش السلمي بين الشعوب، وينظر إلى قِيَمِ التسامح على أنها إثراءٌ متبادلٌ بين ثقافات الشعوب؛ وبالتالي فإنَّ العزلة تؤدي إلى الجمود الثقافي، ولئن غابت هذه المفاهيم في عقلية الإنسان الغربيِّ الذي طالما تبجَّح بالديمقراطية والحداثة وحقوق الإنسان، وتنطوي هويته على عقدة التفوق الحضاريِّ والثقافيِّ على سائر الشعوب؛ فيجدر بالمسلمين التأكيد عليها تحت مظلَّة القانون القرآني:

---

[٣٢٥] الحضارة الإسلامية، أسسها ووسائلها، عبد الرحمن حبنَّكة، ص٣٦٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار القلم، دمشق.

﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨﴾

هود: ١١٨.

وهنا أؤكد على ضرورة إتاحة الأنظمة لمنظمات المجتمع المدنيِّ، العمل على الحوار مع الثقافات الأخرى.

* أتمنَّى على شبابنا المسلم أن يعرفوا الميزان الدقيق، في التعامل مع الجهة التي ينهلون منها، للتعرُّف على الراجح في المسائل التي اختُلِف فيها بين العلماء، وأن لا يأخذوا عن أيٍّ ممَّن تصدَّر لهذا العلم. وفي البيان النبوي، وإن كان الحديث ضعيف السند، فإنَّ المعنى جدُّ صحيح:" يا ابن عمر دينك دينك إنما هو لحمك ودمك فانظر عمَّن تأخذ. خذ عن الذين استقاموا ولا تأخذ عن الذين مالوا ". وعن ابن سيرين قال:" إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم "[٣٢٦]. وإذا كان الواحد منَّا يسأل عن طبيبٍ حاذقٍ بغية التداوي، فدين الله أغلى وأسمى وأعلى وأجدر أن يُرَاعى. قال الإمام الشاطبيُّ رحمه الله:" من أنفع طرق العلم الموصلة إلى غاية التحقُّق به، أخذُهُ عن أهله المتحقِّقين به على الكمال والتمام، وللعالِم المتحقِّق بالعلم أماراتٌ وعلاماتٌ:

إحداها: العمل بما علم، حتى يكون قوله مطابقاً لفعله، فإن كان مخالفاً له، فليس بأهل لأن يؤخذ عنه، ولا أن يُقتَدى به في علم.

---

[٣٢٦] صحيح مسلم، (١/ ١٤).

والثانية: أن يكون ممَّن ربَّاه الشيوخ في ذلك العلم لأخذه عنهم، وملازمته لهم، فهو الجدير بأن يتَّصف بما اتَّصفوا به من ذلك، وهكذا شأن السلف الصالح.

فأول ذلك ملازمة الصحابة ﷺ لرسول الله ﷺ، وأخذهم بأقواله وأفعاله واعتمادهم على ما يرد منه، كائناً ما كان، وعلى أيِّ وجهٍ صدر؛ وصار مثل ذلك أصلاً لمن بعدهم، فالتزم التابعون في الصحابة سيرتهم مع النبيِّ ﷺ، حتى فقهوا ونالوا ذروة الكمال في العلوم الشرعية، وحسبك من صحَّة هذه القاعدة، أنك لا تجد عالماً اشتهر في الناس الأخذ عنه، إلا وله قدوة اشتهر في قرنه بمثل ذلك، وقلَّما وجدتَ فرقةً زائفةً، ولا أحداً مخالفاً للسنَّة، إلا وهو مفارق لهذا الوصف "[٣٢٧].

وبتقديري هذا المعيار الذي وضعته يعصمنا من الزلل، ويدعنا في بحبوحة من الالتزام بمنهج ربنا، ونحن مطمئنون لصحَّة مسلكنا وسيرنا إلى الله.

* القضاء على التجمعات السكنية العشوائية المنغلقة، والفقيرة المتطرِّفة جغرافياً وخدَمياً في المدن، وأعني بالقضاء هنا العمل على إلغاء هذه الظاهرة بتحسين مستوى المعيشة لكل الأفراد على حدٍّ سواء.

وفي الختام فإنِّي على أمل إذا ما أخذنا بتلابيب هذه الأجندة التي سلَّطت الضوء عليها أن نقطف ثمرةً مرجوَّةً، وبذا نوفِّر على أنفسنا، وعلى أجيالنا

[٣٢٧] الموافقات في أصول الشريعة، (١/١٤٤)، مصدر سابق، بشيء من التصرُّف.

ضريبةً مكلفةً قد نعاني من آثارها لقرونٍ قادمةٍ، والأصل أن تُستثمَر جهودُنا بدلاً عن تلكم التبعات في نشر الوعي، وبناء النفوس؛ وأنا أرى في هذه المرحلة التركيزَ على إعداد العدَّة، وعلى جهاد الدفع لاستعادة الأراضي التي احتلَّها أعداء الأمَّة، وعلى رأسهم الكيان الصهيوني في فلسطين التي تعتبر قضيتها هي المركزية بامتيازٍ، وتحت رايةٍ إسلاميةٍ بعد أن أفلست الرايات الأخرى، وانهزمت إلى زوايا ميِّتةٍ تنتظر إعلان نعيها. وهذه مقدمات تذهب بنا إلى النهوض الحضاريِّ الذي ينظر إلى الغلوِّ، ويتعامل معه على أنَّه العدو اللدود، والعائق الشرس أمام كلِّ تقدم.

وبعد....

فالمتتبِّع لأحداث العنف الآن على أراضي المسلمين، في أصقاعٍ شتَّى، من مثل الصومال وأفغانستان والعراق ومالي، هو ملاحظة التالي:

* عدم الوصول إلى ما يتطلَّع إليه كل مسلم من وحدة صفِّ الأمَّة، بل على النقيض تماماً، فقد أصبحت التنظيمات السلفية الجهادية، على صلةٍ لا تُحسَدُ عليها مع عامَّة أفراد الأمَّة من الملتزمين بالخطِّ الإسلامي!. وبعضٌ من هؤلاء أصبحوا لقمةً سائغةً لسجون الطغاة في بعض البلدان بسبب أخطاء أشباههم من الرافعين للرايات الإسلامية.

* ركوب هذه الجماعات مركب الغرور بقناعة ذاتية عندها، أنها هي الجهة الوحيدة المخوَّلة بإعادة الأمَّة إلى حضن الإسلام الدافئ، وعلى الواقع تشوَّهت سمعة الدعوة التي كانت الصورة المكيَّة فترة النبوة هي المثَل الأعلى، والطريق الأمثل.

* التسبُّب في إجهاض المشروع الإسلاميِّ الدعويِّ النهضويِّ المأمول، ولو لفترةٍ من الزمن بعد ظهور بوادر وإرهاصات صحوةٍ إسلاميةٍ راشدةٍ، عمل أعداء الإسلام على قتلها في مهدها، وكان من أجندتهم العمل على صعود المتشدِّدين في بعض الأمصار، والولوغ لا أقول في دماء أعوان الطغاة هنا وهناك؛ بل في دماء أبناء جلدتهم من المنتسبين للتيَّار الإسلامي، ولبعض

الذين وقع عليهم نعت الردَّة بعد مبايعتهم لبعض التنظيمات ثمَّ نقض هذه البيعة!. وفي ظلِّ وجود هذه البيئة من الأفكار التي تفتقر إلى تأصيلٍ علميٍّ هم بعيدون عنه بعد المشرقين، يعود إلينا من جديد فكرُ الخوارج بعد أفولٍ دام قروناً طويلةً!.

* افتقار أبناء هذه التنظيمات إلى مرجعيةٍ علميةٍ معتبرةٍ، ومن المؤسف أنَّهم يُقصِرونها على قادتهم فقط، وبضاعتهم في علم الفقه والسياسة والتاريخ والسنن والاجتماع حتى في الفكر الإسلامي، وكذا في الأحكام الشرعية مزجاةٌ، لم يتفيأوا بظلال الهدى، ولم يرتقوا في معارج المعارف والعلوم، فهم فقراء لعدم القدرة على ربط الجزئيات بالكليات، وردِّ المتشابه إلى المحكم، وعدم القدرة على التحقيق في الخلاف؛ ومع ذلك يظنُّون أنفسهم من أهل العلم والاجتهاد، والواحد منهم لم يبلغ تلك الدرجة، فإنَّ العلم بظواهر النصوص الشرعية دون علَلها ومقاصدها، غير كافٍ لبلوغ درجة الاجتهاد. والفتوى لها ضوابطها وشروطها، قال الإمام الشاطبيُّ رحمه الله:" فإذا بلغ الإنسان مبلغاً، فهِم عن الشارع فيه قصده في كل مسألة من مسائل الشريعة، وفي كل باب من أبوابها؛ فقد حصل له وصف هو السبب في تنزيله منزلة الخليفة للنبيِّ ﷺ في التعليم والفتيا والحكم بما أراه الله "[٣٢٨].

[٣٢٨] الموافقات، (٥/ ٤٣)، مرجع سابق.

وأول صورة للظلم يقعون فيها، هي ظلمهم لأنفسهم، بجرأتهم على الفتيا بغير علم! قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" طريقة أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنَّة وإجماع الصحابة، ويكفِّرون من خالفهم في بدعهم "[٣٢٩].

ويكفي دلالةً على ذلك رفع بعضهم اسم تنظيم الدولة الإسلامية، وهم لا يملكون مشروعها، وأيَّاً من مقوماتها، ومن هنا فأنا لا أتوقَّع لهم المكوث في أرضٍ ما فترة طويلة!. ومن الدلالات أيضاً عدم رفقهم بالمخالف، وتهجيرهم لغير المسلمين من المسالمين منهم من ديارهم!. وكذا جهلهم بالقيد الأساس لمنهج التغيير للمنكر باليد، وهو القدرة، والتي احتكرت قياداتُها تقديرها دون الرجوع إلى علماء الأمَّة الثقات الذين نالوا نصيباً من سهامهم! مع أنَّ لحومهم مسمومة[٣٣٠]! وفي أحسن أحوالهم هم لا يُنزلون العلماء منازلهم، فأضحى

---

[٣٢٩] الردُّ على البكريِّ، ابن تيمية، (٢ / ٢٥٥)، ط: المطبعة السلفية بمصر، ١٣٤٦هـ.

[٣٣٠] بيْد أنَّ لهم في رسول الله ﷺ عزاءٌ كبيرٌ، في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة، منصرفه من حنين، وفي ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس. فقال: يا محمَّد اعدل!. قال:" ويلك! ومن يعدل إذا لم أكن أعدل "؟!. فقال عمر بن الخطاب ﷺ: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال:" معاذ الله أن يتحدَّث الناس أني أقتل أصحابي. إن هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ".

مَثَلهُم مثَل خوارج العصر الأول الذين لم يعرفوا للصحابة ﷺ قدرهم، وما علموا أنَّ العزوف عن العلماء هو تربة خصبة لإعطاء الولاء لمن هم دونهم في المعرفة وتأصيل المسائل، وفي الاقتراب من أهل الذكر تبرئة لذمَّة المسلم، وعصمة له من قاصمة التقصير في ولوج أبوابهم؛ والبديل هو اعتمادهم على بعض الإصدارات الجهادية على الشبكة العنكبوتية، والتي أضحت مخترقةً من قبَل أجهزة المخابرات العالمية، وعملائها في بلاد المسلمين!. والذي يدلُّ على وجود نقاط الضعف عندهم، والتي دلَّتْ عليها هو اختلافهم فيما بينهم، وتراجعُهُم عن بعض مواقفهم وآرائهم تحت مسمَّى المراجعات.

ومن يجعل من هدي السلف منارةً له، فليرينا منه واقعاً ملموساً من سلوك الطريق السويِّ دون غلوٍّ أو تفريط؛ قال عبد الله بن مسعود ﷺ:" عليكم بالعلم، وإيَّاكم والتبدُّع، وإيَّاكم والتنطُّع وإياكم والتعمُّق، وعليكم بالعتيق "[٣٣١]. فقوله العتيق، أي: القديم الذي علم به الصحابة المهتدون، ومن تبعهم بإحسان.

* الطبقة الواعية من أبناء الفئة المؤمنة لا تخدِّرها انتصاراتٌ جزئيةٌ هنا وهناك، بل تنظر إلى النتائج الكلية، وإلى تحقيق مقاصد فريضة الجهاد على الأرض، وأيضاً هذه الطبقة تتعامل مع المنهج القرآنيِّ الذي جاء سياقه في التعليق على

---

[٣٣١] رواه الدارميُّ (١/ ٥٠)، رقم (١٤٥)، المقدمة: باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع، واللالكائيُّ في شرح السنة، (١/ ٨٧) رقم (١٠٨).

غزوة أحد في توجيه مسؤولية الإخفاقات على ثلّة المجاهدين، وليس على قوة الخصم أو نشاط أهل النفاق، كما يزعم بعض أبناء السلفية الجهادية اليوم!.

* الواقع على الأرض ومن خلال تصريحاتٍ وبياناتٍ ثبتت نسبتها لبعض التيَّارات المتشدِّدة، والتي حولها إشارات استفهامٍ كبيرةٍ، والتي تدعو إلى تشرذم المسلمين أكثر من الذي هم ملازمون له الآن، من خلال طلب البيعة لهم! وإلا فالإثم لاحقٌ بهم، وأنَّ كافَّة التيارات، والتنظيمات الإسلامية سوى تنظيمهم قد فقدت شرعيتها، والمطلوب من قواعدها الانصراف عنها شرعاً!. ثم إنَّ أفراداً من هذا التيَّار المتشدِّد الآن، وأنا أسطِّر هذه الصفحات يطلبون من زوجاتهم البيعة لأمير التنظيم أو الطلاق!!.

والذي أدين الله به أنَّ هؤلاء يندرجون تحت توصيف هذا البيان النبوي الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده؛ والذي جاء منطوقه على النحو التالي:" ومن خرج على أمتي يضرب برَّها وفاجرَها لا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي بعهد ذي عهد، فليس مني ولست منه ". وتروي لنا كتب التراجم أنَّ سليمان بن عبد الملك[٣٣٢] قال لسلمة بن دينار[٣٣٣]: يا أبا حازم ما تقول فيما

[٣٣٢] هو سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب: الخليفة الأمويُّ. ولد في دمشق، وولِّي الخلافة يوم وفاة أخيه الوليد، سنة ٩٦ هـ، وكان بالرملة، فلم يتخلَّف من مبايعته أحد، فأطلق الأسرى وأخلى السجون، وعفى عن المجرمين، وأحسن إلى الناس. وان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح، جهَّز جيشاً كبيراً، وسيَّره في السفن، بقيادة أخيه

نحن فيه؟ قال: أوَتعفيني يا أميرَ المؤمنين؟! قال: بل نصيحةٌ تلقيها إليَّ، قال: إنَّ آباءَك غصبوا الناسَ هذا الأمرَ فأخذوه عنوةً بالسيف من غير مشورةٍ ولا اجتماعٍ من الناس، وقد قَتلوا فيه مقتلةً عظيمةً وارتحلوا، فلو شعرت ما قالوا وقيل لهم! فقال رجل من جلسائه: بئسَ ما قلتَ! قال أبو حازم: كذبتَ، إن الله تعالى أخذ على العلماء الميثاق ليبيِّننه للناس ولا يكتمونه! "[٣٣٤]. وهو ما يحدُثُ الآن عند فرقاء من المسلمين عملوا على إقصاء غيرهم من أبناء الدعوة، والذين أفنوا أعمارهم في كبِّ رؤوسهم على كتب العلم، وصدحت حناجرهم بدعوة التوحيد، ليأتي هؤلاء فيتقنوا فنَّ المزاودة الرخيصة عليهم دون تقوى لله

مسلمة بن عبد الملك، لحصار القسطنطينية. وفي عهده فتحت جرجان وطبرستان، وكانتا في أيدي الترك. توفي في دابق من أرض قنسرين، بين حلب ومعرة النعمان، وكانت عاصمته دمشق. ومدَّة خلافته سنتان وثمانية أشهر إلا أياماً؛ كانت وفاته سنة ٩٩هـ. الأعلام، للزركلي، (٣/ ١٣٠)، مرجع سابق.

[٣٣٣] هو سلمة بن دينار، المخزوميُّ، أبو حازم، ويقال له الأعرج: عالم المدينة وقاضيها وشيخها، فارسيُّ الأصل. كان زاهداً عابداً، بعث إليه سليمان بن عبد الملك ليأتيه، فقال: إن كانت له حاجة فليأت، وأما أنا فما لي إليه حاجة. قال عبد الرحمن ابن زيد ابن أسلم:" ما رأيت أحداً الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم ". أخباره كثيرة؛ وافته المنيَّة سنة ١٤٠هـ. الأعلام، للزركلي، (٣/ ١١٣)، مرجع سابق.

[٣٣٤] تاريخ دمشق، لابن عساكر، (٢٢/ ٣٦)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.

فيهم!. وفي البيان النبويِّ الذي أخرجه الشيخان:" إنما الإمام جنَّة يُقاتل من ورائه ويتقَّى به، فإن أمر بتقوى الله وعدل فإنَّ له بذلك أجراً، وإن أمر بغيره فإنَّ عليه وزراً ". فهذا هو المعيار الصحيح، وليس من يعمل على إضعاف المسلمين، وتشتيت صفِّهم، والتنكيل بمخالفيهم على مبدأ: ما أريكم إلا ما أرى، وعلى طغيان المقولة الشهيرة: نحن أو الطوفان!. ويكفي هؤلاء ضعفاً أنهم لم ينالوا ثقة العلماء في أصقاع الأرض، يقول الإمام الجوينيُّ رحمه الله:" فإذا شغَرَ الزمانُ عن الإمام وخلا عن سلطانٍ ذي نجدةٍ وكفايةٍ ودرايةٍ، فالأمورُ موكولةٌ إلى العلماء، وحُقَّ على الخلائق على اختلاف طبقاتهم أن يرجعوا إلى علمائهم، ويصدُرُوا في جميع قضايا الولايات عن رأيهم، فإن فعلوا ذلك، فقد هدوا إلى سواء السبيل، وصار علماء البلاد ولاة العباد "[٣٣٥]. فليُتنبَّه لذلك.

وهكذا رأينا كيف أنَّ الغلوَّ عند أهل الفكر والعلم آفة الدين، وعلَّة التدين معاً، إذ هو يجعل ما ليس شرعيًّا أمراً شرعيًّاً!. بيْد أن ثمَّة حلول ننشدها، وإذا ما أسقطناها على أرض الواقع فإن الغلو سيؤول بمشيئة الله إلى سراب، ولا يتأتَّى هذا المطلب إلا بتضافر جهود المخلصين من هذه الأمَّة باختلاف مواقعهم، وأخيراً أسأل المولى تباركت أسماؤه وتقدَّست صفاته، أن يكون بحثي هذا وقع على الحال التي رُمْت وعلى المنزلة التي كنت آملُها، فإن يك كذلك

[٣٣٥] غياث الأمم في التياث الظلم، ص٣٩١، تحقيق: عبد العظيم الديب، ط٢، ١٤٠١هـ، مكتبة إمام الحرمين.

فالمنَّة له وحده والتأييد منه، وإن يك خلافه فما قصَّرت في الاجتهاد ولكن حُرمت التوفيق، كما أسأله سبحانه أن يُجزِل لي العطاء، وأن يثيبني على ما قدَّمت في هذا السِفر المتواضع، وأن يلهمنا السدَادَ في القول والعمل، وأن يحقن دماء المسلمين، إنه خير من سئل، وأفضل من أجاب؛ وآخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

مصادر البحث حسب ورودها

- القرآن الكريم.
- الأعلام، خير الدين الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- سيَر أعلام النبلاء، الحافظ الذهبي، ط٣، مؤسسة الرسالة،١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- مجموع الفتاوى، ابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن بن محمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- التحرير والتنوير، محمَّد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، ١٩٩٧م.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، تحقيق سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.
- اقتضاء الصراط المستقيم، ابن تيمية، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان.
- الغارة على العالم الإسلامي،[ا.ل شاتليه]، ط٢، الدار السعودية للنشر، جدة، ١٣٨٧هـ.
- المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، المكتبة الشاملة الألكترونية.

- إعلام الموقعين عن ربِّ العالمين، تحقيق: محمَّد عبد السلام إبراهيم، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م. دار الكتب العلمية، بيروت.
- تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
- شرح النووي على مسلم، ط٢، ١٣٩٢ هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أحكام القرآن، ابن العربي، تحقيق: محمَّد عبد القادر عطا، ط٣، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، بيروت.
- التصور السياسي للحركة الإسلامية، رفاعي سرور، موقع مكتبة صيد الفوائد على الشبكة العنكبوتية.
- رسالة قاعدة في قتال الكفار، هل هو لأجل كفرهم أو دفاعاً عن الإسلام؟، ابن تيمية، طبعة حامد الفقي.
- الروح، ابن قيِّم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.
- مدارج السالكين، ابن قيِّم الجوزية، تحقيق: محمَّد المعتصم بالله البغدادي، ط٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.
- تكملة معجم المؤلفين، محمَّد خير يوسف، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- في ظلال القرآن، سيَّد قطب، ط٣، دار الشروق.

- الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفَّان، ط١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيِّد المهاجرين والأنصار، صالح العَمْري المعروف بالفُلَّاني المالكي، دار المعرفة، بيروت.
- فتح القدير، الشوكاني، ط١،١٤١٤هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت.
- أرشيف الباحث الخاص.
- شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية في ضوء الكتاب والسنة، د. سعيد القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين الذهبي، تحقيق د. بشَّار عوّاد معروف، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٣م.
- الاعتصام، للشاطبي، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، ط١، دار ابن عفَّان، السعودية، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- من هنا نعلم، محمَّد الغزالي، ط٥، دار الكتب الحديثة، مصر.
- ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي، تحقيق علي محمَّد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
- لسان الميزان، بن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ط١، دار البشائر الإسلامية،٢٠٠٢ م.

- إلى الإسلام من جديد، أبو الحسن الندوي، ط٤، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار القلم للنشر والتوزيع، دمشق.
- جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البرِّ، تحقيق: أبو الأشبال الزهيري، ط١، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
- الإعلامُ بحُرمة أهل العلم والإسلام، محمَّد بن أحمد بن إسماعيل المقدم، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دارُ طيبة، مَكتبةُ الكوثر، الرياض.
- طبقات الحفَّاظ، للسيوطي، ط١، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- وفيَّات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، تحقيق: الدكتور بشار عواد معروف، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- مجلة الوطن العربي عدد: ١٩٨٩/٢/٣م.
- صحيفة المحرر، عدد٢٣٩، ١٩٩٤/٢/٧م.
- مجلة الوسط عدد: ١٩٩٤/١/١٧م.
- صحيفة المسلمون عدد: ١٩٩٤/١/٢٨م.
- صحيفة الشرق الأوسط عدد: ٩٨٢، ١٩٩٢/٨/٢٣م.
- وحي القلم، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
- جدِّد حياتك، محمَّد الغزالي، طبعة دار القلم، دمشق.

- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ابن عبد البرّ، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمَّد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٣٨٧هـ، المغرب.
- العزلة، للخطابي، ط٢، ١٣٩٩هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.
- أثر العلماء في الحياة السياسية في الدولة الأموية، د. عبد الله بن عبد الرحمن بن زيد الخركان، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٤هـ.
- الدولة الأموية عوامل الازدهار وتداعيات الانهيار، عَلي محمَّد الصَّلاَّبي، ط٢، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، ط١، دار الكتاب العربي،١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، بيروت.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم الرازي اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، ط٨، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، دار طيبة، السعودية.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصبهاني، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، مطبعة السعادة، مصر.
- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمَّد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- الثورة البائسة، د. موسى الموسوي، بدون تاريخ، وبدون دارٍ للنشر.

- صحيفة المحرر، عدد ٢٩٨/٥٦، ١٠/٤/١٩٩٥م.
- صحيفة الشرق الأوسط، عدد ٥٣١٩، ٩/٩/١٩٩٣م.
- نشرة قضايا دولية، عدد٣٦٦، ٦/٢/١٩٩٥م.
- صحيفة النهار، ١٣/٨/٢٠٠٤م.
- المواجهة بين الإسلام والديمقراطية، جوسلين سيزاري.
- بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمَّد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي.
- أدب الطلب ومنتهى الأدب، الشوكاني، تحقيق: عبد الله يحيى السريحي، ط١، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، دار ابن حزم، بيروت.
- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، عبد الرحمن بن صالح المحمود، ط١، مكتبة الرشد، الرياض،١٤١٥ هـ / ١٩٩٥م.
- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، تحقيق: عادل بن يوسف الغرازي، ط٢، ١٤٢١هـ، دار ابن الجوزي، السعودية.
- كتاب الصلاة وحكم تاركها، ابن قيِّم الجوزية، مكتبة الثقافة بالمدينة المنورة.
- الإعلان الإسلامي، علي عزت بيجوفيتش، ط١، ١٤١٩هـ، دار الشروق، القاهرة.
- دعاة لا قضاة، حسن الهضيبي، بدون دار للنشر، أو تاريخ له.
- المحلَّى بالآثار، ابن حزم، دار الفكر، بيروت.

- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، ط١، دار الحديث، مصر، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- محاور إسلامية، راشد الغنوشي، دار اقرأ، صنعاء، ١٩٩٢م.
- الفوائد في اختصار المقاصد، العزُّ بن عبد السلام، دار الفكر المعاصر، دمشق ١٤١٦هـ.
- فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.
- الإسلام وأحداث الحادي عشر من أيلول ٢٠٠١، زبير سلطان قدوري، بدون تاريخ، وبدون دارٍ للنشر.
- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم ميتز، ترجمة محمَّد عبد الهادي أبو ريدة، القاهرة، ١٩٤٨م.
- الدعوة إلى الإسلام The Preaching of Islam "، توماس. أرنولد، من الترجمة العربية لحسن إبراهيم حسن وزملاؤه.
- جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ابن قيِّم الجوزية، دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- الاستقامة، ابن تيمية، تحقيق: د. محمد رشاد سالم، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ١٤٠٣هـ.

- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، الشوكاني، ط١، دار ابن حزم.
- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، ابن قيِّم الجوزية، مكتبة دار البيان.
- الفصَل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العزُّ بن عبد السلام، راجعه وعلَّق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، للماوردي، دار الحديث، القاهرة.
- السيرة النبوية، د. علي الصلابي، ط٦، ١٤٣٤هـ، دار ابن كثير، لبنان. ١٤٣٤هـ.
- الإرهاب المرفوض والإرهاب المفروض، حسن دوح، بدون دار للنشر، أو تاريخ له.
- الإبانة الكبرى، ابن بطة العكبري، ط دار الراية، الرياض.
- مجلَّة جامعة أم القرى، العدد الرابع.
- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، المزِّي، تحقيق: د. بشَّار عوَّاد معروف، ط١، ١٤٠٠هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- سنوات الحنابلة، علي آل بابطين، بدون دار للنشر، أو تاريخ له.
- تاريخ بغداد وذيوله، الخطيب البغدادي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط١،١٤١٧هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الفقه السياسي الإسلامي، د. خالد سليمان الفهداوي، دار الأوائل، دمشق، ٢٠٠٥م.
- من أعلام السلف، أحمد فريد، موقع الشبكة الإسلامية.
- الصفدية، ابن تيمية، تحقيق: محمَّد رشاد سالم، ط٢، ١٤٠٦هـ، مكتبة ابن تيمية، مصر.
- حسن البنا، أنور الجندي، دار القلم، ط١، ١٣٩٨هـ، بيروت.
- الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، عبد الرحمن حبنَّكة الميداني، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م، دار القلم، دمشق.
- الردُّ على البكري، ابن تيمية، ط: المطبعة السلفية بمصر، ١٣٤٦هـ.
- تاريخ دمشق، لابن عساكر، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق.
- غياث الأمم في التياث الظلم، تحقيق: عبد العظيم الديب، ط٢، ١٤٠١هـ، مكتبة إمام الحرمين.

ملاحظة: تمَّ تخريج الأحاديث النبوية بوساطة المكتبة الشاملة الألكترونية.

الفهرس

العنوان	الصفحة
المقدمة	1
الأسباب والبواعث	10
الآثار السلبية لمسلك تبنِّي العنف في التغيير	149
المعالجة والحلول	196
وبعد	246
مصادر البحث	254
الفهرس	263
السيرة الذاتية	264

السيرة الذاتية للكاتب

- من مواليد مدينة إدلب. سورية سنة ١٩٥٩م.
- تشرَّف وبمنَّة من الله تعالى بحفظ كتابه يافعاً.
- تلقَّى العلوم الشرعية فترة الصِبا والشباب في إدلب، على يد العلامة محمَّد نافع شامي من خلال دروسه العامَّة، وبعض الجلسات الخاصَّة أكرمه بها يرحمه الله. وفي دمشق من خلال الدروس العامَّة لبعض علمائها، من أمثال الشيخ حسن حبنَّكة في منزله في حيِّ الميدان، وأخذ فقه الدعوة عن الشيخ عبد الله ناصح علوان، في منزله في محطَّة بغداد في حلب.
- بكالوريوس في الشريعة الإسلامية من جامعة دمشق.
- ماجستير تمهيدي في شعبة التفسير وعلوم القرآن.
- نشر عدَداً من المقالات في عددٍ من المجلات ذات التوجُّه الإسلامي.
- رئيس مجلس إدارة جمعية النهضة الإسلامية بإدلب.
- عضو رابطة العلماء السوريين، اسطنبول.
- عضو المنظمة العلمية للإصلاح والتغيير، مرسين.

- حاز كتابه: الوعي الغائب في تميُّز الأمَّة المسلمة. على الاختيار الأول والوحيد لدى الجمعية الدولية للعلوم والثقافة، في السويد سنة ١٤٣٤هـ.
- حاز كتابه: دور الوقف في دعم الأسرة، على المركز الثاني لدى الأمانة العامَّة للأوقاف في دولة الكويت، سنة ١٤٣٦هـ.
- عمل نائباً لرئيس الهيئة الإسلامية للقضاء بإدلب، ومستشاراً شرعياً لهيئة إدارة الخدمات، وعضو مجلس إدارة فيها، وعضواً في رابطة الدعاة بإدلب.
- من مؤلفاته:

- ترجيحات الشنقيطيِّ في أضواء البيان.
- مشكلات الشباب في ضوء السنَّة النبوية.
- العلماء الربانيِّون وعلمَاء السوء. دراسة مقارنة. (قيد الإعداد).

- العنوان: تركيا/هاتاي. هاتف: 00905313838421
- يمكن للإخوة القرَّاء التواصل معه على البريد الألكتروني: Wafamsi2014@gmail.com
- أو على صفحته على الفيسبوك: Mwafak sheikh ibrahim